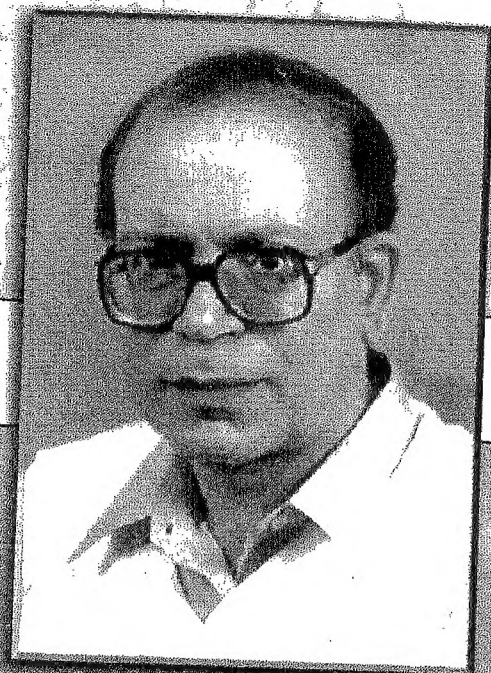


حسن توفيق



الأعمال الشعرية

- ليلى تعشق ليلى
- ليلة الطوفان
- لاشقة
- ما رآه السندباد
- انتظار الآت
- أحب أن أقول
- وجهها قصيدة لا تنتهى
- حينما يصبح الحلم سيفا
- الدم فى الحداثة



0097874

Bibliotheca Alexandrina

الأعمال الشعرية

حسن توفيق

حسن توفيق

الأعمال الشعرية

- ليلي تعشق ليلي • مآواه السندباد • وجهها قصيدة لاتنتهي
- قصة الطوفان ... • انتظار الآتي • حينما يصبح الحلم سيفاً
- قصائد عاشقة • أحب أن أقول لا • الدم في الحدايق



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

في الشتاء.. تولد القصيدة

مقدمة بقلم : حسن توفيق

في أمسية ما من أمسيات مطلع كل شتاء، وحين أكون خارجا لتوي من البيت إلى أية وجهة أود أن أقصدها، يقاجئني شعور غريب، تبرز فيه الدهشة بالوحشة والنشوة بالأسى، حيث أشعر أن الهواء من حولي والذي يتسلل إلى رئتي محمل برائحة الشجن. حين يقاجئني هذا الشعور الغريب وحين أشم في الهواء رائحة الشجن أدرك على الفور أن موسم كتابتي للشعر قد أطل، فيفرح القلب فرحا طوفاليا جامحا، وقد تولد قصيدة في الليل بعد عودتي إلى البيت، وبعد أن تكون ملامحها الأولية قد تشكلت في أعماقي خلال وجهتي التي أود أن أقصدها، بل إنني قد ألغى تماما ما أود أن أتوجه إليه لأنطلق إلى شاطئ بحر أو إلى أقرب حديقة، حيث أظل أتخيل للملامح المرتقبة للقصيدة قبل أن تولد، وكيف يتعانق الحرف مع الحرف وتتلاحق السطور، سطرا وراء سطر، مثلما تتلاحق الأمواج، موجة في إثر موجة.

قد يكون هناك ارتباط ما في ذهني بين الشعر والشتاء، وقد يكون الأمر مجرد مصادفة، لكن هل يمكن أن نسمي المصادفة مصادفة إذا كانت تتكرر معي - بصورة شبه منتظمة - مع مطلع كل شتاء؟! وقد يكون الشعور الغريب الذي يقاجئني في أمسية ما من أمسيات مطلع كل شتاء، هو نفس الشعور الذي يفاجيء غيري من الشعراء، وقد تكون لآخرين من الشعراء طقوسهم الخاصة التي يتهبأون لها أو تنهيا لهم عندما يستهل كل منهم موسم كتابته لشعره، لكن ما استطع تحديده فيما يتعلق بي هو أن الشعر يواجهنني بروحه العذبة والمعذبة حين أواجه مطلع الشتاء كل عام، مستنشقا في الهواء رائحة الشجن، وكأنني أختزن طيلة فصول السنة الأخرى ما أختزنه من تجارب أو مواقف أو

صور، إلى أن أواجه فصل الشتاء، فينبثق من الأعماق ما كنت أحتزته، متجاوبا مع عاصفة فجائية أو زخات مطر أو بروق ورعود؛

لكن هذا لا يعني أنني أتوقف تماما عن كتابة الشعر في فصول أخرى غير فصل الشتاء، فهناك قصائد كتبتها على امتداد رحلتي مع الشعر في تلك الفصول الأخرى، لكنها لا تشكل القاعدة العامة وإنما تشكل الإستثناء، ومن هنا أجد نفسي مندهشا ومتعجبا حين يفاجئني الشعر في الصيف، تماما مثلما نجد أنفسنا مندهشين ومتعجبين عندما تمطر السماء أحيانا في فصل الصيف.



ولدت قبل أن تخدم نيران الحرب العالمية الثانية بما يقرب من عامين. وإذا كان لايد من التحديد، فإني ولدت يوم ٣١ أغسطس عام ١٩٤٣ في حي شعبي أصيل من أحياء القاهرة المعز، هو حي شبرا، ولم يكن في البيت الذي ولدت فيه كتاب واحد، لكنني أذكر جيدا أن ولعي بالشعر بدأ مبكرا، منذ المرحلة الابتدائية التي قضيتها في مدرسة الشماشرجي، فقد كنت أقبل على حفظ كل النصوص المبحوثة في كتب اللغة العربية بمتعة مابعدتها متعة، أما الأصوات المتناسقة الجميلة فكانت تأسرنني، كما كانت الموسيقى تطربني دون أن أستطيع تفسير سر طربي، وأذكر أن حماسة جارفة ومبهمة كانت تغمرني وأنا في طريقي إلى المدرسة كل صباح حين أستمع إلى ما تبثه «راديوهات» المقاهي من الأغنيات الوطنية والعاطفية، ولم تزل أصداء أغنيتين وطنيتين في ذاكرتي إلى اليوم، وهما أغنية «يا مجاهد في سبيل الله.. جه اليوم اللي بتعمناه..» وأغنية أو قصيدة «أخي جاوز الظالمون المدى... وحتى الآن قفاني لا أعرف من الذي كتب كلمات الأغنية الأولى، ولا من الذي كان يغنيها وإن كنت أتصور أن غناءها كان جماعيا، وفيما يتعلق بالأغنية - القصيدة الثانية فإني لم أكن أعرف علي محمود طه ولا محمد عبدالوهاب، ولا أن حرب فلسطين - عام النكبة ١٩٤٨ - قد بدأت وانتهت. وإن كنت أتذكر أن رجلا صارم الملامح كان يقوم بطلاء فوانيس الشوارع باللون الأزرق، وكانت تلك الفوانيس تعمل بالغاز، مثل «الكلوبات» التي يبدو أنها قد انقرضت أو أوشكت على الإنقراض، ولم أكن أعرف أن طلاء

الفوانيس باللون الأزرق يعني الاستعداد لإتقاء أية غارات جوية محتملة.

في المرحلة الإعدادية التي قضيتها في مدرسة السيدة حنيغة السلحدار بشبرا كان ترتيبى الأول دائما في مادة اللغة العربية، ولهذا كان مدرسو تلك المادة يفاخرون بي عادة عندما يأتي المفتشون أو خلال المناظرات بين أوائل الفصول الدراسية، وعلى صعيد الأحداث الوطنية أتذكر أن «راديوهات» المقاهي كانت تجلجل ذات صباح، وأنا في طريقي إلى المدرسة، وكان الصوت الحماسي الهادر والصادر من تلك «الراديوهات» يقول «... من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أعلن إلغاء هذه المعاهدة...»... فيما بعد علمت ان الصوت الحماسي الهادر كان صوت زعيم الوفد مصطفى باشا النحاس.. لكنى - وقعتها - تاجت بالحماسة وأنا في طريقي إلى المدرسة. أما الحدث الأهم الذي عايشته بكل دقة، فقد كانت الإسكندرية مسرحه. كانت الوزارة كلما تنتقل إلى الاسكندرية خلال شهور الصيف أيام الملك فاروق - آخر ملوك أسرة محمد علي باشا، وكان أبي شرطيا في حرس الوزراء، وتوجهت إليه وحذي - لأول مرة - من القاهرة إلى الاسكندرية، وحين ركبت الترام الدائري ودفعت الستة مليمات أجرة التذكرة فوجئت بالركاب - الكبار يندفعون ليطلوا من نوافذ الترام، صائحين: «.. اللواء محمد نجيب...».. وفي المساء قادني أبي إلى قصر رأس التين، وشهدت خروج الملك فاروق متوجها بـ «المحروسة» إلى إيطاليا، وكان ذلك المساء البعيد هو مساء ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢.

أتيح لي بعد ذلك أن أشاهد اللواء محمد نجيب وهو عائد إلى بيته، والسبب أن أبي كان أحد حراسه الشخصيين، وأذكر أنني لعبت الكرة عدة مرات مع «علي» ابن محمد نجيب ومع أبناء أحد جيران محمد نجيب، وهو المصور محمد كريم، وكان في مكتبة هذا المصور كتب كثيرة، لكنى كنت أؤمن إعادة تغليب صفحات كتاب ضخيم فاخر مليء بالصورة عن الحرب العالمية الثانية، وكنت أتوقف كثيرا أمام صور أدولف هتلر المبتوثة في ثيابا ذلك الكتاب، ومن أغنيات تلك المرحلة والتي كانت تشدني أغنية «ع الدوار.. ع الدوار.. راديو بلدنا يجيب أخبار» وأغنية «بالاتحاد والنظام والعمل»... أما القصيدة التي كنا نردها كل

صباح في طابور مدرسة السيدة حنيفة السلحدار، فقد كانت قهيدة «مصر التي في خاطري وفي فمي..» لأحمد رامي، وفي المساء كنت أجلس على حافة نافذة حجرية في شقة البيت لأرشف السمع إلى أغنية «يا ليل يا اسمرائيل.. يا اسمرائيل» ووقتها كنت أتصور الليل عملاقا أسمر يهبط من الأفق ليجوب الشوارع!



تقطنان جديدتان في حييائي.. الأولى أورثني إحساسا حاداً بمعنى الفقد، والثانية أكسبني خبرات أولية أسهمت في تشكيل مكوناتي العقلية والنفسية. النقلة الأولى تتمثل في الانتقال من حي شبرا الذي أحبه وألفته إلى حي آخر شعبي هو حي الشرايبة، فقد كان الانتقال اضطرارياً، حين قامت مصادفة القاهرة بإزالة بيوت ثلاثة شوارع متوازية، ليتألف من تلك الشوارع شارع واحد كبير هو شارع أحمد حلمي، وكان المنزل الذي ولدت فيه (٧ شارع سكر المتفرع من أرض الطويل) أحد البيوت التي أزيلت، وهكذا كان لابد من البحث عن أصدقاء جدد في الشرايبة، لكنهم لم يعرضوني عن نشأت معهم في شبرا، وأذكر أنني كنت بين حين وآخر أذهب وحيداً إلى شارع أحمد حلمي، وأستشعر نوعاً من الفقد الرومانسي وأنا أرى حركة السيارات فوق أرض المنزل الذي شهد مسقط رأسي والذي لم يعد له وجود... أما النقلة الثانية فتتمثل في الانطلاق من المرحلة الإعدادية في مدرسة السيدة حنيفة السلحدار إلى المرحلة الثانوية التي قضيتها في مدرسة روض الفرج الثانوية، وخلال تلك المرحلة (٥٨ - ٥٩ - ١٩٦٠م) كان صوت الزعيم الخالد جمال عبدالناصر يأسرني ويأسر معظم أبناء جيلي، كما عايشنا إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة - أول وحدة في تاريخ العرب الحديث - وعاشنا كفاح الجزائر من أجل نيل الاستقلال وثورة العراق في ١٤ يوليو - «تموز» - ١٩٥٨، كما عايشنا ملحمة بقاء السيد العالي - العظيم.. وفي تلك المرحلة كان أبناء جيلي يتعلقون بصوت غنائي جديد هو عبدالحليم حافظ أما أنا فكانت استغرق في أحزاني المبهمة مع فريد الأطرش. وقد شهدت تلك المرحلة بدايات تعلقي الجارف بالشاعر الأول الذي سكن قلبي، وهو إبراهيم ناجي، حيث حفظت عن ظهر قلب كل قصائد ديوانه «وراء الغمام» و

«ليالي القاهرة» باستثناء قصائد المديح والإخوانيات والهجاء التي كنت أنفر منها. كما أهداني أحد أصدقائي ديوان «فرارة الموجة» لنازك الملائكة، واشتريت من مصر وفي الخصاص الضئيل مجلدا جميلا يضم مخفارات من شعر عمر أبو نضلة وديوان «أنت لي» وقصيدة «سامية» لغزل قباني، كما اشتريت ديوانا مصرية، كان ثمنه ١٧ قرشا مصرية، لكنه كان بمثابة كنز رائع، هذا الديوان هو ديوان «أشواق إنسان» لعبد الرحمن الخميسي والذي يضم إلى جانب قصيدة طويلة عن جميلة يوحى قصائد رومانسية آية في الجمال والرقّة. ولم يكن بطموحي في شراءاتي الشعرية مقصورا على الشعر العربي، فقد حصلت خلال تلك المرحلة على دواوين خاصة من الشعر الإنجليزي، من بينها الأعمال الكاملة لوليم بترينيس وش.س. ديوت و.د. هب أودن وستيفن سبنسر وأدي ماكليس، ويرجع الفضل لي خصولي عليهما إلى أحد أساتذتي وهو ماهر ميخائيل الذي كان عائدا من بعثة لدراسة الأدب الإنجليزي في لندن ومن الأشياء الطريفة التي كتبت قصيدة باللغة الإنجليزية، وقام الأستاذ ماهر ميخائيل بنشرها في مجلة المدرسة المطبوعة. وما دمت ذكرت أستاذ اللغة الإنجليزية فلا بد أن أذكر أستاذة آخرين، حاولوا أن يفهموا اهتماماتي السياسية والأدبية، وهم كمال نشأت (الشاعر والدكتور فيما بعد) وصبحي شكري ونحروس سليمان وبانوب فريد. ومن خلال مكتبة المدرسة كنت أقرأ بانتظام مجلة «الأدب» الليبرالية التي يرأس تحريرها د. سهيل إدريس، وقد عرفني تلك المجلة المهمة برواد الشعر الحر، حيث أخذت أقرأ ما أقرأ وأحفظ ما أحفظ من قصائد بدر شاكر السياب ونزار قباني وصلاح عبدالمجيد وغيليل حاوي وخليل خوري ونازك الملائكة. ومن خلال سيرة الأبنية اشتريت الكثير من أعداد مجلة «أبولو» الشعرية العظيمة التي كان يصدرها د. أحمد زكي أبو شادي، حيث أخذت أحفظ قصائد عديدة لشعراء أبولو، منهم إبراهيم ناجي ومحمود حسن إسماعيل وعلي محمود طه وحسن كامل الصغير، ومن المجلات التي فتحت آفاق مجلة «كتابي» و«مطبوعات كتابي» فقد أسهمت في تعريفني بأدباء وشعراء وفنانين عالميين. أما مكتبة شعرا - وهي فرع من فروع دار الكتب الرئيسية بباب الخلق - فإني

كنت مترددا دائما عليها، حيث كنت أستعير منها ترجمات «دار البقطة السورية» لروايات تولستوي ودوستويفسكي.

أضحك الآن من نفسي، حين أتذكر أنني - على صعيد الاهتمامات السياسية - كنت أجمع بين متناقضات، إذ كيف يمكن أن يعجب الإنسان - في آن واحد - بهتلر ولينين وغاندي؟!.. إنها مرحلة العبث مع الأمواج قرب الشاطئ قبل أن يتعلم الإنسان السباحة، ثم يحدد وجهته ومقصده.

النيل في روض الفرج كان متعتي الوحيدة في تلك المرحلة، حيث كنت أؤجر قارب تجديف - بقرشين في الساعة - كل يوم اثنين وكل يوم خميس بالاشتراك مع أحد زملائي من طلبة المدرسة، وهو محمد حجازي، ولم يكن هو ولا أنا نعرف شيئا عن السباحة، لكن جراءة السن المبكرة كانت تجعلنا ننتقل بالقرب إلى عرض النيل، حيث تلوح ملامح حي إمبابية!.. أما الصديق الذي كنت أقرأ له ويقرأ لي ما يروئنا فهو فتحي عبد الحافظ.. وانقضت المرحلة الثانوية حيث كان ترتيبني الأول على منطقة القاهرة الوسطى التعليمية، وكان فتحي هو الأول - مكرر.



خضنا - فتحي وأنا - سنة فاشلة على المستوى الدراسي، ولكنها سنة دسمة حقا على مستوى التحصيل الأدبي والثقافي العام، فقد أجبرته أسرته وأجبرتني أسرتي على أن نلتحق بكلية تجارة القاهرة، والتحقنا بها بالفعل، لكننا تمردنا تمردا سرياً، حيث كنت انطلق من البيت الى مكتبة جامعة القاهرة كل يوم، بينما كان فتحي ينطلق يومياً إلى دور السينما، وفي المساء نتلاقى - في بيت أسرته أو بيت أسرتي - بحجة المذاكرة، بينما نحن في الحقيقة نقرأ الشعر - أنا - أو نتحدث عن موضوعات الأفلام - هو - ... وكانت نتيجة التمرد السري أننا رسبنا آخر السنة بجدارة، حيث لم ننجح إلا في مادة «المجتمع العربي» والتي كانت - فيما يتعلق بنا - مجرد ثقافة عامة؟

خلال السنة التي قضيتها لا في كلية تجارة القاهرة، وإنما في مكتبة جامعة

القاهرة قرأت بنهم لا يعده نهم دواوين شعراء عرب كثيرين، وأذكر أنني كنت أنقل بالكامل بعض تلك الدواوين، ومن بينها ديوان «أغاني المدينة الميتة» لبلند الحيدري، والذي سعد من الأعماق - فيما بعد - عندما اطلعت عليه وهو بخط يدي، حين كان يزور القاهرة - عام ١٩٦٨ - للمشاركة في أحد مؤتمرات الأدباء العرب.

بعد التمرد السري انطلقنا - فتحي وأنا - إلى قسم اللغة العربية بأداب القاهرة، حيث تخرجنا في يونيو عام ١٩٦٥ بعد أربع سنوات حافلة بالكفاح وبالنجاح داخل الكلية وخارجها.

خلال تلك السنوات كان لنا أساتذة رائعون من الكبار المرموقين ومن الشباب الجادين.. من أكبر من تلقينا العلم على أيديهم الأستاذ مصطفى السقا والدكتور خليل نامي، ومن أصغر من تلقينا العلم على أيديهم - إن لم تخني الذاكرة - الدكتور عبدالمحسن بدر والدكتورة نبيلة إبراهيم، وبين الكبار عمرا والصغار كان هناك أساتذة أجلاء كثيرون... الدكتور سهير القلماوي - الدكتور شوقي ضيف - الدكتور شكري محمد عياد - الدكتور يوسف خليف - الدكتور حسين نصار.

بعد أن قرأت أستاذتي العظيمة د. سهير القلماوي مجموعة من قصائدي أبدت إعجابها بها، فأصبحت الطالب المدلل لديها، وكان هذا منار فخر لي بين أصدقائي وزملائي، وكانت أستاذتي العظيمة أول من قدمني باعتباري شاعرا في «كتابات جديدة» بالبرنامج الثاني في الإذاعة، وأذكر أنها قد عقدت مقارنة بيني وبين الشاعر الأمريكي إدجار آلان بو، والذي كنت قد سمعت عنه دون أن أكون قد قرأت له، وهذا مادفعني اعتبارا من اليوم التالي لتسجيل البرنامج إلى البحث عن قصائده، حيث فرضت على أصدقائي قصيدة من تلك القصائد، هي قصيدة «الغراب» - The Raven .. وقد حفظت هذه القصيدة بلغتها الإنجليزية دون استيعاب لبعض معانيها إلى أن اكتشفت أن الدكتور محمد مندور قد بثها مترجمة إلى العربية في أحد كتبه.

أما استاذي الدكتور يوسف خليف، فعلى الرغم من أنه لم يكن يحب الشعر الحر إلا أنه كان يشجعني تشجيعاً أبويًا رقيقاً، بل مفرطاً في الرقة، وكان يرى أن شعري الرومانسي هو امتداد جديد لشعره ولأشعار أبناء جيله.

وأما استاذي الدكتور عبدالمحسن بدر، فعلى الرغم من أنه كان من أشد المتحمسين للشعر الحر إلا أنه كان ينقد ما أكتبه نقداً حاداً، بل جارحاً، وكان يرى أن من الضروري أن أتخلص من رومانسيتي لكي أصبح شاعراً واقعياً. ومع هذا فإنني كنت أزوره في بيته بالمعادي مرة أو مرتين كل أسبوع، بصحبة فتحي عبدالحافظ، حيث نستفيد من قراءاته التي يشرحها لنا باستفاضة، وقد نستعير بعض الكتب التي تحفل بها مكتبته، وفي كثير من الأحيان كنا نلتقي في بيته مع أصدقائه من أبناء جيله، وأذكر منهم عبدالجليل حسن - محمد أبو المعاطي أبو النجا - سليمان فياض - غالب هلسا.

أنشطة أخرى عديدة كنت أشارك فيها أو أمارسها خارج أسوار الجامعة.. كنت محباً للصحافة، وهذا مادفعني للتعرف على الأستاذ أحمد بهجت في مبنى «الأهرام» القديم، وهكذا أصبحت أصغر أفراد «شلة» أحمد بهجت، أما أكبرنا فكان الأستاذ عبدالسلام شهاب الذي كنا نسميه «عم شهاب» وكان الفنان العبقرى صلاح جاهين يزاحمنا فيزاحمنا بخفة دمه وبروعة فنه في مكتب أحمد بهجت، ومن خلال الإثنين - جاهين وبهجت - انفتح الطريق أمام شعراء السامية ونقادها، وتعرفت بكل من عبدالرحمن الأبنودي وسيد حجاب وعبدالرحيم منصور وسيد خميس، كما تعرفت لأخي مكتب أحمد بهجت وإنما في بيته بالفنان الرائع سيد مكاوي الذي كان يسكن في نفس العمارة التي يسكن فيها أحمد بهجت في حي عابدين.

وفي حي عابدين كنت أقود كثيرين من زملائي وزميلاتي إلى مقر الجمعية الأدبية المصرية في شارع قولة، خاصة إذا كنت سألقي قصيدة في إحدى الأمسيات الشعرية، وكان مقر الجمعية أشبه بسرداب طويل ترص فيه الكراسي، وهناك أترك المجال لإحدى زميلاتي - الزميلة نبيلة إبراهيم جاب الله - التي كتبت تصف المقر في كشكول اعتز به حقاً، لأنه يضم إلى جانب ما

كتبته هي كتابات أخرى لزميلات وزملاء مرحلة الدراسة الجامعية، وأذكر منهم جابر عصفور (الدكتور فيما بعد) - فتحي عبد الحافظ - مصطفى كمال هارون - فريدة عيد حسن مرعي - زينب عبد الغني - ثريا فارس الجندي - رباب موسى الدروي - مبيحة رفعت ٥٥ كما يضم هذا الكشكول تعليقات حول شعري، أولهما تعليق استاذتي د. سهير القلماوي وثانيهما تعليق استاذي د. يوسف خليف ... أترك المجال لنبيلة إبراهيم جاب الله، لكي تصف مقر الجمعية الأدبية المصرية.. تقول: «... وهناك أيضا نشاطنا خارج الجامعة أو نشاطك الذي تصر على أن «تجربنا» وراءك فيه بالقوة، لنعبر بحيرات شارع قولة على أقدامنا وننتهي إلى شيء يشبه بالببيت، ونكاد نعود أدرجنا ولكن غضبك يرغمنا على الدخول لنسير في سرداب مظلم ثم تصعد بعض درجات متأكدة «من أقدام الشعراء» لنجد أنفسنا في مكان عرضه متر وطوله عشرة أمتار تقريبا، صفت فيه المقاعد الخالية فنحن الجمهور المظلوم المغلوب على أمره الذي سيحتلها.. ويلعب اللب والسوداني دوره في الترفيه عنا قليلا ونحن نتظاهرها بالإنصات إلى ما يسمى بقصائد.. وتنتظر إلينا شزرا لأننا لانفهم في الذوق ولا نحترم المكان ونفسد الكلمات الشعرية الجميلة «بطريقة» اللب.. ولكن يكفي أننا حضرنا معك وتحملنا هذا الوابل من الأشعار.. ثم يأتي دور شاعرنا الهمام فيشرق علينا بقصيدته التي نكون قد سمعناها مرارا وتكرارا وكدنا نحفظها كاغانى أم كلثوم.. وتتحرك الكاميرا المرافقة لموكب البؤساء لتسجل حركات وخلجات شاعرنا وهو ينطلق مغردا أمام روحية القليني..».

وبعيدا عن هذه الصورة الكاريكاتيرية، فإن الجمعية الأدبية المصرية قد أفادتني فائدة لا ينساها إلا الجاحد، ففي أمسياتها الشعرية وندواتها النقدية والثقافية كان أبناء جيلي ممن انتموا إلى تلك الجمعية يلتقون مع أبرز رموز الحركة الأدبية والثقافية، حيث كنا نتلاقى لنستفيد ونستزيد من كل من صلاح عبدالصبور - فاروق خورشيد - د. عبدالغفار مكاوي - د. عز الدين اسماعيل - د. شكري عياد - د. حسين نصار - د. عبدالقادر القط - عبدالرحمن الشرقاوي - د. أحمد كمال زكي - د. أحمد حسين الصاوي - محمد عبدالواحد -

ملك عبدالعزيز..

وكان مقهى «ريش» يمثل مكان التقاء حميم لأبناء جبلي من الشعراء والأدباء، وأذكر منهم محمد إبراهيم أبو سنة - أمل دنقل - يحيى الطاهر عبدالله - إبراهيم أصلان - عبدالحكيم قاسم . وممن يكبروننا محمد مهران السيد - عبدالمنعم عواد يوسف ... وكان مقهى ريش يتحول هو أيضا إلى صورة كاريكاتيرية عندما يؤمه كل من عبدالوهاب البياتي (وكان لاجئا سياسيا وقتها في مصر) ومحمد الفيتوري (وكان مقيما في القاهرة) فقد كان حبل الود بينهما مقطوعا، وربما لم يزل مقطوعا إلى الآن، ولهذا كان كل منهما يختار أبعد نقطة عن الآخر ليحتل كرسيها، وهكذا كان البياتي يجلس في أول المقهى إذا حضر قبل الفيتوري الذي عليه أن يجلس في آخرها.. والعكس صحيح.. أما نجيب محفوظ - العظيم فكنا نتحلق حوله حين يأتي إلى المقهى ويجلس معنا لمدة ساعتين دون نقصان أو زيادة من السادسة إلى الثامنة مساء.

كان صلاح عبدالصبور أول من نشر لي قصيدة خارج حدود مصر، حيث أرسل «القصيدة المصلوبة» - التي غيرت عنوانها فيما بعد ليصبح «من ليالي الفراغ» للدكتور سهيل إدريس الذي نشرها في «الأداب» البيروتية العريقة، وكان صلاح عبدالصبور ثاني من قدمني في الإذاعة - البرنامج الثاني - بعد د. سهيل القلماوي.

أما رجاء النقاش فكان يوجهني - بحبة أسرة - إلى مجالات النقد الأدبي، ويساعدني في تدبير أمور حياتي اليومية، وهكذا كان شأنه مع آخرين جبلي من أبناء جبلي.



من الجامعة إلى العمل الوظيفي .. بدأت به بداية صعبة وقاسية ، حيث عملت موظفا بإدارة المعاشات في وزارة الخزانة، وأصبح مشهود الأرامل والمسنين مشهدا يوميا مؤلما، ينبغي أن أتعامل معه، وظللت عدة شهور أتعذب، إلى أن يسرت لي الأمر أستاذتي العظيمة د. سهيل القلماوي، فالحقتني بالعمل في إدارة

المجلات بالهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر (الهيئة العامة للكتاب - الآن).. وقالت لي بحنو بالغ: «.. يا حسن.. ها تشتغل مع صلاح.. عايزاك تساعده..» وكان صلاح الذي تحدثته عنه دون إلقاء هو أستاذي الشاعر العظيم صلاح عبدالصبور الذي تشرفت بالعمل مديرا لمكتبه، وفتح لي قلبه وبيته، وكان شاعرا وإنسانا نبيلًا حقًا، وليس مثل المتوحشين الذين يزعمون أنهم شعراء!

قراءاتي في الشعر تكاد لاتنقطع.. وقراءاتي في التاريخ وعلم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع تتواصل... مشاهداتي للمسرح الراقي الذي كانت تقدمه الدولة تتزايد.. إيماني على حضور الأفلام الأجنبية يترسخ.. حضور حفلات فرقة الموسيقى العربية بقيادة عبدالحليم نورية واجب لاينبغي التقصير فيه.. ويتوالى نشر قصائدي في مجلة «المجلة» التي رأس تحريرها د. عبدالقادر القط خلفا للعظيم يحيى حقي.. كما يتوالى نشر مقالاتي النقدية في مجلات عديدة، وفي جريدة «الأخبار» عن طريق أنيس منصور وفي جريدة «الجمهورية» عن طريق صلاح عيسى.. هل كنت أجمع بين تقيضين مثلما كنت أجمع بين هتار ولينين وغاندي؟!.. لا بالطبع... فقد كنت أعرف وجهتي... لكن علاقاتي الإنسانية كانت علاقات مرنة بغض النظر عن الاختلافات فيما يتعلق بالنظرة إلى الحياة وإلى السياسة، ومن هنا فإني أستطيع القول - مثلا - باني كنت صديقا لصالح جودت في نفس الوقت الذي كنت فيه صديقا لابن جيلي أمل دنقل الذي كان المقتبى الأول بكارثة نكسة يونيو - حزيران ١٩٦٧ والتي انعكست آثارها على كل أبناء جيلي، وصوروا أجواءها اصدق وأجمل تصوير، وأذكر منهم إلى جانب أمل دنقل - محمد إبراهيم أبو ستة - بدن توفيق - فاروق شوشة - نصار عبدالله (الدكتور) - يحيى الطاهر عبدالله - إبراهيم أصلان - جميل عطية إبراهيم....

ولكن جمال عبدالناصر لم يكن مجرم رئيس عادي لدولة من الدول... كان أمة في فرد... وبقيادة الزعيم بدأت حرب الاستنزاف المجيدة التي لم يعيش ليرى ثمارها، وإن كانت قد علمتبا جميعا أن هزيمة عسكرية في مرحلة من مراحل

المواجهة مع عدو عنصري لاتعني انكسار إرادة الشعب.

في مساء يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ وبعد فترة طويلة من تلاوة القرآن الكريم عبر موجات الإذاعة في مصر، جلست في مقهى بشارع التوفيقية مترقبا ومتوترا، وإذا بصوت مقنع بالحزن يقول: «أغلى الرجال...» وعلى الفور أدركت أن كارثتين قد حلتا بمصر وبالأمة العربية كلها... الكارثة الأولى رحيل جمال عبدالناصر.. والكارثة الثانية تتمثل فيمن قال: «أغلى الرجال...» .. وارتعت لمجرد أنني تصورت أن صاحب الصوت المقنع بالحزن هو الذي سيخلف الزعيم التاريخي لمصر وللعروبة. وفي رثائهم لجمال عبدالناصر كان الشعراء العرب أسبق الجميع في التنبؤ بما حدث لمصر، حيث انقلبت الأوضاع تماما، خاصة بعد الثورة المضادة يوم ١٥ مايو عام ١٩٧١، وبعد أن كان الثوار من كل مكان يلجأون إلى مصر، أصبح من يلجأون إلى مصر من أمثال شاه إيران الذي خلعتة الثورة الشعبية في إيران!

الحدث الإيجابي الوحيد الذي عايشته وعاشناه جميعا بعد رحيل جمال عبد الناصر يتمثل في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ المجيدة، ولم يعمر هذا الحدث الإيجابي الوحيد طويلا، فقد أوقع حاكم مصر نفسه وأوقع معه مصر في فخ لعين، يسمونه توهما: «السلام»... ومن بعده تتابع السقوط في الفخ اللعين، وأصبح الكيان العنصري الصهيوني هو المتجبر المتنمر المتفطرس.. وقد أثارني هذا السقوط واستثار روح الشعر في أعماقي، حيث تفجرت في هيئة قصائد ناقمة على كل ماجرى.



في السادس من أبريل عام ١٩٧٩ كانت هناك نقلة جديدة في حياتي وانعكست بدورها على كتاباتي... قبل ذلك اليوم كنت أعشق مصر - بناسها وترابها ونيلها - عشقا بغير حدود، وكنت قد تجولت في معظم مدنها وقراها من خلال الرحلات الجماعية التي كان ينظمها د. شوقي حبيب، وهكذا اتيح لي أن أتجول جنوبا حتى أسوان وبحيرة ناصر وبلاد النوبة وأن أتجول شمالا

حتى مرسى مطروح والإسكندرية ودمياط ورشيد وبورسعيد وبورفؤاد وأن
اتجول غربا حتى الواحات الداخلة والخارجة، وشرقا حتى الغردقة والقصور..
وأحببت مصر بجنون.

وفي ذلك اليوم - يوم السادس من إبريل عام ١٩٧٩ - ركبنا الطائرة لأول
مرة في حياتي، متوجها إلى الدوحة للعمل في جريدة «الراية» القطرية مع من
اختارهم رجاء النقاش للعمل فيها معه، ولم يكن رجاء النقاش يتوقع أن أصمد
طويلا في الدوحة وفي مناخ عمل صحفي يومي مرهق، لكنني صمدت بدل السنة
سنوات، وأصبحت الوحيد الذي شارك في «الراية» منذ صدور عددها الأول
ومازال يعمل فيها حتى الآن. صحيح أنني أحيانا أحزن حين أحس أن جنوري
الثقافية والإنسانية قد صارت بعيدة، لكنني - في كل اجازة سنوية وعلى
امتداد شهر كل سنة - أحاول تجديد الصلات مع الجذور العريقة، أما أبناء
الأجيال الجديدة فلا أستطيع الزعم بأنني أعاشيهم وأتابعهم بصورة دقيقة
متأنية. ما الذي شجعني على أن أظل في الدوحة بدل السنة سنوات؟... أمور
كثيرة هي التي شجعنتني، من بينها أن معظم الذين اختارهم رجاء النقاش -
باعتباره أول مدير مؤسس لتحرير الراية - كانوا من أصدقائي، كما أن
أصدقائي من طلاب قطر الذين كانوا يتلقون العلم في جامعات مصر أنهوا
دراساتهم وعادوا للعمل في الدوحة، هؤلاء جعلوني اتأقلم بسرعة مع حياتي
الجديدة في قطر، وأذكر منهم - على وجه التحديد - حسن محمد الحاج بإذاعة
قطر و د. علي يوسف العالي الاستشاري بمستشفى حمد ويعقوب إبراهيم الهيل
المهندس.. وغيرهم كثيرون ممن صادقتهم في القاهرة، فضلا عن هذا فإن البيت
الذي أقيم به في الدوحة قد تحول مع مرور السنوات إلى مكتبة كبيرة، تضم
إلى جانب الكتب والدراسات ودواوين الشعر مجموعة ضخمة من أشرطة
الفديو والكاسيت للمطربين والمطربات من أبناء العروبة الذين أحبهم، وأشهر
الباليهات العالمية التي أجد متعة روحية وأنا أتابعها من خلال تصوري أنها
تشكل قصائد رائعة، لكنها قصائد حية وراقصة. وإلى جانب هذا فإن ما
شجعني على أن أظل في الدوحة هو يقيني الراسخ بأن الأمة العربية أمة

واحدة، بصرف النظر عن تنوع البيئات والعادات وبصرف النظر عن
العنصريين والإقليميين الذين نجدهم في كل أرض عربية، فضلا عن تواصل
العميق مع الفنانين والشعراء والمثقفين من أبناء قطر. وإذا كنت قد ركبت
الطائرة من القاهرة إلى الدوحة يوم السادس من أبريل عام ١٩٧٩ لأول مرة،
فإنني ركبت الطائرة من الدوحة مرات عديدة متوجها إلى أقطار عربية شقيقة.
أذكر منها العراق واليمن والإمارات العربية وسلطنة عمان والمغرب، كما
توجهت إلى دول أوروبية هي بريطانيا وفرنسا وأسبانيا التي عشقتها - بحكم
التاريخ والشعر والصدقات التي أنشأتها - مثلما أعشق أقطار أمتي العربية،
وقد أتاحت لي زيارتي لتلك الدول الأوروبية أن أتجول في متاحفها الضخمة
والفخمة، وهذا ما أضاف إلى رصيدي الإنساني أشياء كثيرة رائعة، تجلت في
قصائد عديدة من شعري وفي مقالات نثرية من كتاباتي.



فيما يتعلق بهذه الدواوين التي تتعاقب - لأول مرة - في هذا المجلد، فإن
أول ديوان منها كان قد صدر عام ١٩٦٩ في طبعته الأولى وهو ديوان «الدم في
الحدائق» ثم تالتت الدواوين، حيث صدر لي «أحب أن أقول لا» - عام ١٩٧١ و
«قصائد عاشقة» عام ١٩٧٤ و «حينما يصبح الحلم سيفا» عام ١٩٧٨ و «انتظار
الآتي» عام ١٩٨٩ و «قصص الطوفان من نوح إلى القرصان» عام ١٩٨٩ و
«وجهها قصيدة لا تنتهي» عام ١٩٨٩ و «ما رأه السندباد» عام ١٩٩١ و «ليلي
تعشق ليلي» عام ١٩٩٦.

وقد رأيت أن أرتب هذه الدواوين ترتيبا تنازليا في هذا المجلد، بمعنى أنني
بدأته بأحدث ما صدر واختتمته بأول وأقدم ماصدر، حيث بدأ هذا المجلد بديوان
«ليلي تعشق ليلي» أما خاتمته فتمثل في ديوان «الدم في الحدائق».

لم أشا أن أكتب مقدمة لهذا المجلد، تتعلق بالشعر الذي كتبته، وإنما أردت أن
أشير إلى المكونات والعناصر التي جذبتني إلى آفاق الشعر وأن أشير إلى بعض
المحطات الرئيسية في حياتي والتي انعكست - بصورة مباشرة أو غير مباشرة

- على قصائدي.

كنت أطمح إلى إصدار مثل هذا المجلد منذ عام ١٩٩١ وهو العام الذي أصدرت خلاله «ما رأه السندباد» لكن شواغل عديدة تكفلت بالآتي جسد هذا الطموح واقعا محسوسا وملموسا الي أن أخذ كثيرون يحثونني على الاهتمام بإصدار «الأعمال الشعرية» وهي أعمال ليست كاملة بالطبع، بحكم أنني ما زلت أواصل عشق الشعر قراءة وكتابة. ولا بد لي هنا أن أذكر بعض الذين حثوني على أن يرى هذا المجلد النور .. أذكر من مصر أستاذي وصديقي فاروق خورشيد وأستاذي وصديقي رجاء النقاش والأستاذ صلاح الدين حافظ والدكتور جابر عصفور والأستاذ فتحي عبدالحافظ والدكتور مراد عبد الرحمن والأستاذ مدحت فاخوري... كما أذكر الكاتب القاص العربي - السعودي عبدالله الماجد والصديق الدكتور يوسف حسين بكار - من الأردن - والدكتور حسن الغرفي - من المغرب - ... ومن قطر لا بد أن أذكر الأستاذ حسين إبراهيم الفريان رجل الأعمال الكبير في قطر والخليج العربي والنواقة المرفه للشعر والمحب الصادق للشعراء العرب. وفي مقدمتهم شاعر العرب الأكبر الراحل محمد مهدي الجواهري، ولا بد أن أذكر أيضا الدكتور علي خليفة الكواري والدكتور محمد عبدالرحيم كافود والأستاذ عبدالرحمن سيف المعضادي والشعراء مبارك بن سيف آل ثاني ومعروف رفيق ومحمد بن خليفة العطية الذي يفرح دائما من الأعماق حين يسمعي قصيدة جديدة له وحين يستمع إلى قصيدة جديدة لي، كما أذكر ممن يعملون في قطر الأستاذ سلامة علي والكاتبة المبدعة ليلي الأطرش، ومن ليبيا العربية أذكر الدكتور علي فهمي خشيم والأستاذ المبروك محمد المعداني - أمين مكتب الإخوة الليبي لدى دولة قطر.

أترك الآن القلم، لأترككم مع الشعر، بعد كل هذا النثر.

«حسن توفيق»

الدوحة - ١٩٩٧/٨/٣١

ايلس تعشق ايلس !

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان أغسطس ١٩٩٦ .

الإهداء

إلى توأم الروح لأستاذى صلاح عبدالصبور ..
إلى أستاذى فاروق خورشيد .. وإلى أبناء
جيله من أعضاء « الجمعية الأدبية المصرية »
ممن تعلمت منهم الكثير .

حسن توفيق

فلامنكو أسبانيا الأندلسية

« إلى المستعرب الأسباني الجليل بدرو مارتينيث

موثبات ..

قالى لى .. إن العالم العربى كان يعجبنى فى

زمن المد القومى أيام جمال عبدالناصر ... »

انبهارى بما مضى .. بث روحى غنوة فى سمائك المخمليه

والفلامنكو فتَّحَ الورد فى القلب الذى صادته الوجوه البهيه

لم أزل عاشقا وقلبى يغنى للينابيع الضاحكات الصبيه

لم أزل عاشقا .. برغم وباء الكذب والزور والرؤى الشعليه

الفلامنكو حنين لزمان ضاع منك

والفلامنكو بكائى فوق أنقاض الزمان

إنه قلبى الذى يبكى مع « الجيتار » ... يحكى شاردًا عنى وعنك

ثم ينسى كل شيء غير عينيك وما كنا - مع الماضي - وكان

لم يكن وجهك المسافر وهماً إنما كان قبلي واشتياقي
لفتة من لوركاً إلى ذكرياتي تفتح الباب مُشرعاً للعناق
والينابيع فضة .. ويقلبي أغنيات تبكي زمانَ الفراقِ
وأنا في زمانك الآن جسر من دموع ووحشة واحتراق

الفلامنكو صبايا مستحبات بموسيقى كساها الكبرياء
في زمان عربي أبله النظرة يعدو صاغراً دون رداء
الفلامنكو عزاء
عندما أحضن يأسى في زمان عربي صادروا منه الرجاء

الفلامنكو يتادى ... فاسمعى يا قرطبه

خطو أجدادى على الأرض التى كم عمروها ثم ألفتهم بعيدا
واسمعى خطوة كوركما عندما كان يناجى روح أجدادى وحيدا
إنه الآن دموع بين أحداقك تنساب بروحى المتعبه

الاربعاء ٦ مارس ١٩٩٦

العصفور الغائب

إلى فتحي عبدالحافظ .. الكاتب والصيدق ..
الكاتب الذى أخفى مالىه من فن فى قمقم ..
والصيدق الذى رافقنى ورافقتة فى رحلة العمر

أبحث أحيانا عن لغة كانت تتفتح وردا فى الأعماق
كانت تسكن دوما فيها .. لاتبرحها
لغة كانت لاتجرحنى .. أو أجرحها
كانت تزهو وتطل من الأعماق على كل الآفاق
لكن ما كانت تحتاج إلى صوت يشرحها
الآن .. ورغم بريق الزيف الخادع فى الأحداق
أسألکم ملهوفاً أين العشق وأين العشاق ؟

وأقول لكم: يشواق القلب لأن يشواق !

مفتوناً كنتُ بعطر الفل ورائحة الأوراق على الأغصان
بضفافِ النيل المسكونة بالتاريخ وصبر الإنسان
وبشمسٍ تستيقظ فوق حقول الدلتا حتى السد بأسوان
كان العصفور يرفرف في الجو وفي نبض القلب
ينسيني - دوما لو أحزن - وجه الأحزان
ويطير سعيدا وبعيدا كي يفتح لي أبواب الأفق الرحب
فأرى وجه بلادى من خلف مزارع قطن أو كتان
وأرى إشراق الحب

مفتونا كنت . . .

هل يسعدنى أم يشقيني أن أتذكر ماكان

مفتونا كنت ..

لكنى الآن ..

سألكم : مَنْ قَطَعَ الأغصان ؟

من دس وباء المقت ؟

أسألكم ملهوبا : أين العشق وأين العشاق ؟

آه ياناسى .. يا أصحابى .. كم يشتاق القلب لأن يشتاق !

٢٠ فبراير ١٩٩٥

ليلي تعشق ليلي !

ليلي التي تعشق ليلي .. ليست امرأة محددة .. بل
لا تكون امرأة .. ليلي صورة معاصرة من «نرسيه
في الأساطير الإغريقية ، حيث عشق نرسيس نه
عندما نظر إلى صورته في الماء . لكن قصيدة ا
تعشق ليلي لا تنتظر إلى الأسطورة الإغريقية ، به
ما تنظر إلى التراث الأدبي العربي من مجنون ا
إلى أحمد شوقي

كلهم كانوا يغنون لليلي إنها مهجة ليلي لم تكن مشغولة إلا بليلى
هكذا مرت لكي تصغى لأشعار من المجنون حتى تتجلى
بين باقات الصديقات وتبقى هي أحلى
في عيون الشعراء .
وقتها تزهو بأن الشعر مبهور بليلى وحدها كل تسلى

بينما المجنون يهذى بعد أن ذاب اشتياقا وتداعى واضمحلا
فوق رمل الصحراء

من جمال الشعر . . . ليلي أصبحت أحلى أميره
جاءها العشاق يسعون إلى النجمة من أطراف أرجاء الجزيره
جاءها هذا بشعر ، جاءها ذاك بخيل ، جاءها آخرٌ محفوقاً بأموال وفيه
صارت النجمة أفعى حين تسعى في هدوء ناعم نحو الضحايا
جاءها «ورد» فصالت ثم صادت عزّه فوق الحشيات الوثيره
واستبدت كى تثيره

صارت النجمة أفعى حولها أكداش أموال وزوجٌ وهدايا
واحتوت مهجّة ليل كل من كان شجيا أو سخيا بالعطايا !

ياترى لو لم يُئح مجنونها العاشق بالحب وأشواق القصيده

لو تناسى « جبل التوباد حياك الحيا واجتاز أسوار المكيدة
لو تناسى وجه ليلي وتخلّى رغم ملح الجرح عن ذكرى عنيده
هل تُرى كان سيبقى وجهها في الذاكره ؟!
آه يا مجنونُ لو كنتَ كتمتَ العشق في تيه العشيات البعيده
آه لو كنت انتظرتَ الحب من ليلي جديده
كلهم كانوا يغنون لليلي الساحره
سحرها نسجُ خيالاتٍ من المجنون أبقته الليالي الدائره!

الاثنين ٢٧ يناير ١٩٩٢

السندباد .. والرحلة الجديدة

يتحفز الموج المراوغ قبل أن تعلو الصواري في مراسى السندباد
فيخبيء القلبُ المخاوفَ بين أوتار الضلوع
ويعود يُنشدُ للنهار المستكن قصيدة من نسج ليالات السهاد
ماذا سيحدث حين تنطلق السفينة في اصطخاب الموج بيضاء القلوع ؟!
الغيمة التحفت عباءتها وغطت وجهها بيدين هزهما الهواء
ماذا تحببىء للسفينة ؟ .
والريح نائمة على صدر المياه فهل ستبقى الروح تنعم بالصفاء ؟
ومتى تلوح جزائر مسحورة من بين أزمنة الترصـد والضغينة ؟ !

أطلقت أشرعتى .. ورحت

وحبيبتى .. بجماها المجتاح .. تبهر فى دمائى
وأنا أمام جماها .. وبكل نبض قصائدى .. بتنهدى .. بالحبُّ بُحْث
لكنَّ وجه حبيبتى وضع القناع وراح يغرى كلَّ مَنْ جلسوا ورائى
وشممتُ رغم قناعها عطناً يداريه القناع
فسألتُها ماذا جرى ؟ .. لا شىء .. قالت .. لم أزل لك واحة الحب
الأمين
وسألتها عما بها .. لا شىء .. قالت والدموع تفيض كى تخفى الخداع
الغيمة انسلت عباءتها ففاضت بالسيول .. وكلها كدر وطين

ألقيتُها فى البحر .. تنهشها وحوش البحر .. أو تهوى إلى القاع السحيق
وركلتُ ذكرها الكسيحه
إنى لمحت الغدر قبل هبوبه فأزحمتُ عنى وجهها حتى أفيق
ولكى أرى كوناها يغسل الروحَ الجريحه

مِنْ حزنِها . . ويحِثُها أن تبدأ الآن انطلاقاً بالسفينة من جديد
فلتنطلقْ ياسندباد إلى جزائرٍ من رحيق المسك ينبض قلبها
فلتنطلقْ ياسندباد لكي ترى الكونَ الفريد

الثلاثاء ٢١ يناير ١٩٩٢

لغة ليست كاللغة !

تتكلمين بلا كلام .. وجهك المرسوم في قلبي يدندن لحنه المترقرو
الصامت

فأحس أن بداخلي موجا من الإشراق يدفعني ويرفعني
من هذه الأرض التي تلقى علينا - حين نضحك - ظلها الباهت
لأطير في آفاق عينيك اللتين أراهما قد صارتا وطني

في زحمة الدنيا أسير بقرب ركب السائرين
لى عالمى ولهم عوالم حاصرتها الذكريات وراودتها أمنيات أو مطامع زائله
وأراك فى أعماق روحى وردة بيضاء تنعش عالمى وتثيره .. لكنها ليست
تبين
وتظل أحلى المفردات أمام حسنك خيمة مهجورة تتجول الأشباح فيها
ذاهله !

كم أعشق اللغة التي تتكلمين بها معي
أهناك معنى للكلام إذا تكلمت العواطف فالتقى وجه الصفاء مع
السكون ؟

أهناك معنى للكلام وصمتك الشادي يؤانس بالمحبة مسمعى ؟
أهناك معنى للكلام وما يقال
وأنت شاردة

وشوقى يفطف الثمرات من أحلى الغصون !؟

أنفاسك السكرى غناء مذهل يتردد
ويفيض كى يحبى الغصون إذا تغضنت الغصون وطالها عنف الشتاء
وأنا أمام جمالك الغافى أظل نخذراً وجوانحى تنتهد
وأقول فى عينيك شعراً صامتا تهديه أفئدة الأحبة للأحبة عندما يدنو لقاء
٢٢ يناير ١٩٩٢

لماذا أحبك ؟

أحبك .. قلتُ
وقبلك قلت لغيرك .. لكننى أدخل الآن حبك أنت
وأعرف أنك قبلى .. كنتِ
وأعرف أنى إليك انتهيت .. ومنك ابتدأتُ
كأن الزمان يعود بعمرى ويدفعنى - منذ عاد - إليك
كأنى قطعت بحارا من الوهم حتى وصلت إلى شاطئيك
وكان وصولى وصولا إلى قلعة من يقين
ترنحتُ قبول الوصول .. ترنحتُ حتى انتصرتُ
وجئت إليك بقلب غزاه الحنين الدفين
وحين وصلت .. أحبك .. قلتُ

لماذا أحبك ؟ .. وقع سؤالك يلذع .. لكننى ما أجبتُ
والحقتِ أنت .. تريدن منى جواب السؤال
تلعثمتُ حيناً .. وحين سكثُ
تأملتُ سرّاً من الطير حولي يحط الرجال
فقلتُ أحبك حبّ الذين نأوا ثم عادوا بنور اليقين
ورحّتُ أنسق حول جبينك عقداً من الفل والياسمين

أحبك .. قلتُ
لماذا أحبك ؟ ... ليس لدى الحب أى إجابة
ولكننى الآن أعرف أنى على شاطئك استرحتُ وسرتُ
وألقيت خلفى ظلال الكآبه ..

الخميس ٢٣ يناير ١٩٩٢

النسمة العاشقة !

كما تنعش النسمةُ العاشقه
وجوهًا . . كوتها شظايا من اللفح ذات ظهيره
ترقرقُ صوتك الشاعرى المفضض من قطرات الندى الغضة الرائقه
وجاء ليسكننى . . جاء ينعش روجى الكسيره
بأحلى نداء
وأبهى غناء

كأنى به جاء يحملنى فى هدوء المساء لأجتاز أسوار هذا الفضاء
وأنفض عنى رمالَ الأسى الجهمّة الحارقه
وأبعد عن أغنياتى الحبيسة ظل العناء

لأطلقها في رحاب المدى حرةً واثقة
هو الصوت ، مرآة قلبك ، يفتح أبواب قلبي
هو الصوت ينبض ، إنى أرى كائنًا سحر الوجه يسكننى
أرى كائنًا جاء يؤنسنى
فكيف تجسّد صوتك ؟ كيف استرحت إليه فأهديته نورَ عيني وقلبي ؟
وكيف إذا ما اكتسى بالدلال مضيئُ ألبى ؟
وكيف إذا غاب حينًا يحن اشتياقي إليه إلى أن يعود فيأسرنى !

تمر الحياة ، تمر الحياة الشحيحة بالناس كالصحراء
تمر بهم ، ثم تتركهم في فراغ العراء
يذوبون شمعاً على وقع نيرانها اللافتة
ويبقى لصوتك سحر الربيع وأزهاره الحلوة الرائحة

٢٥ يناير ١٩٩٢

العاصفة .. وموكب الجرح !

في ظلمة الليل المعلق بالرياح الجامحه
خطفتكِ أهواء خفيه
خطفتكِ أهواء التعلق بالزخارف في متاهات الظلال السابحه
أغرّت غصونك أن تغنى كى توافيها الطيور بدفء قُبَلَاتٍ سخيّه
وجلستِ حيرى مطرقه
تأملين النبع حين يدندن العشاق حول ضفافه المتأنقه
أو يرشفون الماء من موجاته المترقرقه
ويواصلون السير والتجوال في الأرض البهيّه

بيديكِ رحت تسممين النبع في طيش تَمَرَّدٍ

هل كنت تنتظرين أن يأتى الذين يصفقون وينظرون لك فى انبهار ؟
عذراء كانت روحك البيضاء . . . كيف رضيت أن يخفى نضارتها البوار؟
والنار تلتهم الغصون فأسرعى كى تنقذى من طيشها الشجر المهذذ

الروح ترقب درة أخفت سناها عاصفه .
الروح ترقب فى انتظار
ولكى تصونى أو أصونَ فلن نصونَ سوى عيون الأمنيات الخائفة
وأمامك الآن الخيار

ها أنت واقفةً بقرب النبع فى قلقٍ مغطى بالعطور وبالزخارف
تأملين النبع فى أسفٍ وتنتظرين أسرابَ الطيور الصادحه
وبكىت حين رأيت كيف ترنحت تلك الطيور من السموم اللافحه
ها أنت واقفة . . وكفّ الليل تدفع بالعواصف

تأملين . . وتدمعين
فالنبع كاد يحجب من نهم الشفاه الزاغمه
تألمين . . وتدمعين . . وتحلمين بأن تعودى فى صفاء الياسمين
والنبع . . آه . . النبع حنّ إلى الضفاف الهادئه



سحب مجوفة ومتخمه تواصل سيرها . . قد آنّ للطير الرجوع
لا تنظري للخلف إن شئت انطلاقا من جديد
ولتمسحى تلك الدموع
وتذكرى أن الصباح يرعم الأمل الوليد

٧ فبراير ١٩٩٢

أغنية للأحلام البعيدة !

نهران من فضه
ترقرقا . . فأطلقا الربيع من قمقمه . . وكان كالأسير
وكنيت في رشاقة قد رحت تجلسين في مقعدك الوثير
حديقة ممشوقة الأغصان والأغصان في نعومة الحرير
وكفك البضه
الوردة الغضه
تخدر الأجواء من ترقرق الأنغام
سألت نفسي خلسة : من يأتري يثر في روعي ندى الأحلام ؟
هذا البيانو ساحر أم أنتِ أنتِ الساحره ؟
همست في تنهد : هذا البيانو آلة . . وأنتِ أنتِ الساحره !

يانظرة مسكرة تعقبها غمضه
إنى أرى - يافرحتى - نهرين من فضه
والقلب من حسنهما يكاد أن يطير
يكاد أن ينفض عنه ظله الذى يحاصر الشروق بالأنين
يكاد أن ينفض عنه ظله الكسير
يكاد أن يهرب من عالمنا لكى يذوق قطرة من اليقين
وبعدها فلتكن الحياة كيفما تكون
أغنية ندية فى واحة ، أو غابة تنهشها خطى الظنون

والآن . . والنهران قد غابا عن البصر
أحس أنى تائه . . وأن قلبى فى الهجير بالصخور يرتطم
فهل تُرى ألقاهما بعد البعاد علّ جرحى بالحنان يلتئم
أو أن قلبى واهم . . وما رأيتُ كان وهما رائعا . . عَبَرَا ؟

الخميس ١٣ فبراير ١٩٩٢

التمثال الذي كسرتنه !

كيف كان الخواء يوم عرفته ؟
كان وجهها مزوقا فعشقته
كنت أهديه من حداثق قلبي
وترا صادحا بشعرٍ نرخته
كان يخال ناعما وهو يصغى
للذى من دمي نرختُ فصغته
واستوى تمثالا بديعا بجهدى
وله عشت هائثا مذاقمته
ظل هذا التمثال ينضح زهوا
وبقيت الشريد لآ صنعته
كم وعود حسبتها ستوفى
وطريق إلى التلاقى مشيته

وليلٍ عبرتها فوق مرج
من ظنون ولم أجد ما ابتدعه
سنوات مَرَّث بأغصانها من
شرفة العاشق الذى بُعَّ صوته
حسرتى .. إن فى الشرى ما تداعى
بعد أن كان شاغحا حين صته
حسرتى .. إن فيه شوقا دفتته
إن فيه الذى مضى واحتملته
كان وجهها مزوقا بفتاع
كان وهما مزخرفا .. كيف عشنته ؟
لم يكن جوهرا نقيصا .. ولكن
كان تمثالا خاويا .. فكرته !
٣٠ سبتمبر ١٩٩١

أغنية للقادم

عشب طرى مستكن .. عششت كفى لديه بنشوة مستغرقه
لأنها العصفور حين يحط فوق الغصن منتشياً ..
ومتظراً شروق الشمس فى صبح وليد

ياعشب .. ياناعم
أطلق جنونى للنضارة والتفتح مثلما تلهو مع النسمات عند مرورها الحالم
ودع العصفير التى فرت إليك من الزمان .. مع الأمان مزققة
ولتهدد للروح الحزينة نفحة العطر المسافر ..
فى شرايين الهواء ليشرق النغم السعيد

ما أروع الحسن الذى يسخو على روح تفجر حزنها القاتم
ما أجمل الدنيا إذا كان الصفاء بها هو المتبسم القادم

كَفَى من العشب الطرى ندية . . وروائح الفل الذى يفتحُ
تحتل ذاكرتى فأنسى ما رأيتُ من الصخور وما عرفتُ من الوجوه
ويظل وجهك وحده . . فى حسنه قلبى يتوه
وعلى بساطٍ مرمرى يستفيق . . ويصدقُ
وبحيرة الأسرار فى أعماقها روح بهيه
أطياها تتأرجحُ
قرب الضفاف الغافيات على وسائدٍ منديسه
تمتد من روحى إلى أقصى حدود الأفقِ حيث البدر طفلاً يلمحُ

هذا هو القادم
من أفقه . . متبسماً يأتى مع البدرِ
فافتح له الأبواب فى رفق وفى يسرِ
يا عشب . . ياناعمُ

٣ فبراير ١٩٩٠

الوردة .. والعاشق

رحل في الليل أنادي .. آه يا أبى حديقه
بدرك الأشقر موسيقى من الصفو التفت في نشوة كي تتجمع
باقه فيها عبير مستكن .. يتضوع
يخطف الروح إليها عبر درب من حرير فيه أنسام رقيقه

ها هو الثلج الصبح
يتعري - كل فجر - مفشيا أسرار إشراق الجمال العبقري
واصل بالدفء والإشراق روحا تتلاقى بعد أشواق بروح
مطلقا قلبى مسحورا ومبهورا على جسر الصفاء المرمى

ياله من جسر حب يصل النبع بأشجار إلى الخصب ظميه

يتلاقى فيه قلبى بشذى فل وجردنيا وأزهار القرنفل
ياله من جسرٍ حب يبعدُ الدنيا الشقيه
عن خيالى .. ويوافيني بأصداءٍ غناءٍ صاعد من قلبٍ بلبل



وردة فى الروح والأرض صحارى والصحارى دون ماءٍ راقده
وردة تفتح بابا لنهار معلن عن نبعك الصافي المخبأ
وردة فيها حياة ووعود وافده
وردة تسخو وتنسى ذاتها كى تستعيد الأرض ماقد كان مرجأ



تشهق الوردة عطرا حينها تُقطفُ بَعَثَه
يغدق النبع عطاياه لكى تصحو الصحارى ويطل الإخضرار
يثر المسك غزالٌ نازفٌ يشهد موته
هكذا العاشق يهدى الناس شمسا حلوةً إن حوصرت شمسُ النهار

الزئبق الجميل

حاصرثنى الألفاظُ واغتالت الصفو وأخفتُ حدائقَ الحسن عني
كل لفظ مزخرف بقناع يسكب الزيفَ في المدى المطمئن
كان في وجهك الجميل صفاءً فيه إشراقة وسحر يغني
فلماذا الألفاظ ألقَتْ عليه ظلها الداكن الذي هاج حزني ؟



إن صمتي لحسبك الآن يصغي فلتصومي صديقتي عن كلامك
لاتقول متى اللقاء ولكنْ أطلقسي الطير من قيود منامك
واقطفى وردة السكون برفقي وانشقي عطرها ببعض اهتمامك
لغة الصمت واحة تنعم الروحان فيها برغم جرح خصامك



لغة الصمت واحة تهجع الأحزان فيها وتوقظ الصبر غصبا
حينها تشفقين بالوعد أيامي وتلقين بانتظاري أرضا

وتقولين إنما الوعد أصداءٌ لغيمٍ يثير في الجو ومضًا
وعلى العاشق انتظارٌ لوعدٍ قد يوافي أو يشخن الروح رفضًا

يا نهارى أنت امتداد الليلِ أفلكت الوهمُ مارداً من يديه
كم توهمت في الظلال خيالاً قادمًا والحنين يبدو عليه
وتوهمت في الفضاء الشرياً نور ترنيمَةٍ على شفثيه
وإذا الوهم ساخر من خطي قلبي إلى الوعد وارتدادى إليه

في جحيم البعاد قلبٌ يعانى والليالى تترجم الشوق نارا
حوصرتُ فرحتي بظل كئيب والأسى يُشبع الأمانى حصارا
هل تظل الوعود تجرف أيامى وتطويها حسرةً وانتظارا ؟
ألف شكر صديقتى فلقد أصبحتُ أرضاً من الوعود بوارا !

٣ مايو ١٩٩٠

في انتظار الصباح

آه من سرب حمام حطّ فوق الشجره
فإذا غنّى تشنّى غصنُها من نشوة باللحن ممزوجا بعطرٍ
وإذا باح بسر . . رقرق السرّ هديلٌ مقمر الإيقاع يسرى
وإذا شف حنيننا وتأسى مسّ أوتار الورود النضرة
وإذا ما ارتاب حينا في عيون العابرين
راح يُخفى أثره
فانزوى داخل أعشاش من القش وأغفى مطمئنا دون ذعرٍ
راضيا أن يتخفى . . قانعا أن يستكين !

فاض في القلب هديلٌ وتوالى موجه في عمق نومى يا حمام

وتراءتُ، لى تراتيلُ يَنابيعِ الخصوبه
حَوَّلها العشبُ يغنى أغنيات للوثام
قمتُ مبهورا بحلمى . . قمت مبهورا لآلَى الوهم قد أفرغ كوبه
بين حلمى والقيام
تاركاً عبء الظلام

حين ناحث صحراء الشوق وامتد ظلامٌ عصبى لايتوب
أوقد القلبُ مصابيحَ النجوم المطفأه
وعلى أنوارها ناديت أيامى التى كاد يغطيها الشحوب
وتأملتُ بساتين الأمانى المرجأه
وتدفأتُ بأشواقى إلى أن تتفتح
بعد أن طال الجفاف
بعد أن صرت أخاف

من خريف يترك الأوراق حيرى تترنج

آه ياسرب الحمام

ما الذى تخفيه عني عندما يطغى الظلام !؟

كلما أطرده خوفي أشتهى أن أشهد اللحن الربيعي يضيء

في زوايا الذاكره

إنما الضوضاء تسري فجأة عبر ممرات الحياة الهادئه

فأرى الخوف يجيئ!

هل تُرى تدري بأن الخوف يجتاز حصوني حين يلقاني وحيدا

رَدَدَ الآن هديلاً مقمر الإيقاع يسرى . . لا تكن عني بعيدا

آه ياسرب حمام حط فوق الشجره

إن روحي لك دوما بالمنى . . منتظره

٧ فبراير ١٩٨٩

الأرض ... والمطر

يتلاقى الشاعر مع المفكر في أن كلا منهما
يجلم بالمستقبل .. فيلى الصديق الكاتب المفكر
د. على خليفة الكواري .. أهدى «الأرض والمطر»

شجر بلا ثمر يطل .. وأرض آمل تظل حديقة مترقبه
والأفق غيم جائر .. يبقى يزيجر دون إمطارٍ ويقذف بالرعود
وكأن قلبك ياسماء يثور صخرًا لا يجود
إلا بمائدة السراب .. تذوق خدعته العيونُ الظامئات المتعبه
السائرات مع الأسى فوق الرمال المجدبه
وكأنها مِرْقٌ تطوحها العواصف للشواطئ عبرَ موجٍ من جحود

يامن تخادعك الوعودُ وما يزخره الوجودُ من التعلق بالوجود
الأرض تحتك جثّة مطعونة... بعرائها ودمائها تتوشحُ

والأفق سجن للوعود
والبحر لا يهب الورود ، وفي أقاصى قاعه يطويك حين تُلوحُ
فاترك صباحك للظلام لكى تنام بلا حدود
وتفر من ثقل القيود !

الأفق غيم بجائر . . لكنه فى لحظة مسحورة يترفُّ
فى لحظة . . قسما لها مسكونة بالشوق للإشراق يسخو بالمطر
فيزيح يأسا جائئا فوق الصدور كما الحجر
إذ ترتدى الأرض الحزينة خضرة تحيا بها وبثوبها تتأنقُ
وتظل رغم جراحها ترنو لشمس تشرقُ
تهدى سناها للثمر

مطر على وجه الشجر

مطر على قلبي ومن حولي فراشات تُجْبىء نفسها خوفَ البلل
مطر على أحلامنا الخضر التي أبقت لنا من روحها حلو الأمل -
مطر على كل الحدائق والشوارع والبيوت ، على البداوة والخضر
مطر لننفض عن خطانا ما كسانا من كسل
مطر لتكتحل العيون كأن وجه البدر فوق الأرض غنى واكتمل



قد آن للأغصان أن تخضر من بعد الجفاف وبعد أن عطش الشجر
أرض الأحبة جنة . . لكنها مشتاقة للخصب يحييها فيه
أرض الأحبة جنة تترقب السحب السخية
فالأرض إن عطشت طويلا أصبحت أرضا معذبة يشققها الكدر
قد آن للأغصان أن تخضر . . أن تزهر بهيه
فمن المحيط إلى الخليج مدائن تصحو لتنتظر الحياة مع المطر

٢٩ مارس ١٩٨٩

الطريق الطويل

لو كان قلبى يطير	لكان شق الأثير
مبارحا أفق دنيا	تلهو بمن يستجير
وساعيا إثر حلم	عبر الفضاء الوثير
حيث الثريا تغنى	واللحن حلم منير
والبدر يوحى بشعر	منور فى الضمير
لكننا الريح باحت	بسر قلبى الكسير
حيث انزوى مثل طير	مكبـل لا يطير
يكاد يخنق شجوا	والشوق فيه أسير
لعالم يتلاشى	منه الظلام المير
وينهض الحب فيه	موشحا بالحريـر

بعد الذى قد رآه
إذ خابت الأرض مسعى
وما أغاثت ورودا
ولا أظلمت حيارى
يا أيها القلب صبرا
النبع يوما سيسخو
من قُبْح وجه المصير
بالطيش طول المسير
قد اكتوت بالهجير
قد ارتموا فى السعير
رغم الأسى المستطير
والورد يفشى العبير

٢١ أبريل ١٩٨٩

الوردتان

تراقصان الصباحا	تلوح لي وردتان
يضيء قلبي انشراحا	وتبدعان ربيعا
ومنها العطر فاحا	وفيها طهرٌ ثلج
طيفان بالنور باحا	وفيها قد تلاقى

على عوالم سحرك	إذ توقظان نهاري
دنيا تموج بصدرك	فأجتلي بعد سهدي
إلى اللقاء بثغرك	ويدفع الشوق قلبي
أبقى أحنّ لبدرك	وإن تجنّى ظلام

أدنو من الوردتين	ياليتني عدتُ طفلا
مداعبا باليدين	وأمسكُ الغصن حيناً

فيترك الشوك جرحا ويبحر الجرحُ عيني
لكن تلوح صحارى بين الربيع وبينى!

تري أرانى أغنى وقد خلعتُ صبايا
ولم يعد فى ضلوعى إلا بقايا شظايا؟
إن جدتِ أو لم تجودى فقد طويتِ أسايا
مذبتِ روضك عشقا والعشق أصبح نايا!

٢٥ أبريل ١٩٨٩

الضفاف الحزينة

يا أيها القلب بح لي بسرّ ماقد حويث
من شاطئ غامض أم من خيمة السحر أم من قرارة النار جثت ؟!
فأنت منذ ابتدأت
طفل يجن بنار العشق التي من لظاها اكتويت مما ارتضيث!

تركنتى هائما في الأرض التي أصبحت شوكا حينما ذبت عشقا
هل قلت إنى سأشقى
حيث الورود رماد والذكريات سهاد من قبضة الريح تُلقَى
أم قلت مالم يقله الموج الذي انهث فوق الرمال فاشتدّ شوقاً ؟!

إذا سقيتَ ورودا تدافعتُ فيك شوكا مطرزا بدمائك
وإن تلاقى وجوه على ضفاف عطائك
تجمعتُ بعدها كي تدس سما خفيا يصول في حلو مائك
فكيف لم تنتبه أيها السعيد بدائك؟!

عنفتُ قلبي كثيرا
لكنه راح كالعصفور الطموح بعيدا ، فصار طيرا أسيرا
ولم يَبْحَ لى بسر ، ولم يزل مستجيرا
مخلفا ريشه الدامي مهملا ونثيرا !

٢٥ أبريل ١٩٨٩

رحلة مع الفل

على ربوتين من الفل دفء ثلوج ربيعية ، يحتوى حضنها من يراها
ولكنها لا ترى بالعيون التى تبصر الحسنى كى تحرقه
وتحت الثلوج حياة تضج وتوحى بأسرارها المغلقة
وينسكب الحلم عطرا مثيرا تجود به الروح فى خطوة حلوة من خطاها
وبين الغصون الكثيفة رحت أخبىء حزنى وما قد عبر
مررت بكفى على خصلات الغصون أداعب غصنا وأقطف زهرة فل
على خصلات الغصون توزعت بين نعيم الرقاد وبين بهاء السهر
فأشرعت قلبى ليكتب : إنى أحبك رغم سجون الوعود التى لا تطل
ومن ذروتين سها عنها الثلج رحت أسير إلى منحدر
وكان الطريق طويلا يقود خطاى إلى النبع ، والعشب يخفى الضفاف
النديه

تلهفت الروحُ للماء في النبع .. كانت ظميه
ولكن طيرا عبوسا أتى صارخا ، حاصر النبع طيشًا وصادر صفو الشجر

هى الروح تجتاز أرضًا بها الفل يبدو .. ولكنها مستكينه
وأنتِ على البعد تبدين خوفا على عاشق ذاب عشقا نبيلا
ويبقى الطريق إليك طويلا

ويبقى من الفل عطر يداوى الجراح الشخينه

١٢ مايو ١٩٨٩

المسرح المغلق

ما الذى يخفى المسرحُ
رغم إشراقة النشيد ؟
إن ألقى ستارة إنما ليست تُفتحُ
والزوايا لا تفصحُ
بالذى تطوى موجةٌ يتلاقى فى عمقها الموتُ بالزورق الشريد
أيها الأصدقاء كيف يغنى قلبٌ وحيد ؟!

القلوب التى نأت عن طريقى كما تريد
أطلقت سحكةً وغابت على إثرها بكل أغانيها الصادحة
والرياح التى تعيد

بعض أصدائها غَفَتْ فانزوى خطوطها الفريد
آه مما يندو هنا .. كان ورد موشح بالندى ، حلو الرائحة
يتشنى في خلوتى . . ثم جافانى دون وعد بلىيانا من جديد

الحمامات تلتقط الحب من كفى وادعه
حيث تنزاح وحشتى فأوا فيها بالمنزى
والمناكير تجرح الجلد في كفى فجأة .. والمدى أفعى جائعه
المناكير تجرح الروح حتى لاتستعيد
أى حلم إلى البعيد

وأنا أسأل المدى : ما الذى يخفى مسرَّح يجرُّح الروح الضائعه ؟ !

٢٨ ابريل ١٩٨٩ م

في انتظار الصفو

الأفقُ لحن منير يكسو حديقةً فل
عبر النوافذ موسيقى أشرقَتْ ثم فاضت لتوقظ الأمنيات
هذا صباح جميل . . إشرأفه أغنيات
فلتنهض الروح مغسولةً بأنداء طل

هو الحَمَام بدور مسحورة تتشنى مع الصباح المجنح
هديله نهرُ فضه
يمتد عذبًا طليقا إلى أزاهر غضه
فتكتسى ببهاء النور الذي يفتح

يا أيها السحر عش للقلب الذي أشرقَتْ فيه فرحة المهرجان
رفرفْ على أرضنا كي تبث فيها الحياة

رفرف لكى نستهي أن نحيا ونطوى الزمان الذى أضاع الأمان
رفرف لتهدى الينابيع فيضها للشفاه

عشتُ الذى عشت لكنى فجأة شخْتُ خوفاً ووحشة وارتياعا
وجه السماء تكدر
وفرّ سرب الحمام الذى رعته عيونى . . فعشت كى أنحسر
والقلب فاض التياعا

وجه السماء انتظار بكل حزن السجين
لكنه يشتهى أن يعود حلواً بهيا فى موكب يتألق
هذا هديل الحمام الذى توارى يوافينى دافقا بالحنين
والقلب لما يزل - رغم ضيقه - يتشوق

٢٨ أبريل ١٩٨٩ م

انتصار

برغم تجهم وجه الزمان وطعناته للشروق الوديع
تفتح قلبى - كما يشتهى عادةً أن يكون - فأصبح زهره
توالت عليه جموع من النحل تمتص عطره
وأصبح يسخو - كما يشتهى عادةً - فانتعش
وحين أحسّ بنار العطش
تناءى الجميع
وراحوا يذبيون بالبعد قلبًا ذوى وارتعش
ولم يأتِ أى بأية قطره
ففر من الأرض طيفُ الربيع
وفضّل أن يكتّم القلبُ سره
فأصبح صخره

تَقَاذَفَهَا صَبِيَّةٌ يَلْعَبُونَ !
... أهذا الذى يشتهى أن يكون ؟ !
سؤال تمَدَّدَ فى شكل حَسْرَةٍ
تمنيتُ لو أن قلبى يفتيق من الوهم كى يصبح الآن جمره
تصب لظاها على كل من غادروه وراحوا
تمنيت لو أنهم لحظةً ما استراحوا
تمنيت ... لكنَّ قلبى تحرر من سجنه
تَفْتَحْ زهرا - كما يشتهى أن يكون - فعاد إلى حُسينه
وقال : أبعد المحبة تكره ؟ !

١١ مايو ١٩٨٩

ما رآه السندباد

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان أغسطس ١٩٩١ .

الإهداء

إلى الدكتور عبدالقادر القط
الإنسان النبيل والشاعر المرفه والناقد الكبير

أشجارك تبدو دوماً مخضرة للذين لهم عيون، ولأن جذورها راسخة وأغصانها
شائخة فليس عجيباً أن ينظر إليها بغیظ وضيق أولئك الذين قال عن أمثالهم
العميد العظيم طه حسين انهم لا يعملون ويؤذيهم أن يعمل الآخرون، وهؤلاء لا
يحسنون سوى نفث الحق ولا يطلبون إلا أن يطبل لهم من حولهم، ناسين أنه لم يبق
لهم إلا الاعتراف بخيبة مسعاهم.

لقد مددت يدك بالحب وبالرعاية للجميع، ويكفي أن شعراء جيلي قد تألقوا
على صفحات مجلة «الشعر» ومجلة «المجلة»، كما تفتحت مواهب عديدة جديدة في
«إبداع» عبدالقادر القط.

أمامك.. وأمام أساتذتي الذين تعلمت منهم الكثير.. أكاد أحس بالعجز
والتقصير، لأنني لا أملك لك ولهم سوى الحب.

«حسن توفيق»

ما رآه السندباد

كلما قلتُ سابقى في بلادي بين أهلي وصحابي والعبادُ
دحرجَ القلبَ على الأشواك تيارُ الضجرِ
فتشبَّثُ بحزني.. وبحلمٍ كاد يخبو.. وتذكرتُ السفرَ
عندما كنت أرى وجهي على مرآة موج البحر معترا
بأن الوجهَ وجهُ السندباد

آه كم كنتُ أحب الخوض في قلب الخطرِ
آه كم كنت أغني عندما أكشف نارا حوصرت حيناً
بأكدايس رمادٍ ورماد



صَجَرَ شَوْكٍ قلبي إذ أرى ناراً ولكن لا أرى فيها اتقادُ
وأرى الفجرَ يوافيني بأشياء تُعادُ

وأرى ناساً يفيقون مع الفجر.. يروحون.. يحيئون..
ولكن بابتسامات مريه

خبأوا سمّ الأفاعي في ثناياها الرطيه
كلّ ما يغري بأن يستأنسوا يبدو متاحاً
إنما كلّ صباح يتهادى في لقاء بينهم يشكو الجراحا

مرة أخرى يلوح البحر ملتقاً بشال الزرقه الشفافِ
والريحُ تناديني لأرحلُ

قلتُ للقلب تشجع واحتمل ليّل البعادِ
لا تودعهم وسرّ نحو طريق البحر وأبدأ رحلةً أخرى مثيره
أطلق الحلم الموجلُ
وانشر الحلم شراعا وتفتّح لاكتشافاتٍ ستحييك وتحيها
متاهاتُ السهاد

وليفض من بعدها نبغ حكاياك شجيا راوياً عن عاشق
يختار في الدنيا مصيره



شقت الريح السفينه
حوها الحيتان أفواه تخيف الخوف.. بحر يترامى.. لا يحُد
ليس في عيني دموع.. ولهذا لست أبكي..

رغم أن الرعب يمتص سرايين السكينه
ليس في عيني دموع.. فأنا أبغي انطلاقا نحو شيطان أمينه
جسدي في الماء يصطك ببرد همجي وظلام الليل سد
وكفاح الروح كي تبلغ أرضاً هو للإنسان تاريخ ومجد



قطعة من خشب تطفو وعمرى كله يا رب في الماء معلق

موجةٌ في عمقها ذوبٌ ترانيمٍ لأسرابٍ طيورٍ صادحه
حملتني بين أحضانٍ مداها فانتشيتُ
ومع الليلَ بدَا نجمُ الثريا من بعيدٍ مطمئناً يتألقُ
ثم جاءت موجة تلطم بالأحقادِ أخرى ليجيش البحرُ موجاً
بوجوه كالحه
ها هو البحرُ قبورٌ من مياهٍ تشبهاني.. أيكفي ما رأيتُ؟!

ها هي الأرضُ أخيراً.. ها هي الأرضُ جزيره
وأنا ملقى على الرملِ وأعضائي كسيره
جثثُ الغرقى أمامي في قبورٍ من مياهٍ تراءى طافياتُ
أه يا عيني أراها ووحوش البحر تنقضُّ عليها في ثبات
وعلى الأرض كنوز.. ذهب ملقى وخيرات..
وماسات منيره

حَوَّلَهَا الْحَيَاتُ تَصْطَادَ حَيَاةٍ مِنْ ضَحَايَاهَا وَتَمْضِي لِلْسَبَاتِ



بَيْضَةَ الرِّيحِ رَأَيْتُ

وَرَأَيْتُ الْغُولَ يَنْقُضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ مَسْعُورًا وَيَشْوِيهِمْ

عَلَى النَّارِ لِحُومًا بَشَرِيهِ

دُونَ أَنْ يَنْطِقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْأَحْيَاءِ مَحْتَجًا وَيَمْضِي

فَادِيًا بِالرُّوحِ أَرْوَاحَ الْبَقِيهِ

وَرَأَيْتُ الذَّهَبَ الْمَلْقَى هَبَاءً وَخَطَى الْغُولُ بِقُرْبِي

وَأَنَا فِي بَثْرٍ أَحْزَانِي ارْتَمَيْتُ

صَحْتُ مَقْهُورًا بَرْغَمِي: يَا بِلَادِي.. أَيْنَ أَهْلِي وَصَحَابِي وَالْعِبَادُ

لِيَرَوْا أَنَّ كُنُوزَ الْأَرْضِ مِلْقَاءُ عَلَى الْأَرْضِ بِلَا مَعْنَى..

وَأَنَّ الْحُبَّ أَبْقَى وَالْوَدَادُ

٢٦ يَنَآيِرَ ١٩٨٨

حصاد الرحلة

يبتاحني شوقي الجموح.. فلا يُصدُّ.. ولا يُردُّ
شوقي.. خروج الموج من بحر إلى بر لكي يلقى مصيرا غامضا
فوق الحبيبات الرشيقه

روحي ترفرف في حديقته
عطشا إلى نبع وورد
والنبع أصفى ما يكون
والعشب حول صفائه متلثم حيناً، وحيناً مائل قليلاً الظنون
حين النسيم يداعب السطح الذي تتحول الموجات فيه لأغنيات
يصطادها العشاق أو تغفو على صدر السكون
لكن هذا النبع مثل الأمنيات الشارداث
متنمّع أبدا.. لكيلا ترتوي من مائه وصفائه إلا العيون

وتظل روحي في الحديقة
أبدأ ترفرف في الحديقة
وحديقتي.. أزهارها المفتحات لآلىء سكرت من اللغة الرقيقة
لغة الندى.. قبل التسرب في نهار من غسل
أو في نهار.. تولد الضوضاء فيه من الخطى
والدمدمات المستفيقه
وورودها المترنحات تميل من فيض القُبَل
حيث الفراش المستهام يُنيم أجنحة مزركشة..
ملونة بلون الحلم في أحلى منام
ليث أشواق الغرام
وتظل روحي في الحديقة صرخة عطشى
والغيم.. غيم الصدّ يحجب ما تراءى من ورود
والصمتُ يشبع صرختي ببروده نهشاً

والجو ينذر بالرعود

يا جالسين على ضفاف النبع حيث الأغنيات الناعمة المؤمنات
هيا اشهدوا عطشي الذي لا يستجير ولا يهون
هيا اشهدوا نحله
للورد... تبتهلُ
ما أطيّب الرحله
لو أنها تَصِلُ
يا ناظرين إلى الغصون
هيا انظروا لتروا دمي ينساب لكن لا يجفّ على الغصون المدميات
هيا اشهدوا شوقي الجموح
يسعى إلى وردة
يسعى.. ويهزأ بالجروح

ويظل منطلقا.. لكي يهدي لها وُدّه
يا ناظرين إلى الورود
لم أجنِ غير الشوك في زمن يلوّحُ بالوعود ولا يفارق أو يجود!

٧ نوفمبر ١٩٨٧

ترنيمه للبدر

إلى الأستاذ حسين الفردان .. مع حب لا يتدد،

وانها يتأكد ويتجدد ...»

أبـاقـة نـور في دمي تفتـحُ

أم البدر يجتاز الظلام ويصدحُ

يشـفـ رـهـيـفا في بهاء حمـامـةٍ

تـرفـرف في لين وفي الأفق تُلمـحُ

ويغمر روحي فضةً مستحمةً

بأنـداءٍ أزهار بها العطر يمرحُ

فـا بـدر أحلامي أراك ملكتنـي

وطوقـت أجـوائـي بحـب يـجنـحُ

صفاؤك موسيقى ووجهك جنة

تسوق إليها الأمنيات وتطمحُ

أراك بهيّا باستدارةِ طلعةٍ
مدللة الإيقاع بالسحر تفصحُ
كأن يما بئْتُ فيها هديله
وخلاه نوراً للحبارى يلوحُ
فتهفو إليك الروح عطشانةً المنى
تقول: متى لقيّا الأجابة تسبحُ
ويلقاك قلبي في السكونِ بنشوةٍ
تمد له جسراً.. من الجلبمِ أفسح
وإن غبت عن عيني أبيتُ مسهدا
ففي البعد تمتد الظنون وتلفحُ
ويبقى يناجيك الخيالُ لعله
يوافيك بعد البعد في الليل تسبحُ

ويبقى انتظاري في الظلام يشدني
لهالاتك البيضاء والشوق يفضح
إذا كان ذنبي أنني لك عاشق
فإنك بالنور المنعم تصفح
وإنك نبع من حنان يضيئني
بباقة نور في دمي تفتح

٢٢ مايو ١٩٨٨

الجمرة والنبع

نبع من الطيب يستلقي به العشبُ
مستبشراً بشروقٍ .. نوره يجسو
والعشبُ يبدو وسادا لئناً سكرت
أطرافه بندى من فوقه يصبو
والورد قرب ضفاف النبع أوسمةً
قد شكلتها يدٌ يهفو لها القلبُ
وللعصافير موسيقى بمنحمة
من كل أغنية يسري صدى خضبُ
بنساب فوق مياه النبع في دعية
كأنه الحلم مبهورٌ به اللبُ
أسندتُ رأسي على العشب الطري لكي
أصغي لما في عروق الأرض ينصبُ

فحاصرني مُدَى الأشواقِ جامحةً
وأيقظت في دمي نيرانها الشهبُ
صرختُ يا نبع.. قلبي جمرٌ خفقتُ
فهل يرقُّ لها إشراقُكَ العذبُ؟
فجاوبتني مياه النبع هامةً
انفض عن العشب يطفئ جمرَكَ الحبُّ
وطف بروحك في أفق له لغة
تسموها النفس لا شوك ولا كربُ
واشرب من الصفو إذ يأتيك مؤتلفاً
والحسن في وجهه يحلو به القربُ
واستهض الروحَ بالآمال تطلقها
وانشر جناحيك.. إن المرتقى صعبُ
١٧ يونيو ١٩٨٨

القصيدة والغزال

ليلٌ.. وطفل ساهرٌ
جاءا معا يتجاذبان الروحَ من إغفاءة نَعَمَتْ بها بعد العناء
وتدافعا في عالمي.. والصمتُ فيه مسامرٌ
يستعجلان الروحَ حتى تنجب اللغة الخفية كائناتٍ
تقهر الصمتَ المسامر بالغناء

تتكشف اللغة الخفية عن غزالٍ يصعد التل الذي يكسوه بدرٌ
ناعسٌ بندى الضياء

هذا الغزال النافرُ
أنفاسه نغماتٌ ناي رفرفت بطيوفها البيضاء في صفو الفضاء
وتشكلت صوراً منورةً على طول المدى يهفو إليها الشاعرُ
وأنا هنا في عالمي ودمي حنينٌ صابرٌ

والقلب مختلجٌ كصدر البحر إن عصفَ الشتاء
أدنو فتأى حلوةً بدلاها.. ليشدني شوق خفي أسرُ
والوجه يبقى مائلا ببهائه في ليل أحلامي على أمل اللقاء

في وحشة الصحراء أنيابٌ مسننةٌ تتوق إلى بحار من دماء
والشوك في كل الزوايا
والأفقُ إعصارٌ من البارود يقتنص المباهج والوساوس والضحايا
والتل يفضحه الضياء
فاهرب بحسبك يا غزال
اهرب بحسبك يا غزال

يا ساحر العينين حاذرٌ وانتبه.. قلبي معك
المسك في دمك الرهيف وأنسَ في روحي كإشراق المنى
.. ما أروعك

ها أنت فوق التل تصعد ثم ترنو في دلال
والحسن يبحث عن قناعٍ موحش كي يحتمي
من نظرة الوحش السفية

وأنا هنا في عالمي لا حول لي كي أفتديه
فالصائدون تسابقوا بداهتهم وتأهبوا كي يأسروا هذا الجمال
انظر.. فإن يمامتين شجيتين تغتتا.. فتأهب كل الشراك
اهرب بحسبك قبل أن تلتفت حولك إذ تراك

الليل راح.. وما استراح القلب.. حيث الشوكُ
في كل الزوايا مشرّع
والطفل راح.. وفي العيون سحابة تتجمعُ
والنور.. نور الصبح.. لاح
لكن قلبي.. ما استراح

٢٧ أكتوبر ١٩٨٨

الصخر والروح

في الجو رائحة الضياع
في الجو رائحة الشجن
يا باحثين عن المحبة .. ضمدوا أشواقكم وتعلموا لغة القناع
ولتتحرقوا أحلامكم .. فالصخر للروح امتّهن
والرياح تلهث في المدى، وهائها الشوكي ينفذ في سرايين الجسد
هذا زمان قاحل .. لا شوق فيه إلى أحد

متناثر جسد الصدى في الأفق أشلاء نثيره
لما صرختُ مزلزلاً بهواجسي: ما كان في قلبي من الفرح انجرح
ما أقبح الصور الجميلة حينما تخفي ملامحها المحببة الأثيره
دنيا من الظلمات في أعماقها تدنو الضحية في انصياع من شبح

شبح يواجهها بنظره
ويعاود النظرات ثم يقيم فوق الروح صخره

في الليل حاصرني خيالك فاكتوى حتى الهواء
حولي... وضاق بلوعتي صدري وما حَوَّتِ السماء
حيث الثريا بسمة علوية يتراقص الإشراق فيها في السكينة
والبدر لا يعنيه أن يدري بما تحويه أعماقي السجينة
فيظل يهمس في دلال بيننا روحي حزينه

ماذا سيبقى في حدائق روحك المتفتحات من الزنابق والورود
لو أن أشواقِي التي تهمني عليها من سنين
تعبت.. فأثرَ غيمُها أن يستريح من التعلق في أرجيح الوعود؟
يا جنتي.. إن اليَمامة لا تكف عن الهديل برغم ضوضاء الوجود

وبرغم فسخ لا يبين
فتذكري لغة الندى إن الحقائق هلت..
والحب باقٍ والحنين

٣١ أكتوبر ١٩٨٨

الفراشة والنبع

النبع نشوانُ الضفاف.. تعربد النسمات في أمواجه المترنحه
وبحضنه النشوان.. يحبى الروحَ غصنُ الباسمين
بزهوره الفراحة البيضاء.. لما نجتليها حلوة منفتحه
والعشب - من خجل كما النسمات تهوى أن تنسق أو تمزق - يستكين
والظل أحلى مروحه
في هذه الصحراء حيث اللفح يحرح عاشقين مثابرين على الحنين



بين الزهور فراشة - بهاشة - تتقلُّ
أرنو إلى ألوانها وأقول مبهور الرؤى: يا حسنها ما أفصحك
لكنها راحت ضحيةً عشقها للنور لما طاعت رقص اللهب
ما أعجب العشاق.. إن القلب لا يتحولُ

عمن يحب.. فيا لهيب قصيدي لن أبرحك
سيان فاض النبع أو أخفى ملاحه البهية في الزوابع واحتجب

سرب من الأمل المجنح.. ريشه حلم تجسد
يجتاز آفاق المدى بيهاثه وكأنه عرس سماوي بهيج
وبرغم هذا العرس تزدحم الجوانح بالنشيج
فالشوك حاصر خطوتي.. وغمامٌ روحي ما تبدد
حتى زهور الياسمين توشحت بغمامٍ روحي فانطوى فيها الأريج
وتلفقت عيني لكل غمامة حفت بها لترى الفراغ وقد تمدد

يا أيها القلب الذي كم حوصرت آفاقه: هل كان وهما ما رأيت
لما دنوت فما ارتويت؟
النبع نشوان الضفاف كما رأيت وأنت إذ تدنو تنوء بها تنوء

بتفتت الفرّح المحاصر بالفواجع كالزبد
بالنار تلتهم الفراشات الرقيقة في هدوء
بغيومٍ روحٍ أطبقت بظلالها الدكناء صائحةً: أفق.. ما من أحد

٧ نوفمبر ١٩٨٨

لمن إلا لبستانك؟

لمن إلا لبستانك
يرفرف طير أشواقني
أحس بدفء ألوانك
فتشرق كل آفاني
أحبك في رؤى الماضي
أحبك في غدي الآتي
أحبك فوق أنقاضي
فأضحك رغم مأساتي
أعيديني إلى نفسي
فكم ألقاك مذهبولا

أزحمتُ خرائبَ الأمسِ
وعدتُ إليك مغسولا
فغطيني بأزهارك
وبشي النور في زمني
فرغم البعد عن دارك
أحبك.. آه.. يا وطني

١٢ أبريل ١٩٨٤

افتحي الأبواب للآتي

ها هو البحر أمامي يا صديقه
يجرف الشاطئ والروح غريقه
يا له من بحرٍ سحرٍ، تتعالى
فيه موجاتٌ من العمق طليقه
فأعينني على الملح فإني
صارخُ الجرح وأشواقِي عميقه
واغمسري الأفقَ بإشراقه صدق
كي أحس الأمنَ يدنو والحقيقه

يلعب البحر بأعصابي طويلا
وينادينني لألقى المستحيلا

الصخور السود تمتد أمامي
وشعاع يكشف الوهم الجميلا
إنه الماضي جدار من عذاب
جائهم يخفي عن القلب السبيل
فمتى حائطُ مكاننا نجافيه
لنرعى حنا الآتي النبيل؟

يا حياتي أنت أحلى أمنياتي
بـريـع دائم الخضره آتٍ
أشتهي ضمك حتى يتلاشى
كل قيد بيننا في لحظاتٍ
غير أني أشهد الجدران تعلو
باسطحاتٍ ظلها في نظراتي

فأناجيك طويلا في خيالي
وألاقيك هنا في عمق ذاتي

يسكب الموجُ أغانيه النديه
في فم الرملِ بشطآن قصيه
فإذا بالروح تهفو لانتعاق
وانطلاق في سماءات بهيه
وإذا القلب ينادي صارخا
هل ترى ألقاك وهما في يدَيْه
أم ترى نبقي حبيبن ونجتازُ
كطيفين مدى الدنيا الشقيه

هذه الدنيا قلوب مغلقه
ووجوه لوجوه مُغرِقه

كل قلب فيه أسرار تغطت
بملاءات الخداع المطبقة
النفايات تحلت وازدهت
والصدقات ظلال مطرقه
وأنا في الليل أصبحو بأكيا
يا حياتي ناعيا موت الثقه

لا تقولي: هل تظل العمر تبكي
إن روحي مزقتها ريح شكي
فعلى الأرض أكاذيب ترامت
وارتوت منها الأناس يد بصك
وعلى الأرض وحوش أطبق
حولنا واستبدلت حقاً بإفك

ومن الأفق أطلت دمدسات
لأنراما إنما تأتي لفتك

أي أرض سوف تعطينا الأمانا
فتعيش العمر دفئا وحنانا
اسألني الناس لماذا أنكروا
كل حب شع في النفس.. فكانا
ويجهم كم أنبتوا زهر الخطايا
وأقاموا للرزايا مهرجانا
ويجهم لم يعرفوا حب سواهم
وارتضوا أن يمتطوا الزيف حصانا

آه يا زهرة آمالي النضيره
إنني أطلقت أشواقني الأسيره
لم أزل أحييا لإشراقة صدق
بجنوبها وجهك الصافي السريسه
فارفعني الكف إلى الله ابتهاالا
أن يمس الخير دنيانا الغريسه
وافتحني الأبواب لآتي وغني
واسلمي لي كل حين يا أميره

٧ أبريل ١٩٨٤

الفراشة والعطر

سألتك ألا تريقني على الأرض سرّ الفراشه
دعيتها مع الليل تغفو طويلا بأحضان زهره
وفي الصبح تصحو لتوقظ أخرى.. تقبّل أوراقها في بشاشه
وتتركها في انتظار الصباح المؤمل دوما رفيقاً حيره
وتحت أشعة شمس الأصيل
تطير لتعكس ألوانها الزاهيات على صفحات بحيره
وبعد قليل
تخط على ثغر أخرى لتمتص منها جمال الرحيق وسحره
وفي الليل.. في الصبح.. عند الأصيل
تعاود رحلتها بين عطر الزهور.. ولا تسام العطر مرة!

تقول الفراشة.. في الليل.. في الصباح.. عند الأصيل
هو العطر عندي من كل زهره
هو العطر عندي يمشو ويعتاد - كالعبد - أسره
هو العطر عندي يمشو أمامي.. ألسْتُ حبيبة كل الحداثق؟
ألسْتُ التي ترتجئها الزهور جميعا بشوق يؤجج
في النفس أعتى الحرائق؟
ألسْتُ التي ترتجئها الزهور.. فتتحيا مع الشوق حتى تميل
ويحيا خيالي بأعماقها مثل تذكاري حب جميل
يزيح عن الروح كل أساها ويسكب فيها صفاء وخضره؟!

تظل الفراشة تزهر بألوانها الزاهية
ولكنها - حياتي - تظل تعاني
تسائل أعماقها في بهاء التفتح للسر حيث تظل الروى صافيه

أكل الزهور سواء لديّ؟ .. أزهر يفوح بأسمى المعاني
كزهر يغير ألوانه!

أزهر يواجهني بالرحيق المراوغ دوما
كزهر يُفَتِّح وجدانه

وينثره في طريقي نسائم حب تطوفني في انطلاقتي يوما فيوما؟
أأبقى مع الزهر حيرى.. أرفرف دون مقر؟

وفي كل ليل وفي كل صبح وعند الأصيل أعاني ضياعا
أواجه نفسي فأشعر أني موجهة في انطلاقتي برغمي لأهواء بحر
أواجه نفسي.. فتزداد أوجاع روحي اتساعا!

فراشةٌ روحي.. دعيني أصوم عن الكلمات
دعيني فقد أرهق القلب عبء انتظار الشروق
وعبء القلب عبر الفصول

دعيني أخبىء همي.. وأمضي بلا أمنيات
دعيني فما عدت أقوى على أن أقول الذي أشتهي أن أقول

فراشةً روعي.. أراك ابتسمت..
فأطلقت في القلب أحلى نداء

دعيني إذن كي أقول الذي أشتهي أن أقول
دعيني أقول أحبك كالصحو بعد تجمهم وجه الفضاء
أحبك سرا.. أحبك جهرا.. أحبك دوما
أحبك رغم تقلب كل وجوه الفصول
أحبك دوما.. ويزداد حبي يوما فيوما..

١٢ أبريل ١٩٨٤

الطائران والجزيرة الفريدة

كلّمها.. وكانت الشمس تطل من خلال بابها الشرقي
كي توزع النور المباح
حدثها عما رآه في المنام.. كان صوته يفيض بالأضواء
والظلال والعذوبه

وانسكبث في مسمعها أمواجه الطروبه
فاستسلمت للرحلة التي أغوتها في الصباح

الطائران انطلقا
حطاً على جزيرة مسكونة بالطيب والأطفال والخصوبه
جزيرة يولد من شطآنها البيضاء ما يشف من صفاء
والجوهر المكنون في أعماقها من حسنه يكاد يغوي الأفقا
فلا يغيم لحظة.. أو يحبسُ النسائم الرخية اللعوبه

يا للجزيرة التي تقصدها طيور البحر.. حينها
تشتاق للتلاقي والغناء

الطائران انطلقا
حطاهنا.. واعتنقا
كلمها في شغف.. قال لها ما قالت النحلة للوردة،
والغيمة للأرض العظيمه
قال لها ما قالت الأشياء للأشياء..

في انبثاقه التواصل الجامح كالريح الفتيه
وكنْتُ وحدي صامتا وضائعا..
أكاد من تكديس الغربة فوق القلب أن أختنقا
فرحت أشكر الحُرْقَا

كانت خيول الشمس في السماء تطوي الأفقا

ممعنة في السير كي ترحل للبوابة الغربية البعيدة
وأغفت الطيور في أعشاشها سعيدة
من بعد رحلة إلى الجزيرة القريده
والطائران اعتنقا
وخلفا لي ريشة مندوفة.. وخلفاني - دون قصد - مِرْقا
تفتحت في عالمي براعمُ الأسى وأقبلَ الظلامُ قبل موعده
واخترق الظلام في إقباله جدار روحي..
حاملًا حقيبة الفراغ والضياح في يده
وانفتحت حقيبة الفراغ والضياح
تبعثرت أشياءها.. وأين مني الآن من تؤنس روحي المثقله
يا ليتها الآن هنا.. توقد قربي شمعة..
فيولد الأنس على خطى الضياء المقبله
وتستعيد الروح من طلعتها صفاءها المحجَّب الشعاع

أيتها الجزيرة الساحره المسحوره..
حتى متى أظل وحدي صامتا أبث ما أبث للأوراق
تلفحني الأشواق
وترقد البعيدة الهانئة العينين طولَ ليلها مسروره
وبيننا تُشهر أبحرُ الظلام واللفظي سيوفها الصماء
من غياهب الأعماق؟
حتى متى أظل وحدي صامتا.. وتنعم الطيور بالطيور..
والعشاق بالعشاق؟

.....

الطائران اعتنقا
وخلفا لي ريشة مندوفة.. وخلفاني - دون قصد - مِرْقًا!

٣ يوليو ١٩٨٤

في انتظار اللقاء

في انتظار اللقاء أحيا حياتي
كل ليل مؤرق الأمنيات
أرهف السمع ظامئاً في ظلام
مشع النصـل غـبارِ الخطـواتِ
وأراني فـدى لعينيك أخطو
في متاهات حيرة يا حياتي
ربما تأتين انبثاقاً للـحـلم
مقمر كالحنان حلو الصفاتِ
فتعود الطيور من كل منفى
منشـدات على الربى أغنياتي
وتمس القلوب نايبات حـب
ويذيب الغناء ثلج الشتاتِ

ربما الشهد يستعاد بوصلك
بعد أن ذقتُ اللسع من سرب نحلِكَ
ربما يشرق الصبحُ وفيه
يتلاقى أهل الشتات بأهلك
ربما تأتي موجة تحتويني
ثم تلقيني ضاحكا فوق رملِكَ
نافضا هي المستبد بروحي
موقظا بالحنين أشجار فُلكِ
باحثا عن وجوه صحبي القدامى
في مدى الزيتون السخي بظلكِ
في مدى عينيك اللتين تقودان
حياتي إلى أهازيج سهلِكَ

أه من ربا وحلم تعلّق
بين أهداي خاشيا أن يُمزّق
فانتظار اللقاء بات ثقيلا
والرؤى غامت في فراغ مطوّق
أوقد القلب ناره فتلظّت
في كياني وهما هو الباب مغلق
والغيرم التي استقرت بروحي
أسلمتني لـوحشة تتعمق
فاكشفي يا أميري عن زمانٍ
يحضن الحلم علّـه يتحقّق
واحلي قلبي للسديار التي لم
تنس وجهي ولم تزل تتشوق

١٠ يناير ١٩٨٥

وردة الأمل

لو كنتِ يا وردة الإشراف والرغدِ
تستيقظين هنا
تستمرين صفاء الحلم في خلدي
تُبقين في زمني طعم انتظار غدي
وتُسمعين ضفاف القلب أغنيةً يأوى لها سكنا
ما كنتُ - في وحدتي - ألتف بالماضي
أسائل الريح عن عيبك والشوق والأمواج والزمن
مجمعا سفني - من خشية البحر - في أسوار مرفئها
مجمدا قدمي في نفس موطنها
وواقفا حيرةً في قلب أنقاضي

يا ريح.. يا ريحُ
توهجت في صدرك العاري مصابيحُ
لو أطفئت.. لصحت في وجه المدى وثرثُ
مهما أكن سكثُ..

يا وردتي.. يا أمل
من عطرك الناصع الإشراق.. قلبي ثمل
لكن وجهك أخفى النور لما اكتمل
يا توق روحي إلى عينيك طول الأجل

بعيدة أنت.. والأسوار ما بيننا عبر امتداد البصر
والبحر يفصلنا.. والخوف يسكنني
والصمت يغمد في قلبي سكاكينه الظمأى ويخفي الأثر

بعيدة أنت.. لكن وجهك المنتظر
يأتي إليّ برغم البحر يغسلني
ويبرئ الجرحا
ويطلع الصبحا
وفي غد ضاحك ألقاك مبتسما.. والنور يصحبني

يا ريح.. يا ريح
توهجت في صدرك العاري مصابيح
لن تطفئها أبدا
أو تجعلها زبدا..

١٥ يناير ١٩٨٥

بطاقة من متفرج عربي لسناء

«.. في التاسع من أبريل عام ١٩٨٥ كان موعد
الفتاة العربية - اللبنانية سناء يوسف مجدي مع
الاستشهاد بعد أن قامت بعملية فدائية بطولية
ضد قوات الاحتلال الصهيوني في جنوب لبنان..»

لا أعرفها.. لكنّ ملامحها - في ذاكرتي - حيه
تتجسد شمسا في روحي وتحاصرني حتى في النوم
لا أعرفها.. لكني أعرف ما في عينيها من همّ
في عينيها همّ صبيه
ترقب لحظة زغردة العرس الدمويّ
تتفجر أشواقا عطشى للقاء الحق بصحبة كل شهيد عربيّ

في عينيها صمّت يتحدر من لغة لا يعرفها غير الشهداء
لغة تصرخ فينا: إن الطرق المأمونه
لا يسلكها إلا الجبناء
عن شربوا كأس الذلة في حضن الأوهام المأفونه
لا أعرفها.. لكنني أقرأ في عينيها أوجاع الأرض العربيه
أشهد كفر قاسم.. أشهد صبرا.. أشهد بيروت الوطنيه
أشهد مدنا غارقة في قهر.. وقرى باتت مطويه
في قبضة من نهبوا الأرض وهاكوا العرض وداسوا الحريه

لا أعرفها.. لكن سناء
تعرف أني أحد الموتى المتكئين على مجلس وهم
تعرف أني أتلهى بالجمل - الحيل المخبوءة في كتب الإنشاء
أتحفى في وحل الحجج المعتادة إن برز التماسح وفاض الدم

يتسرب مني تاريخي.. وطني.. يتسرب صوقي في رمل الإغواء
وأعود أمارس العابي.. وأتابع رقص الشرق.. أتابع أسخف فيلم
قُدِّر لي.. أن أبقى أنفرج
قُدِّر لي.. أن أتعلق في زمن عربي الخيبة.. مرتحف الاعضاء
قُدِّر لي.. ألا أخجل من أخيب العابي أو أخرج
قُدِّر لي.. أن أبقى أظاير كالورق المتناثر في الريح الهوجاء..

ذات السبعة عشر ربيعا نبث كالزهرة في «عنقون»
قرية أهل منا.. لكننا لم نسمع عنها من قبل
في رقدتنا داخل هذا العطن المخزون
في غمرة لهفتنا بحثا عن أقرب حل
ذات السبعة عشر ربيعا زرعت في ساحتنا شجر الورد الأحمر
شجرا كدنا ننسأ من الخدر اليومي

ذات السبعة عشر ربيعا تركتنا في الوقت الضائع
نسأل: هل نربح أم نخسر؟
ومضت تصعد للقاء الحق بصحبة كل شهيد عربي..

١٣ أبريل ١٩٨٥

رسالة من تحت الرصاص

«.. في الحادي عشر من أبريل عام ١٩٨٤ لم يكتب أعضاء مجموعة جيفارا من الشبان العرب - الفلسطينيين (رسالة من تحت الماء).. وإنما كتبوا رسالة من تحت الرصاص، حيث قاموا بالاستيلاء على «باص» صهيوني، وكان هدفهم أن يبادلوا الرهائن الصهاينة بعدد من المعتقلين في سجون العدو، عندما يصلون الى رفح - المصرية، لكنهم لم يصلوا، لأن رصاص الصهاينة كان الأسبق..»

شجر الزيتون من قلبي على الدنيا يطلُّ
وأنا بالباص أمضي فوق أرضي والمسافات بأعماقي تغلُّ

إنها أرضي أراها فاحسدوني يا رفاقي
واتبعوني كي نرى الشمس التي كم كمنوها عبر آفاقي تهل^١
واجرفوا وغم الأساطير التي ألقت بها ماسورة تحت الوثاق

روح جيفارا تطل^٢
وصلاح الدين يمشي في شراييني ويعطيني لثاما وحساما
وأنا بالباص أمضي صارخا: كم يا ضمير الكون كم قد طال ليل^٣
والمآسي عبر تاريخي بدت عريانة تستبطن^٤ النور الهما ما
دير ياسين أطلت وأطلت كفر قاسم
وأطلت روح صبرا وأنا بالباص أمضي وضمير الكون نائم
وعلى طول المدى تبصر عيناى على الأفق وجوه الشهداء
آه كانوا يعيشون الأرض والزيتون والأطفال والوجه المليح
آه... لكن وباء الزور بالوجه القبيح

راح يلقيهم ويدميهم ليمتص الدماء
وأنا أعرف أني - يا رفاقي - سأموت
إنما نبض أغاني الثورة الحمراء.. لا.. ليس يموت
فاصمدوا - من بعد موتي - ضد أعداء الحياة
اصمدوا ضد وحوش سلبت مني الحياة
ضد أمريكا التي أهدت إلى ودياننا أعتى الذئاب الدمويه
اصمدوا ضد هواء لوثته العنصريه



أعلنتُ شارةُ ضبط الزور أن الموت آتٍ.. ليس هذا بالمهم
فأنا لست بسفاح على أرض بلادي.. ولهذا لن أسلّم
أه يا أرض بلادي.. أه من قهر الفرج
إنهم قد أغلقوا الأزمان والبلدان دوني
إنهم قد قتلوني

قبل أن تأتي «رفح»

.....

لم أكن أبغي رفح
وحدها.. بل كنت أبغي كل أقطار العروبه
صارخا في الناس هبوا.. ويحكم.. ويح السكاري
قدسكم تبكي عليكم.. قدسكم تبكي انتظارا
أرضكم ترنو إليكم.. أرضكم تبكي الفرح
منذ أن باتت سبيه
ويح أشواق كذوبه
تتغنى بهواها..

وفي في الأسر..
تنادي كل روح عريه



ها أنا الآن انطفأتُ
كشعاع لفه الليل بأفق مستباح لشناقر الصخب
هل ترى مثْ بطلقاتِ وحوش من بني التلمود أم أني قُتلْتُ
بالهواء البارد القاسي..
هواء الصمت والأهواء في دنيا العرب!؟

١٩ أبريل ١٩٨٤

الصمت وصوت الحجر

«.. في الثامن من ديسمبر عام ١٩٨٧ توهجت
النار المقدسة - نار الانتفاضة الفلسطينية ضد
العدو الصهيوني الجاثم على تراب فلسطين، ومع
توهج الانتفاضة البطولية رفرف طائر الأمل الذي
كان حبيسا في أقفاص صدور العرب
المقهورين..»

للدماء انتهاء.. بهذا تقول رمال الصحاري.. يقول النخيل
أعشق النيل، والنيلُ يعشق أهلاً بيافا وحيفا وأرض الجليل
أنتمي للحجر
انتمي للبلاد التي أنطق صمت هذا الحجر
للأيادي التي أطلعت أنجما، أيقظ النبض والومض فيها حجر

الأيادي التي أطفأت ومضة الزهو في أعين المعتدي بالحجر

أيها الحرّ.. يا من تشق الفضاء احتداما وقوه
نحن كنا نناديك - يا حرّ - في عمق أحلامنا
منذ أن جمد اليأس أرواحنا فارتمت مِرْقًا تحت أقدامنا
أي معزوفة أنت أسمعنا فانطلقنا على وقعها بعد كبوه؟
نحن كنا عطاشى إلى طلعتك
مثلما تعطش الأرض عريانة في غياب البشير بدفق المطر
بعضنا كان مستغرقا في طنين الحنين الدفين إلى خطواتك
بعضنا كاد يطوي كتاب الرجاء
بعضنا هيا النعش من خيبة العيش ثم انتحر
حينما جئت أيها الحر نورا يزيع ظلام ليالي العناء
جئت في موكب نورته الدماء

فانطلقنا مع الموكب المنتظر

موكب من بشر

أخرجوا عجزنا واستطالوا شموخًا فصاغوا - بمجدٍ - جمال الحجر

يسطع الحق في الأوجه النازفات على أرضها المستباحه

كل وجه.. نهار

كل وجه ينادي: بلادي.. بلادي.. ويخفي جراحه

كل وجه.. نرى مجده ذائعاً رغم سور الحصار

والدم المستهين ببطش الغزاة يظل يسيل

دافقا كالطر

شاعخاً كالجبال التي لا تميل

راسماً شارة النصر عبر الأيادي التي أطلعت أنجماً من حجر

فانهضوا أيها السادة النائمون
انهضوا واخلعوا صمّكم.. كيف تحيون أيامكم في قبور السكون؟
أرهفوا السمع كي تسمعوا عبر زيتونة الأهل صوت الجهاد الجليل
للذماء انتهاء.. فمن يتمي للدم العربي النبيل؟

١٩ يناير ١٩٨٨

لبنان - الجحيم

«.. إذا كان لبنان العربي الجميل يستعيد حيويته
من جديد، فإن سنوات الاقتتال بين طوائفه
وفئاته المختلفة كانت كارثة لكل انسان عربي،
مخلص لمرويته..»

بين شوقي لأرض أراها بعيدة
وانكساري بأرض كواها الظمأ
خاب سعبي وفاض دمي صارخا بين خط الصواب وخط الخطأ
واحتواني ظلام ترمى على عالم مثقل بالكوابيس فوق دروب المكيدة
المصاييح لم يحتمل نورها.. وجهها.. فانطفأ
والبنات لم تحتمل وقعها.. فتهافت شهيد



قالت الأرض: لست أريد دما، فأنا من سنين شربت الكفايه

واحتضنتُ الجثث
أبصروا بعض أشلائها بعد ما شوهتها أياديكم المذنبه
كل شلو بحضني هنا أصبح الآن يروي حكاياه
اسألوا طليقة الآلة المرعبة
اسألوا مرة كيف هذا حدث؟

يُقتل المرء.. لو لونه لم يرق لمجون العيون
يُقتل المرء.. لو حاصرته الظنون
يُقتل المرء.. حتى ولو كان طفلا بروح بريته
فغدا يكبر الطفل، والأحوط الآن أن تقتلوه
يُقتل المرء.. كي يستريح إذا ارهقته الحياة بانقلاها
يُقتل المرء.. كي يستريح تماما من العيش في ظل بؤس «المخيم»
يُقتل المرء.. لو راح يعدو لينجو من القصف كي يستقر فينعم
يُقتل المرء.. حتى ولو كان أما رؤوما تحيط بأطفالها

يُقتل المرء.. لو دينه لم يَرْتَقِ للنفوس الدينه
يُقتل المرء.. لو صوته غير أصواتكم ايها الحاملون الجنون
أيها الحاملون السلاح المباح ولا تحملون عقولا مضيه

رحت أغفو قليلا
إنما صوت طفل صغير تناهى إلى مسمعي.. والشظايا تجول
رحت أغفو قليلا
إنما حائط البيت كان قد انهار فوق عجوز ينام وحيدا بحضن الدهول
رحت أغفو قليلا
إنما وجه «صبرا» أطل من القبر ممتلئا دهشة من رقاذي ففمتُ عليلا
وانتبهت إلى أن هذا الرقاد الممزق يبقى هنا مستحيلا

وسيقى الرقاد بدون رصاص يقر بقلبي هنا مستحيلا!

كان بيتي بسيط الاثاث فقير الزوايا.. ولكنهم هدموه
أُم أطفالنا سألتني: «لأين؟»
صوتها لم يكن صوتها.. صوتها كان منبعثا من قرار الجحيم
صوتها كان صوتا لذعر مقيم
سألتني الحبيبه
فجأة.. أين نمضي؟ وأين ليالي الأمان الخصيه؟
قلت: لا أعرف الآن شيئا.. دعينا لكي نحتمي من لثام الوجوه
سألتني الحبيبه
- من جديد - لأين سنمضي؟ لأين.. لأي مكان
قلت: ليس لنا.. ها هنا.. من مكان
فاتركي الأسئلة
كي تحيِّب عليها شظايا تبعرها - فجأة - حولنا قبله!

٢٤ سبتمبر ١٩٨٥

مرثية الزمن العربي

«... في فبراير عام ١٩٨٧ كان بعض أهلنا العرب
محاصرين من قبل بعض آخر من أهلنا العرب!..
كان هذا في مخيم برج البراجنة، وطالب
المحاصرون الجائعون باستصدار فتوى تتيح لهم
أكل لحوم الموتى...»

جبل جليدي من اليأس الذي ينهار فوق قلوبنا المتوجسه
ينهار - في بطاء - على كل المدائن والمآذن والبيوت ولا يذوب
ويجرتنا للزوجة المستنقعات المفلسه
والشمس كاذبة وغارية كأن لا شيء في الدنيا سوى نعش الغروب
الشمس كاذبة وأرض النور تجهش بأكيه

فمن المحيط الى الخليج
نمضي لأشع هاويه
بعض تلهى قانعا أو خانعا أو ضائعا، بعض تهباً للنشيج
وملامح البسطاء تكسوها المذلة والمجاعة
ورياح أغنية مزخرفة تهب من الإذاعة
ومن المحيط الى الخليج مقابر مفتوحة تَسع الجميع ولا تضيق
للطفل متسع، وللغة الغريقة في الهوان
لقلوب من هبوا لنجدة نسوة عند اندلاع النار في بيت عتيق
لرؤوس من مُنحوا الأمان
ولكل شيء رائع.. تبدو مطالع مقبره
مفتوحة.. مستبشرة
فالناس إما قاتل متربص يحيا ليقتل، ثم يُقتل بعد حين
أو شاهد.. كلماته العرجاء تعجز أن تبين
فإذا تجرأ أن يبين فإنه يمسي قتيلا

واذا تلجلج واستكانَ فإنه يغدو قتيلا

يا أيها الزمن المؤهل للسقوط.. بلا دوى

جئناك بالنبأ اليقين

من أرض لبنان الطعين

حيث القلوب يشقها لنفح الهواء الطائفي

والحق قد ميراث دفين

يسقيه من عبثوا المرتزق تفتن في التمسح بالكيان العنصري

يا أيها الزمن المؤهل للسقوط بأمة غرقت صحائفها المجيدة

جئناك بالنبأ اليقين، وما عليك سوى الترقب للمتاهات الجديده

منعوا الطعام عن الذين تشردوا من أرضهم فاستقبلتهم أضرحة

وتلقفتهم خيمة القهر المخلخله البناء

وتساندوا متحملين خطى الشتاء، ففوجئوا بهطول أعنى الأسلحة

وبأن أنهار الدماء تفيض من أجساد جرحاهم ولم يأتِ الدواء
هذا هو النبأ اليقين

الجوع يعصف بالبطون الخاويات ولا معين
ماذا يقول المتخمون الجالسون على الأرائك في انتشاء وارتخاء؟
فليأكلوا أجساد موتاهم لكي يبقوا على قيد الحياة محاصرين
ما دام في أمل الصهاينة انتشار كالوباء
والمسلمون.. مطامع، وتوابع، وشقاق
فإذا تلاقوا - مرة - وتصافحوا عند اللقاء
فالأرض تعرف جيداً أن اللقاء نفاق

جبل جليدي من اليأس المقيم يشلنا بعد التعلل بالأمل
وعلى خطى الجبل الذي يحتاج أرض الأنبياء
تبقى طلوع شهادات ليس فيها من ملامحنا سوى بعض الخجل

والنار أولها القريب وَيَعْدَهُ يَأْتِي البعيد المستكن ولا رجاء
وعلى المدى يَأْتِي زمان شائه يتساءل الأحياء فيه عن العرب
فيتمتمون بأنهم كانوا هنا قبل الأفلول
لكنهم رقصوا سكارى حول إيقاع التقارب والتباعد في الحُطْبُ
ثم اختفوا بين الخرائب وانطوا تحت الطلول

١٠ فبراير ١٩٨٧

الغريباء قادمون

ما كان من شجر.. تأكل أو ترنح أو تأرجح في مخالب عاصفه
هذا هو الوجه الجديد لعالم يخفى دماؤه
في جوفه ويظل تنهشه الظنون ولا متأثر أو مرأى أو بشاره
والصخرة الصماء ترقص في غرور فوق أشلاء الزهور النازفه
والروح تُرجف خائفه
من هوة مخبوءة ما بين فقهة الزوابع وإمتهارات الحجاره



إني أرى وجه القصيده
متفتحا.. لكننا الإيقاع باح بما أناخ عليه من شجن
وكان كل معاول البركان.. بالمحن
تهوي على قمم الجبال فتفرع المدن المبعثرة القريه والبعيده

وكان زالزالا يخبيء سخطه ليصيبه صبا على أرض سعيدة
وعلى خرائبها يشل تدفق الزمن

سفن محملة بها في أعين الغرباء من سود المكائد
ترسو قبالتنا وموج البحر يجرفنا يشده
من بعد أن كسروا السواعد
ويقول عاشق نفسه: تاريخنا.. تاريخهم لولا الخلاف على المودة!
هل تلطم المأساة خده
ليفيق من أوهامه فيرى المشاهد أبدلت من بعد أن قلبوا الموائد؟!

الأرض نفس الأرض لكن أطلقت فيها الوحوش الجائعات على البشر
سكب الظلام مداده فوق المصابيح التي لم تنجرف للهاويه
لكن ذكرى النور دافئة بذاكرتي وفي الأفق البعيد.. أرى القمر

بعيون أحبابي أرى الأرض التي انهمرت بها لغة الأيادي والحجر
يا أرض روعي لا تبالي بالظلال الخاويه
الظل لا يبقى كما تبقي أنت.. وأنت رغم الجرح أنت الباقية

أول فبراير ١٩٩٠

الطاووس.. والنار

ريشه فوق رأسه تاجه الباهر المرصع
وعلى وقع خطوه
تترأى لي لوحة نُقِشت فيها زركشات روث سر زهوه
إنه الطاووس الذي مر قري مصوبًا حُسَنَ أينما تطلع

كان طاووسا طائشا يتباهى بها لديه فتختال الزركشات
لم يكن طيشا عابرا أنه لا يرى سواه
كم تغنى بتاجه وتحدى الكائنات
أن ترى غير ما يراه!

شبت النار فجأة ثم مدت أكفها فوق أغصانٍ نائحه
فاكتوى الطاووس الذي كان قربي بلفحة النار وارتدّ مبصرا
لم يجد تاجه على رأسه إذ تبعثرا
ورأى اللوحة الجميلة شامت مما ابتلتها به النار اللافحة



فوق أرض مروعة
راح هذا الطاووس يعدو قبيحا وعاريا
وعلى الأرض وردة قد هوت إنما سرى العطر منها ما أروع
ورأيت الطاووس يأوي إلى داري شاكيا



ينش الطاووس الفجائي قلبي مفتشا عن كنوز مخبئة
لا يرى تاجه المرصع

لا يرى غير فحمة خمدت فوق مظفأة
وبقايا مما تززع!!

٩ مايو ١٩١٨٩

وجهاً.. قصيدة لا تنتهي

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٨٩ .

الإهداء

إلى أخي وصديقي وأستاذي الكاتب والناقد الكبير رجاء النفاش..
عرفانا بما أسداه لي ولكثيرين من أبناء جيلي، وتقديرا لكتاباته ودراساته
التي أفادتني كثيراً في رحلتي مع الحياة والأدب والفن.

«حسن توفيق»

مفتح

يبدو بليلي قصيا	إن كان نجم الثريا
يعيد قلبي صيا	فإن فيه جمالا
ولا يعود ظميا	إذ يرتوي القلب منه
يئث همسا نديا	ومن فضاء بعيد
واهجر ظلاما شقيا	يا عاشق النور رفرف
بين الشرى والثريا	لاتترك السروح حيرى

وجهها قصيدة لا تنتهي

كصفاء نبع الأمنيات يطل وجهك منعشا صحراء عمري الياسه
تجدد الأشياء فيها ، تورق الأغصان بعد شحوبها وكأنها انبثق
الربيع مهللا
ويطل وجهك منعشا .. يجتاز بي أعتى المسالك والدروب
العبسه
ويقودني لسماء صفو أشتهى - من نشوي - أن أنتهي بفضائها
لحنا تسامي للعلا

ليعود مؤتلفا ومؤتلقا يرف على ندى زهراتِ فلّ ناعسه
يبنى لديها الفجر من عطشٍ إلى الحسن المتوج بالمباهج منزلاً

تأتين في زمن ضنين
تفتحين .. وتشرقين

يتماوج الإيقاع في خطواتك المتألقه
فيذيني .. ويحرك الأوتار في روعي التي تصغي له متشوقه
فإذا بعدت - ولو قليلا - فالرعود تحاصر الأمل المرفرف في كياني
تلقيه في قفص الضياع معذبا متمللا
ويعود قلبي صامتا مستغرقا فيما أعاني
ما بين يأس من لقاء ، وانتظار أن يزيح الفجر ليلا معولا

ويطل وجهك في الخيال
متلا لثاك .. بالجمال
وأراه في كل المشاهد والرؤى متغلغلا
فأقول - مبهور الرؤى - يا وجهها .. ما أبدعك
ألقاك في صفحات كُتبي .. هامسا: إني معك
ألقاك في أزهار جردينيا .. وفي أجواء موسيقى .. تدندن مقبلا

ألفاك في إغفاءتي الحيرى تنور صاحكًا وتحثني أن أنفص النوم
القليل عن الجفون
ألفاك في أمواج بحر زاخر ، لانتتهي إلا لكي تحيا بدايتها
الموسقة الجديده
ألفاك في وهج الضجيج ، وفي الصدى الحلو البهيج ، وفي مدى
عمق السكون
ألفاك في لحن القصيده

تأتين في زمن ضنين
تفتحين .. وتشرقين
كي تؤنسي بالصفو أيامي التي احترقت على جمر السعير بلا مجر
وأراك أعطيت الكثير
ولم أقدم غير قلبي منشدا لك أغنيات الشوق تحتاح الليالي

المعولات الجامحه

أعطيتني حلما .. تفتّح في دمي .. وردا بهي الروح .. حلو الرائحه
وكانه أنفاسُ عاشقة تفيض محبة وتشع سحرا لا يغيب
أعطيتني الدنيا التي أهفو لها رغم التعثر بالصخور الجارحه
أعطيتني الدنيا التي أحيت صفائي بعد تكرار الوجوه المالحه
أعطيتني فرح الحياة .. بها الحبيب مع الحبيب

كيف انسللتِ إلى شراييني مع الدم والهواء ؟
كيف انسللتِ حديقه .. أزهارها لا تذبلُ
وربيعها لا يرحلُ ؟
كيف انسللتِ وكيف أخيتِ الوداع مع اللقاء ؟ فلا وداع ولا

لقاء

لكنه زمن أضاء

من بعد يأس قد أضاء
ليعانق الدنيا . . ويُبدل بؤسها رغدا
ويطل عالمنا بها . . يغسل الأرواح في نهر الصفاء بلا انتهاء
ويظل حبي المستفيض قصيدة لا تشتهي أن تنتهي أبدا
أبياتها تترى . . فلا تحصينها عددا . .

« ٨ فبراير ١٩٨٦ »

يدها .. واللغة الخالدة

يدك البهية في يدي

ياحسنها من زهرة جاد الزمان بها على روعي المحاصرة الظميه
تتفتح الآمال في أوراقها البيض النديه
فأرى نهاري ساطعا رغم الحصار الأسود

يدك التي أبني بها دنيا من الصفو الجميل

في القرب تؤنسني وعند البعد تتركني لنار الوجد روحًا تكتوي
كم مرة قبلتها .. لكنني لا أرتوي
وأحار فيها حيرة المتحيرين السائلين عن الدليل .. ولا دليل

ياحيرتي فيما أرى .. فبلمسة تترقق اللحظات فيها مشرقه

أدنو من الأمل البعيد فأنفض القلق اللحوح وأطلق الفرح
الجموح

وبجفوة - في زهوك العتاد - يرتد الطموح
حبلا من اليأس الذي يلتف حولي .. مشنقه

يدك البهية كانبثاق النور في وادي الكروم
وأصابع من سحرها الغلاب كم أغفت على أطرافها أحلى النجوم
وعلى مدى يدك البهية كم بدت دنيا الفتون
وبيامتان على الغصون أذابتا روحي فأنثرت التأمل في سكون

الله .. ما أحلى اللقاء
يدك البهية في يدي وصفاف أغنية رقيقه

وحفيف ثوبك في الصباح رفيف عصفور يحط على غصون في
حديقته

فيحرك الأشواق فيها للتفتح .. والنماء

٥ فبراير ١٩٨٧

صوتها .. والأمني

صوتك الناعسُ الندى أتاني
مسكرا كل خفقة في كياني
مشرقا ينفض الهواجس عني
مؤنسا كل لحظة من زماني
لكأني أعانق الصوت طيفاً
يتراءى على ضفاف الأمني
لكأني جسدتك الآن شعرا
كاشفا فيه سرّ قلبٍ يعاني
بعد أن أضنيّت الجوانح هجرا
فاحتملتُ الهوان بعد الهوانِ

جئتني بعد وحشة وانتظار
فاستعاد المكانُ حلماً سباني
جئتني والشتاء يسكن روحي
فأشاع الربيعُ أحلى الأغاني
جئتني فاستعدتُ كل شرود
من أماني وانطوي ماشجاني
أنت روح .. تنير آفاق عمري
أنت بددتِ وحشتي بالحنان
فلتضئُك السماء في كل حين
ولتضئُ وجهك الصبوح المعاني

« ١٢ فبراير ١٩٨٧ »

الثريا .. والمحال

أيها القلب ترنم
فالثريا تكشف الآن لأفالك نورًا كان مكنونا خفيًا
والبساتين تحرث فتنة للعاشق الظمآن .. والنبع تبسم
وأنا في حنمة النور أغني وأحس الصفو يروي ناظرًا
القلوب الهائه
مع قلبي تتلاقى .. والغصون المزهرات
تسكر الجو بعطر ماله حد .. ومالي فيه إلا خفقات
والعناقيد تدلت كطيوف الأمنيات
ذقت عنقودين منها بشفاهي الظامئه
فتخدرت .. وغنت في عروقي لمسات ترنوي مستبشرات



ها هي الروح طليقه
ها هي الروح تغني في سكون وابتهاال
وخيالاتي تناديني لأرتاد طريقا قرب ينبوع الجمال

إنما العاشق يخشى - في وصال - أن يضل الحب في السير
طريقه

يسعد القلب بإيقاع العناقيد الرقيقة
ثم يمتد زمان حجري فيه تُدميه مناقيرُ النصال
حين تغطي ذكريات عن جمال لا ينال
مثل نار تشهي - فجأة - أن تتمشى بين أشجارٍ حديقه
أيها القلب ترنم .. قبل أن يقسو المحال
فالثريا تكشف الآن لأفالك نورا في لياليك العميقه

فجأة .. حطت غيوم ، وعبوسُ الأفقِ دمدَمَ
جائحاً .. حين توارى النور مكنونا خفياً
قال لي القلب المتيمّم
مذ نأى وجه الثريا بعد قرب عدتَ للوحشة مكدودا شقيّاً

١٤ فبراير ١٩٨٧

زهور من القلب

فاجأتني حياتي بدمع يسيل على الخد في جهشة باكيه
قلتُ: ياربِ ماذا دهى القلب ؟ يارب من عذبه ؟
ما للجبين الحزين أراه يشي أنك الآن يا فرحتي متعبه
يا حياتي اسكبي كل دمع بروحي لكي أحمل العبء يا غاليه

الدموع لآلء .. لا تسكيها على عالم خائب يهزل
الدموع زهور كساها الندي
الدموع زهور من القلب لا تقطفيها سدى
إنني .. فدى دمعة منك بالروح لا أبخل

كم يخوض الأسى في كياني إذا ما رأيتُ الدموع تظل تطلّ
كم يجير الأسى من خواطر مشنوقة في دهاليز بالذاكرة
فلتكن كانبثاق الشروق رؤاك لكي أجتلي فرحتي إذ تهلّ
ياحياتي .. أطلي ببشرٍ وليس بدمع على مهجتي الخائرة

الدموع التي انبثقت من عيونك كي تستقر بعمق قراري
حاصرت فرحتي واستباحث نهاري
إنها توقظ الجرح من نومه ثم تمضي به نحو ملح البحار
ياحياتي متى يبرأ الجرح ؟ إن دموعك تُدمي وقلبي يُداري

١٤ فبراير ١٩٨٧

البدر وانتظار النهار

تقول خطاي الغربة إن جميع دروي تقود إليك
ورغم اندفاعي إلى كل رب تمرين منه لكي ترنوي منه روعي
الشريده

ورغم الحوار الذي لا يُمل مع النفس عنك وأنت بعيد
أحاول ألا أبوح بأني أغار عليك

كما مر مجنونٌ ليل على الدار يوما يُسمع ليلاه نبضا تدفق شعراً
أمر على دارك النائم
وأستنشق الجو في الليل عطرا يناغم عطرا
فأحسد كل الديار القريبة منك وأمضي وتبقى معي لهفتي الساهمه

أغار من البدر إن لامسَ الصدرَ والشعرَ عبرَ سكون الليالي
فأنت تنامين فوق الفراش الطروب طليقه
ونورٌ من البدر يغمر كلَّ غصون الحديقة
وقلبي يدق ويرثي لحالي



أعود وقلبي يدق ونجواي تعرف أنك لن تسمعها
وتضحك صورتك المستريحة فوق الجدار جواري
تؤكد أنك لست هنا طول ليلي .. وأن الفراغ العبوس يؤجج
ناري

فأجمع كل هداياك حولي وأبقى أجسد حسنك فيها



أغار من البدر .. من كل شيء أراه قريبا
وحين تطلين أكنم قهري

وأوهم روحك أني أغني مع الأصدقاء إذا ما تلاقوا ولستُ غريبا
وما من غيوم تحاصر عمري

لأن الزهور يحاصرها النحل ما دام فيها عبير يفوح
لأن الحديقة تغفو مع الليل ، والبدر يُقبل حيث يُقبل أحلى الزهور
لأن مذاق العناقيد يجذب كل الطيور
أغار عليك كثيرا .. ولكنني لا أبوح

١٧ فبراير ١٩٨٧

هكذا أبحر الشراع

غنت الروح على وقع خيالاتي البعيدة
حين أغريت القصيدة
بجمال شاعري ، وصفاء يتجلى مشرقا في نظراتك
وبإيقاع ربيع هامس في خطواتك
كنت مبهورا ومسحورا من اللقاء كأن الجنة الخضراء تدنو
وكان الله أحياني لألقى القلب يحنو
كنت مشتاقا لأن أحيأ بأيام ستأتي كوجوه الأمنيات
كنت يا ما كنت .. قلبا لصفاء الروح يرنو
ولوجه تنبع الفرحة من دنياه يرنو صادحا بالبشریات
كنت يا ما كنت .. لكني أحس الآن ياروحي بأن الوقت فات

حين أغريت القصيده
أن تغني لك أشواقى لعينيك على شاطئ دنياك السعيدة
لم أكن أعرف يوما أن آفاق حياتي
سوف تمتد إليها النار من كل الجهات
فدعيني الآن وحدي خائضًا نار جحيمي
إنني أخشى امتداد النار في قلب النعيم
فوداعا أيها النور الذي كنت أناجيه صباحا ومساء
وداعا يا زهور الفل في أبهى حديقته
وداعا يا أماني التي ضاعت هباء
وداعا يا صديقه

أخلع الآن عن الروح تباريح القصيده
بادئاً أخرى جديده

ليس فيها غيمٌ ذكرى ، أو وعود بقاء وانتظار للقاء
ليس فيها صرخة تنعي أمانيّ الشريده
فانظري تَلَقّي شراعي يبجر الآن بعيدا عن متاهات العناء
فأنا قلبٌ محب .. إنما في كبرياء

٢٠ فبراير ١٩٨٧

إنها السابعة صباحا

دقت السابعة

الصباح يضح ضجيجا بهيجا وفوق الدروب الخطى مسرعه
التلاميذ في الباص مستبشرون وهم ينظرون بأحلى العيون
باعة الصحف الآن يستعجلون اللقاء الأليف بمن يشترون

دقت السابعة

المسافات ما بين بيت وقصر تدانت .. ولكنها شاسعه
فتيات صَحَوْنَ .. تجملن في غرف ضيقه
ينتظرن الوصول السريع إلى مبتغاهن في صورٍ بارعه
فتيات صحوون ... تزين في غرف واسعه
يتسمن لمراى النهود تشب وتكسو ملامحهن الثقه
دقت السابعة

رجل دائخ يشتهي بعض أغراضه المقلقه

كاد أن يصرخ البائع المستريب بوجه الرجل
رجل شامخ يشتري كل ما يشتهي دون حد لما يشتهي
كاد أن يرقص البائع المستجيب لوجه الأمل
باحثاً في زحام الرؤى عن شبيهه
دقت السابعة

الحياة تغني .. تضح .. تفوح
الحياة .. نداءاتها وإشاراتنا .. تستضيء بكل اللغات
اللغات التي تستجيب - بحب - لمن قد يبوح
اللغات التي تعبر الأزمنة
اللغات التي تؤنس الروح في وحشة الأمكنه
اللغات - الصلات
تربط الناس بالناس .. والشمس تفاحة ساطعه
دقت السابعة

وجهك الحلو يدنو بهيّا وقلبي يسابق وقع الخطى الآتية
عطش الروح في الليل تطفئه النظرة الحانية
التقاء الأكف .. محاورة حلوة رائعه
دقت السابعة

الصباح الذي أشتهيه ضجيجا بهيجا وإشرافه مسكره
التلاميذ في الباص مستبشرون - الصديق الصدوق
زرقة البحر في مهرجان الشروق
اخضرار الغصون - انبثاق الينابيع في واحة مثمره
كلها .. تنطق الآن في وجهك الحلو وَهوَ يغني لقلبي المشوق
إنها السابعة ..
إنها السابعة ..

٢٢ فبراير ١٩٨٧

الظمأقرب نبع الماء

حاصر الشوق في التنائي سمائي
فاسمحي لي ييث بعض عنائي
منذ أحيثك اكتست أمنياتي
من جنون الغرام أحلى رداء
مطلقا في كواكب الليل روحي
فأرى وجهك الجميل إزائي
وأراني أبسوح والليل يصغى
بالذي ذقت من أسى وإتلاء
كل ليل أحاول النوم قهرا
فإذا بالظنون تعدو ورائي

كلّ يوم أقول ألقاك قربي
يرحل اليوم ساخرا من رجائي
مبقيا لي هواجس الخوف حولي
شاخصات كأعين الرقباء
فيلوح الخيال سلوى لقلب
خائض في هواك بحر الشقاء
أجتلي في ندى الخيال لقاء
فيه تأتين جنّة من بهاء
حيث تطوين صفحة اليأس عني
وتلذيين وحشتي بالغناء
وتبئين في شواطئ عمري
نشوة الموج ذائبها في التقاء

وتغيبين في قصائد شقوق
صغفها مرآة لصدفق دمائي
وتروحين بعدد ما في دلال
حيث تمشين مشية الخيلاء
فإذا نشوة الخيال تولى
وإذا بالأسى يشق صفائي
وإذا الواقع المرير مقيم
في جوارى ووجهك الخلونائي
إنما أنت كوكب يتخفى
كي يصد الظماء عن نبع ماء

٢٢ مايو ١٩٨٧

بين شكوى وشكوى

كَفَّكَ الوردَة اشتكت من يديّنا
ورمت لومها الرقيقَ عليّنا
لو دَرْتُ بالذي يثور جوحا
في مدى القلب ما اشتكت من يديّنا
ملاء قلبي جحيماً حب مقيم
لك يا من تستنهض الصخر حيّا
ولقد يطفئ مرةً في لقاء
ولقد يترك اللهب خفيّا
فاسعدي أنت دائما وانركبي لي
ما أداريه بابتسام المحيّا

ياحياتي بسحر عينيك تزهو
شمسٌ عمري وتُسمع الناس وحيًا
فعل غمضة العيون سكوني
وعلى صفو نظرة منك أحيًا
فإذا جئتِ يصبح الكون أحلى
وإذا غبتِ يشتكي ناظرًا
أنت ممزوجة بذراتٍ روحي
خضرة حلوة ولحنًا بهيّا
قبل لقياك كنتِ للروح أختًا
بعد لقياك صرتِ شعرا شجيّا
٢٢ مايو ١٩٨٧

دعوة للحياة

ملء عينيك خضرةً وأغان
سحرها موطن لأحلى الأمان
فإذا رحلتُ هائما فيهما من
فرط شوقي لا تكبحي من عناني
وإذا ذبتُ فيهما فاتركيني
ذائبا في عوالم المهرجانات
وإذا زهوك المحجب أوحى
لك أن تسألي أسألي من دعائي
قد دعاني نداء قلبي لدنيا
كل ما فيها مشرق بالحنان

مشرق بالجلال والسحر حتى
لكأنى فيها هجرتُ زماني
ناسيًا خنجر الزمان المرائي
حين يهوى على نبيل المعاني
داخلا فردوسا من النور يمحو
بنده الأسى الذي كم كواني
حيث تحيا مع الندى أغنياي
وتطيب الحياة بعد الهوانِ
هكذا أنتِ في وجودي حياة
فوق هذي الحياة تخيى كياني

٢٣ مايو ١٩٨٧

ما بين ليل وليل

لك أن تدسى جسمك النضر المغنى في فراشك كي تنامي حالمه
بالأمنيات المقبلات على جياذ الحلم هامة إلى الروح الطليقة
هيا انعمي بالصفو أيتها المنعمة الرقيقة
هيا اهتأى بالنوم .. إلقي الهم .. وانطلقى إلى أفاق دنيا ناعمه
فالليل أقبل ممسكا بوشاحه الشفاف كي يغوي عيونك بالرقاد
وترقرق القمر البهي على الشواطىء والحدائق والمدينة في اتصاد
الليل أقبل مؤذنا ليامتين تغتنا طول النهار بأن تكفا عن هديل
في حديقته
أزهارها تتجول الأبصار فيها هائمه
والليل أذن باسم لبحيرتين من الصفاء بأن تكفا عن خريهما
المنور والمباح

الليل أغمض باسماً عينيك كي تشرنقي بخيوطه السكري إلى
أن تولد الشمس الجديده
فيطل وجه النور كي تفتحي كالزهر في مرج على مرأى الصباح
وتُعانقي الدنيا الوليده

الليل أقبل .. فلتنامي
ودعي التراجع في حبال الفكر لي وحدي وقرى في فراشك حامله
ودعي خيالك يوقظ الدنيا بطلعته أمامي
متلأثا في كل ما حولي يحاصرني ويضحك حين يحرمني منامي
لأجوب بالأفكار أعماق الظنون الغائمه
وأسأل الأعماق عنك وعن أمان صائمه
الليل أقبل .. ها هنا
الليل أقبل موقظا شوقي إليك بلا انتهاء

هل تعلمين الآن بالعطش الملح إليك يا شمس المحبة والصفاء؟
هذا خيالك .. هل جنى
أم أنه حبي الذي يمتد في عمق السماء
يمتد في لف الغريب وأنت نائمة منعمة ليهمس في أسي:
عَطِشِي إِلَيْكِ بلا ارتواء؟

١٥ مارس ١٩٨٦

العودة للنبع

عادي منْ أصطفيه
باسطا كفا نديّه
باحثا عن كوكب كان مشعا بالأغاني في ليالينا الصبيّه
سائلا عن دفء دنيا كانت الأزهار قيهما بشذاها تحتويه

عادي منْ أصطفيه
يفتح القلب لنبيع كان يسخو ذات يوم بعطاياه البهيّه
فإذا النبع يلاقيه بصمت بعد ما جف وغاض الماء فيه
وانطوى يبكي فراديس الصفاء السندسيّه

ها هو النبع - الضحيّه
كان يوما يتشنى ضاحك الوجه ورائق
بين أشجار الحدائق

ها هو اليوم غريب يتلوى تحت أقدامٍ لأشباحٍ خفيه

عادي من أصطفيه

عاد .. لكن حنان التبع أدماه اغتراب فارتمت فيه أمانيه التي تشكو
الصدود

عاد .. لكن زمان الصفو شقته الرعود

عاد .. لكن لم يجد إلا حطاما يجتليه

ما الذي يديه قلبانا إذا ما هاجر الطير لكي ينسى حديقه ؟

هل تُرى نحيا الحقيقه ؟

أم نداري بأسنا خلف قناع زُخرفت فيه أمانينا الغريقه

بعد ما يحتاجنا طوفانٌ وهم يتراءى جارفاً أيماننا في جوف آبار

سحيقه ؟

١٦ مارس ١٩٨٦

إشراقه

افتح الباب .. فنور الصبح أت بالمحبه
افتح الباب لدنياك بقلب أورقت فيه الأمانى والبشائر
إنها تفتح في الصبح ذراعيها لترعانا .. فعانقها .. وغامر
ربما يفلح مسعاك على الدرب فترضى أو تشوب السعي خيبه
فإذا خاب فغامر مرة أخرى وثابر .. ليظل الركب سائر
ربما تلمس شوكا من عيون الآخرين
مشرعا يدمي أمانيك فلا تجزع ولا ترجع عن المسعى النبيل
وقتها تنساب موسيقى وتُنسبك الأنين
وقتها تقطف وردا
ربما ينصبّ إعصار من الحقد فلا تعباً بمن قد صبّ حقدًا
وتدثر بأمانيك إلى أن يمحق الحق خطي الحقد الويل
فتبث الناس ودا

أيها القلب المحاذر
افتح الباب .. وقل للاصدقاء الخائفين
لم يعيش من يغلق الباب عن النور ولم يلحق بركب السائرين
لاتقل إن قلوب الناس ضاقت بسواها واستطابت أن تناوز
لاتقل إن أمانينا أبيعحت فاستبيحت وافتح الباب وغامر
لاتقل إن رياح الحقد يوما أغلقته
وبأنياب أفاعيها الدواهي حاصرته
افتح الباب وجاهر بالأمانى والبشائر
افتح الباب .. فنور الصبح آت بالمحبه
ربما يفتح إنسان بدفء الحب قلبه
ويفيض القول شهدا
وقتها .. تقطف وردا

١٨ مارس ١٩٨٦

عندما يحاصرنا الحب

أكساد أحس الآن أني مطوق
بزهراتٍ فل من بهانك تعبئ
وفي الروح موسيقى تضيء نجومها
إذا جئت تسابين والنبع يدفق
فأنت ربيع زارني متفضلاً
وكنت أظن العمر يمضي ويمر
حبيبة .. إن الشوق خائض أبحر
عميقة أغوار .. تموج وتغرر
ففي حنانا .. إنني فضت لوعة
على ما مضى يوماً ولم أك أعش

تسربت في فكري فبت محاصرا
بطيفك والحلم الذي راح يغدق
أيا واحدة أنست حياتي شجونها
وأضفت على الروح النضارة تشرق
تعالى أعيدني صيما مهوما
بقرب فراشات تكاد تشقشق
تعالى لتحى ماتبقى من المنى
فتخضر صخراء الحياة وتورق
تعالى فإني - مذكيتك - شارد
صباحي مناجاة وليلي يورق

١٤ ديسمبر ١٩٨٤

عندما باح الجمال

باح الجمال بما أخفاه من سحرٍ
فاستيقظت يا حياتي نشوةُ العمرِ
طابت لمرآك أيامي التي شربت
في ظل لقياك من كأس بلا خمرِ
كأس من النور طول الليل تسكرني
وفي الشروق تذف الروح للشعرِ
فالصفو مكتمل منذ عدت مطلقاً
سرب الأمان على إيقاعك السحري
أنت التي نُقِشت في القلب صورتها
سيان في القرب أو في وحشة الهجرِ
كم وردة بدمي رويثها ورأت
من ظلمها حجب أجواني عن العطرِ
وجئت أنت فجاء العطر أجمعه
وازدانت الروح بالإشراق والبشرِ

هذا جمالك يبيدي السحر في خجل
وكان من قبل يستخفي بما يدري
هذا جمالك مجلوا يحاورني
وكان ينثر أشواقني على الجمر
غنسى اليام على أرض منعممة
الزهر يسطع في أرجائها الخضر
غنسى اليام فروح الأرض أغنية
بيضاء من دندنات الطير في الفجر
أهواك ما عشت نعبا بات يغمرني
ويغسل النفس من حزن ومن قهر
عيناك كم قادت قلبي إلى جزر
فيها الصفاء يندي أضلع الصخر
وما هنا جادت الدنيا بخضرتها
مذ عدت نبع جمال ناصع الطهر
٢٨ أغسطس ١٩٨٦

حنين

أحــــــن ... ويكبر في الحنين
ونار من الوجد ليست تين
أرى من أراه بوجهه بشوش
وفي عمق روحي حريق دفين
وألقاك .. أخفي السدي لا يسر
ويدي لك البشر قلبي الحزين
وأبقى أمائل نفسي إلى كم
أبست شجوني ولا تسمعين ؟

تصدين زهوا إذا ما نطقت
وتبدين نأيا إذا ما اقتربت

وكنيت تثيرين شعري بسحر
يفيض دلالة إذا ما سكك
أهذا جزاء المحب إذا ما
تدفق حبا .. فقال: عشقت ؟
لئن هبط العاشقون لسفح
فحسبي بأنني بحبي سَمَوْتُ

يطول انتظاري لشرق سحر
وهمسة ود تنير بثغرك
فأشكوا إلى صورة في الجدار
وأكتم شجوي بخصلة شعرك
ويدي الخيال مديّل اليام
لسمعي ويدي شراعي لبرك

وكرسيك الفارغ المستجير
يثن أنين غريتي ببحرك

تثر زوابع صدك ضدي
وأبقى أحبك ، يشهد سهدي
وأبقى أناجيك رغم التجافي
ورغم العناد من المستبد
فوجهك عندي ربيع يطل
ليكسو الصحاري حداثق ورد
وطيفك عندي ملاك يهل
فيؤنس روحي بأنبل ود

٥ نوفمبر ١٩٨٦

حوار بين وردة وغصن وشجرة

وردة أطرقت تسأل الغصنَ حائرة باكيه
أيها الغصن قل : هل سأسقط إن مرت الريح مجنونة قاسيه؟
غصنُها قال - في قلقٍ ساخر - ربما تسقطين
ليس هذا مهما .. فغيرك أبهى ستولد مبهجةً للنظر
ثم قال لها مشفقا بعد تنهيدةٍ لا تبين
ربما تعبر الريح قربك ناعمةً أو تلين
ويحييك قطر الندى بعدها ذائبا في حنين
مطلقا حولك الفرح المنتظر
فتفيضين حسنا تقر به أعين العاشقين

أطلق الغصن من خوفه يأسه

سائلا نفسه

هل سأكسر إن مرت الريح مسعورة أم سأبقى ؟
هل ستشمت بي وردتي إن كُسرْتُ ولم تسقط الوردة العطره ؟
ليتني كنتُ في باطن الأرض جذرا لأبقى وأزداد عمرا وعمقا
... وهنا سمعتُ صوتَه الشجره

قالت الشجره

أيها الغصن لا تبتش .. فمصيرك نفس مصيري .. أنا الشجره
ربما تخلع الريح جذعي ، وقد أنقل الآن من موطني صاغره
أو أقطع .. ثم أجمع .. آه .. خيال المسامير يبدو أمامي
صارخا: لن تَرَى راحة .. لن تنامي
حينما تنفذ الطعنة الباتره

.....

إنما - أيها الغصن - أنتَ تراني أغني
رغم طعن الظنون تراني أغني

شكت الوردةُ الهمّ ملتاعة ، وشكى الغصنُ من بعدها قَدْرَه
إنما الشجره
أطلقت ضحكة رغم شكوى الصفار
واحتوت قبضةُ الريح باقي الحوار

ها هي الريح قادمة من بعيد
وجهها عابس مثل وحش عنيد
تعصف الآن بالذكريات وتهزأ من موكب الأمنيات المضيئه
تكس الورق الساقط ، الورق المستباح لأية ريح تحيي
والظلال الخبيثه
تكتم السر كي تستمر الحياة بقلب البريء وقلب المبيء
تكتم السر كي تستمر الحياه
غنة حلوة فوق كل الشفاء

«الأحد ٨ مارس ١٩٨٧».

الخليج .. والصبي الذي كان

غاصت الشمس غارقةً في مياه الخليج الدفيء
الغصون عيون .. أطلت تطلعتها أو تشيعها بالخفيف
والطيور مضت نحو أعشاشها في انتظام رهيف
وعلى الشط رَفَّ جناح شفيف
حاملًا نورسا حائرا .. ليس يمضي وليس يجيء
النهار انتهى ها هنا .. والنهار هناك يضيء

ها هي «الدوحة» الآن جوهرة نورث في هدوء المساء الرقيق
ها هي الجوهرة
تستجم بنور المصابيح .. أو تستجم انتظارا لنور القمر
والسماء التي انعكست فوق سطح المياه اكتست بالجلال العميق

السماء اكتست فضة مزهره
فضة برعمت أنجما حلوة النبض .. لكننا ليس فيها بشر
ليلة هادئه
الوجوه تلاقى على الشط في ظلها هائه
إنها - فجأة - شقها صوت نسيارة لاهيه
فاستحال السكون دوائر دوامة قاسيه

الخليج اختلاج بسر القلوب التي لاتبين ، وسر السنين
تحت سطح المياه
سمك خائف بات يرجو النجاه
سمك يخسر العمر والبحر إذ يسقط اليوم أو في غدٍ في كمين
والحصى في القرار يمحى بها في القرار الدفين
الحصى في القرار أجش الرنين

أيها الموج .. يامن تعانق شط الخليج الدفيء
كم تَرى ها هنا من صبي برىء
يسمع الآن أقصوصة حلوة أو يفتش عن لعبة ضائعة
يسأل الآن عن ربه الغائبين
يدهش الآن من مشيتي الوداعه
في وقار حزين ..



الصبي البريء
كنته ذات يوم وكان الندى في شفاء الزهور يلامس قلبي
كنته يوم كنت طليقا بدربي
كنته يوم عشت زمانا بنور المحبة - في ليله - أستضيء
الصبي البريء
خنته دون قصد وخنت الندى في شفاء الزهور
خنته حين بالصخر حاصرت قلبي وأقمار حبي

حتته حينما انطلقت صرخة لم أعزها اهتماما .. وما من معين
وارتضيت المسير بثلج الفتور
ذابحا خطوتي بالوقار الحزين

الصبي البريء
كنته حينما القلب كان ثريا بدنياه .. لكنني ختته
حتته حين عشت الزمان الرديء
حتته حين قلت لمن أدمنوا النيش في عالمي إنني عفته
وارتضى الكل بالزور ما قلته
فقتلت الصبي الذي كنته ..

« السبت ٢٨ فبراير ١٩٨٧ »

حصار الوجوه القديمة

صمت الظهيرة جثة منكوبة تطفو على سطح الحياة الراكده
ووجوه أحبابي أطلت - في هدوء - من نوافذ في جدار الذكريات
لتحيط بي رغم الشتات
وأنا هنا مستسلم كقطارٍ حزينٍ نائحٍ بطوي السنين الخامده
والوهم فوق المائدة
طبق يقدمه الذين تجمعوا ليؤجلوا عزفي للحن الأمنيات
يا للوجوه الجامده
تشتاق تدفعني لكهفٍ شاده الزمن البعيد من الرمال الناعمات

يا للوجوه الجامده

وجه لحب لم يُطَقْ صبرا على الريح العتية فانطوى .. ثم انكسر
وجه لصدق لم يطق صبرا على الزمن المراوغ فاكتوى حتى اندحر
لتواصل السحب المريبة مكرها في سيرها
وجه لشمس لم تطق صبرا على صمت الظلال الشائها الباردة
فتفتت من قهرها
وجه للحن لم يطق صبرا على صخب السامسة الأكابر.. فانتحر
وجه لورد لم يطق صبرا على مستنقعات أطبقت واستحكمت
فاصفر لونا وانتثر

هذى الوجوه جميعها .. جاءت هنا - بعد الغياب - تحيط بي
رغم الشتات
هذى الوجوه جميعها .. وجهي أنا .. قبل احتراق الروح في وهج
المظاهر

هذى الوجوه جميعها .. كانت لكم .. لكنكم عثتم على الأرض الموات
وتفرقت بكم المطامع والمسالك والمعابر

صوت يقول لموجة العمر التي تمتد عبر الشاطئ الملتف بالصخر
المموه والزبد:

« .. استيقظي .. لا تتركي خلجات قلبك عالقه

في ذكريات غارقه

وتأكدي .. أن لا أحد

يبكي عليه الآخرون إذا تراجع وارتعد

فالرياح تدفع بالنفوس إلى مطامع شاهقه

كلُّ يفكر وحده .. كيف النجاة إذا سقط ؟

كيف النجاة .. ولا يد تمتد صادقة إليه إذا تخلف من عياء أو

تخوّف من غلط

لا تجفلي باموجه العمر التي تثوبُ
لا تجفلي .. إذ ليس من أحد يعين ولا سند
وتأكدي .. لا موجة في بحرهما لا تتعبُ
لكنها تبقى تواصل سيرها رغم الكمد
وتأكدي أن الطريق ينيره الضوء الجديد
للسائرين مع الحياة ، الطامحين إلى الامام ، بلا مخاوف من سقوط .
وكانه الأمل الوليد.
يأتي .. ليخنق ما ترسبَ في النفوس من القنوط ..»

والآن .. أيتها الوجوه
الآن .. أغرق في سؤال حائر ، يتجمع الأحابيب كي يتقاذفوه:
من أن نبداً .. والطريق مهدد بخطى وحوش لم تزل تتوعد
البسطاء والنبلاء منا ؟!

من أين نبدأ .. لا يد تمتد صادقة ولا عقل يشير إلى الطريق ؟
من أين نبدأ .. قبل أن تتحول الأيامُ عنا ؟
من أين نبدأ .. قبل أن يحتاجنا أعتى حريق ؟

٧ مارس ١٩٨٦

قصة الطوفان..

من نوح إلى القرصان

✽ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٨٩ .

الإهداء

إلى جمال عبدالناصر

في عهدك تعلمت بفضل مجانية التعليم الجامعي التي منحتها لي
ولأمثالي منذ أن طبقت شعار د. طه حسين «التعليم ضروري كالماء
والهواء».. وفي عهدك ارتويت من ينابيع الثقافة بفضل عاشقها الكبير
والمستنير.. الكاتب الفنان د. ثروت عكاشة.

«حسن توفيق»

هى والعالم

لو أنها تصفو لنا الدنيا وتبتسم الرجوه - إذا تلاقى - للوجه
كصفاء بسمتك النيله
لو أن كل الناس في الزمن المروع قاوموا الظلم الذي كم هادونه
وترفعوا حيناً كما ترفعين عن الوشايات الدنيئة والرذيله
وتعلموا أن ليس للإنسان من سعى على صخر تبرقع بالطحالب
إلا بأن يتساند الحشد الطموح محطاً أعتى العوائق والمصاعب
لو أن عالمنا الكسيح يساند السعداء كل قوافل التعساء فيه
لو أنهم يحيون بالقلب الذي لم تحبسيه
في سجن ذاتك فالتقوا متآلفين مع المحبة والتآخي والسلام
لو أنهم قهروا الظلام
كسروا أواني الزور واخترقوا حصار الخوف في ليل الترسد والمكائد

لو أنهم عرفوا التوهج في البداية والتأمل في انحدارات النهايه
وتتبعت أبصارُهُمْ صُورَ المخاوف في الروايه
لتحلّقوا حول الموائد
بسطاء يلقون التحايا دون أن ينسوا أحد
وتنفسوا رغم اندلاع النار أشعلها الرباء
عقب المودة والنقاء
كنقاء وجهك في الغروب على شواطئ تستجم وتستحم مع الزبد
لو أنها تصفو لنا... لو أنهم ... لو أنهم
لو أنهم هزوا جذوع النخل فانفطرَّت ثمار
وتقاسموا كل السنابل واجتثوا الرطبا
وتدفقوا صوب النهار
وتقاسموا التعبا
وأثوا هنا متعانقين وقد أراحوا سجنهم
لو أنهم شُغفوا بنا فسعوا لمن شَغفوا

لو أنهم عرفوا
لخرجتُ من سجنِي إلى ضوءِ النهار مع الصحابِ الخارجين
لهجرتُ شـرـنقتي
وطويتُ أشعارَ التغربِ والكأبةِ راضياً فاستبشرتُ لغتي
وتبددتُ سحبُ الأنينِ
فهتفتُ إنِّي أعشقُ الدنيا التي تصفو لنا وأجوبها متهللاً
وأذيبُ إيقاعاتها السكري وأمزجها بعطر الروح في عصري السعيد
وأحبُّ أشرعةَ الحياة تلوح في عرض الزمان على مدى الأفق البعيد
وأحبُّ كلَّ الناسِ.....
كلَّ الناسِ.....
في الزمنِ الجديد.....
كما أحبك... يا حبيبِ

٣٠١ يوليو ١٩٧٦ء

في القلب

أرحلُ من أرضٍ إلى أرضٍ .. وأتقي السقوط في الطريق رغم
وطأة الهجير
لأنَّ من أحبها .. تحب أن ترى معي جوهرة صفاؤها ليس له هنا
نظير

أبحث في البحر وفي الأرض وفي السماء
أفتش الهواء
أسأل النفوس في مجاهل الأهواء
أحاور الأشياء
لعلها تدلني .. فكم بحثُ مرهقاً وسرْتُ ما وجدت
عدت كما بدأت
فلست لصاً بارعاً ولم أنافق الكبير

ولم أقل للكاذبِ المخمور... أنت صادقٌ ومؤمنٌ وللسوادِ أنت
أيضُ

مقبلاً أحذية الطغاة في ذل الأسير
ورافضاً ما يرفض السادة لا ما من قرار القلب يُرفضُ
وبينما كنت أعود في الطريق صامتا
منتظرا أن ألتقي بما جني أراه مُعوجَّ اللسان شامتا
أطل وجه حائق من المدى المحزون
سمعتُه يقول رغم الصخب الملعون
«يا شجر الزيتون
في العالم المجنون
سيخلق التجار والفجار ما لا تشتهون
وينشر التضليل بالتطيل ما يرددون
لأنهم يدرون

بأن ماتحبه نفوسكم ليس سوى المظاهر المجوفه
يومئذ يرى البشر
وجوههم في الطين إذ يللمون أقبح الجواهر المزيفه
ويسقطون في الحفر
مكابرين يقرأون السور المحرفه....»

غاليتي يا من رأيتني باحثاً رغم الضنى مثابراً مسائلاً
يا فرحي الآتي .. ويا مصباح روحي يا حبيبه
في حوزتي جوهرة لم تشهد لها رغم أنها منوره
جوهرة رغم الضنى أحملها دوماً معي
أغلى من الجواهر التي مع التجار والفجار والسماسره
لأنها لم تقبل التزييف مرةً ولا ارتضت لها ركناً بطل غايه الشره
فلتشهدي غاليتي .. جوهرتي تلك التي ليس لها نظير

ولتبعديها عن عيون الزور والحساد في المنازل المجاوره
ولتفتحي لها الطريق بالحنان كي تنير عشنا الأثير
فإنها قلبي الذي أحبك الحب الكبير رغم ماثيره الزوابع المناوره
« ٣٠ يوليو ١٩٧٦ »

الضفاف والأشعة

إني افتقدْتُكَ وانتظرتُك مثلما انتظرتُ ضفافَ النيل أشعةَ
الأحبة منذ تولوا غائبين
فتساءلتُ : هل ياترى تتكاثف السحب البليدة فوقهم أم أن طير
البحر يؤنسهم

فهما يكن من أمرٍ غيبتهم سنبقى في انتظار موحش طول السنين
وحنان قلب الله من علياه يحرسهم



لو سرتِ في قلبي الذي يلهو به الزمن الضنين
لو سرتِ في كل الشرايين التي تمتد من قلبي إلى أطراف جسمي
لعرفتِ مامعنى الحنين
وعرفتِ أنك كوكبي الشادي الذي ناجاه حلمي



كل العصافير التي تصحو على إيقاع نورِ مؤنيس في كل فجر
أصحو كما تصحو فتلقاني وألقاها وأسمعها وتسمعي
صوتي غزالُ تائهٌ وأنا بأثرِبة الأسي أتأمل الأفق البعيد وأقلق
الموتى بِشعر

فغيوم ليل التيه - رغم النور - تسكنني

ضحكاتُ أشعةٍ تلوح فيا ضفافَ النيل غنيّ واسعدي وتطيّبي
الغائبون أتوا على وقع التشوق والنهارُ أطلّ يضحك فاطربي
ودعي الترقب لي فقد أضنى الكيانَ ترقُّبي
وحدي يعود الليلُ في عجلٍ إليّ وها أنا أرنو طويلاً للسماء لعلَّ
يقبلُ كوكبي

٢١١ يوليو ١٩٧٦

بالحب أحضنكم وألغنكم!

بالحب أحضنكم وألغنكم فأنتم تنبشون الأرض بحثاً عن كنوز
وأظل ألقاكم بأرض أثقلتها الأوبئة
يا من سكتتم في الرئة
فلتسألوا عما يجوز ولا يجوز فليس من حي على الدنيا يفوز
إلا بذكرى منبته

عمن تألف أو تخاصم أو تزلف للزمان
وتغوص في النسيان ذكرى أسرع خطواتها نحو الضياع بلا
لسان
فتقاسموا - طول الحياة حياتكم - كل الذي معكم وعيشوا
هائنين

ولتبحثوا - رغم الضياع - عن القلوب المدفئة
في بردِ هذا العالمِ المجنونِ بالدم والمظاهر واحتشاد الزائفين
ولتحذروا - يا إخوتي - أن تفرقوا في الأوبئة
الفقر - فقر الروح - شقُّ جلودكم طول السنين
فلترجموه بما تبقى من ترانيم الأخوة
وتعانقوا فالحب قوة
إن لم تحبوا بعضكم فلتسقطوا عَفْنًا بقرب الميتين الغابرين

٣١ يوليو ١٩٧٦

الوهم

في الليل أجنحة ترفُّ مع السكون ولا تُرى
وأحس حين تداعب النسائم أوراق الشجر
أني سألستها

لكنها تبقى ترفُّ.. وتعتلي أقصى الذرى
فأقول علَّ هناك أجنحة سواها في أقاصي الليل تؤنسها
وأظل أحلم أن أراها حانقا لسماع أصوات التطاحن والبشر

تجتاز ذاكري أقاصي الليل راحلةً إلى شط تشرنق بالغروب
أتذكر اللون النحاسي الحزين يلوّن الموج الذي اشتبكت خطاه
فأمد كفي في المياه

متأملًا في لونها والصمت تملؤه الثقوب
وإذا بها يضاء فالشمس الخبيثة تخدع البصر الذي شابت رؤاه
وبرغم ما يُعْيِي الرُّؤى مازلتُ أسعدُ بالمياه وبالتفتح للحياه

وأظل في وهمي الجميل
متحرراً من ضجة المذيع في البيت المجاور والتطاحن في الطريق
وترفُّ أجنحةُ ولونُ الموج شرنقه الغروب بعمق ذاكرتي يقيق
وأنا أهوِّمُ في الفراغ فلا حدودَ لمن أفاق وشفَّ في الليل الطويل
إلا إذا انهدم الجدار وقوض البيت الحريق
وسجدت للعصر المزلزل والأكابر والقروء وليس هذا بالقليل

يا صاحبي لن ترتوي رغم اشتياقك للمزيد
فاهدأ ودعني هادئا

ودع الرجال الفارغين يفتشون وينبشون الطين في نهم بليد
كل الكنوز سترتني في قبضة الطوفان حيث يدوسها مستهزئاً
نهر السعادة دافق متجدد لكنه - يا صاحبي - أبداً بعيد
فإذا اقتربت فإن صوت الموج ليس سواء ماستظلُ تسمع لو
تريد!!

٣١ يوليو ١٩٧٦

قصة الطوفان من نوح إلى القرصان

(١)

شتاء شائك يعدو على الطرقات منقضاً بأنياب فجائيه
تَدَقَّقُ سَمَّهَا النَّارِيَّ طوفانا يحاصر رحلة الأجيال للآمال
وقاهرة المعز تنن، والطوفان مكتسح شوارعها التراييه
وفي مدن القنال تموت صبيحتنا الفدائيه
لترضى الناس بالأغلال
وتبقى الأرض مزرعة يروح حصادها الغالي لمحتل يدنسها
فكيف تُرى نواجه في المدى الدامي أحبتنا
وروح الحق مغتصبه؟!
وكيف نطبق أنفسنا
ونحن نرى على الطرقات طُلُقاتِ الرصاص تمزق البسطاء
والطلبه؟

هو الطوفان أطلق موجّه النيران تقتحم السفينة في تأرجحها وليل
الرعب يطوينا
وكان لنا ربابنة تَوَحَّد بعضهم فينا وأبقوا صوتهم معنا.. لكي
يجدوا لنا أطواق

وبعض منهم انتحروا
وغامر بعضهم بالنهب مغتتمين رعب الناس في أرجاء وادينا
إلى أن غاب أغلبهم بما نهبوه واجتاحت سفيتنا رياح الموت
تأمرها بأن تنساق

بمن فيها.. وقد قهروا
وعند تطلّع الدنيا إلى ميلادها الثاني توائب نائر عملاق
على باقي الربابنة العتاة وقد تراخوا رغم سطوتهم وحنكتهم
فألقاهم بمن معهم إلى الحيتان في الأعماق
وأنستنا مخاوفنا ملايحهم فلم نفرغ ولم نجزع.. لغيتهم
وراح الثائر العملاق يمضي بالسفينة دون أن تعيا له همه

وظل يواجه النار التي اقتحمت سفيتنا ويلعن من بنا لعبوا
ومن بالأمس قد نهبوا
وبعد توهج الشمس التي كانت محبة .. تحول ظله خيمه
تحيط بنا وتأسرنا وجال كما يشاء ليحشد الأتباع والأعوان
فأصبح وحده الربان
وقال لنا صحابته انظروا هذا نبي الله نوح جاء ينقذكم من
النيران والمحن
مباركة سفيته التي كانت سفيتكم .. فنحن اليوم إخوتكم
أتينا كي نخلصكم ونغسل جبهة الوطن
أتينا كي تطل اليوم فرحتكم وعزتكم
أتينا كي يرى الحق الذي لى طريق رجوع
فأنتم معشر الفقراء أورثكم إلهكم المعظم كل أرض الله كي تحبوا
بغير خنوع

وراح الثائر العملاق يبحر في محاولة النجاة بنا من الأخطار
تجاه الشاطيء الغربى لكنّ التماسيح التي انطلقت مباهيةً بكل
هياجها الضاري

تدافعت المطامع في ملاحها وكادت أن تمزق صدره العاري
إلى أن عاد ثائرنّا وقد أوهت جوارحه وساوس من يرى إعصار
وعدنا بالدم الجاري
وكان عليه أن يمضي وقد صقلت عزمته سواعدنا الحديدية
فراح يجربّ الأبحار
تجاه الشاطيء الشرقى حيث رأى مساندة لرجهته الربيعية

سفيتنا على الأمواج طافية تبارك سيرها روح من الأمل
وأشواق إلى شط يلوح لناسها البسطاء
سنبلغه لكي نبني وكي نجني من الثمرات مانرجوه بالعمل
سنبلغه مع الرفقاء

سنبلغه ، ونمطرُ ناصِرَ الفقراء بالقبِلِ
ونسعد نحن بعد شقاء

.....

تعالَت صيحة الفقراء في فرحِ بِثائرها فكم لاقى قراصنة...
وما اهتزت له شعره

وكم لانت له صخره
ونحن نراه يقتحم الصعاب ليخرس السفن الصغيرة في انبلاقتها
ويسهر كي يوجهها إلى شيطان غايتها
ولكن مرت الأعوام، والطوفان يبعدنا عن الشط الذي نرجوه
وأفواج من القرش اللعين تظل تتبعنا
وحقد الليل والماضي براوغنا ويُرجعنا
فصاح الثائر العملاق إنا قد تراخينا وكدنا في الظلام نتوه
وفوجئنا بأذرية بعرض الشاطيء الغربي تعصرنا.. وأن
الأنخطبوط يعرقل الإبحار

ونحن نغوص في دمنا وننزف أنبلَ الأشواق
وأين الثائر العملاق
لقد همدت جوانحه ومات مكللاً بالدمع والصرخات والأشعار
وفوق ضريحه المحزونِ فاضتْ أدمعُ العشاق
وبعد رحيله الفاجع
ترأت جوقه الغربان
وهنا الجواسيسُ الذين أتوا من الكهف القديم إلى سرادق
حزننا الجائع
وقيل لنا - بصيحة شامتٍ لزج - لقد ألقى بكم زمناً إلى الشيطان
فلا تبكوه أو تحبوا لنا ذكراه بعد الآن !!

(٢)

وظل الناس مرتجفين في دوامة المحنة
وقيل لهم سناوي بعد عثرتنا إلى جبل سيعصمنا من الطوفان
نُعمره بما فينا من الإصرار والايان

ونجعل أرضه الجنة....

تزامت الرؤى سحباً مقامرةً ولا مطرٌ سوى الضوضاء والتضليل
ولا زرع سوى الأحجار، والغيلانُ تنهش ماتبقى في ضفاف
النيل
وجيء لنا بقرصانٍ لثيم الطبع عصبناً ليمضي بالسفينة في مدى
يمتد للغيب

فتنهنا في سفيتنا التي صارت سفينته
ولم نكشف من الأخطار والأحزان سيرته
وإن كنا تنبهنا بأننا لانتابع غير وجهة من قد انجهوا إلى
الشيطان في الغرب

تغيم ملامح الأشياء
وسيدنا يقامر ثم يسترخي بخلوته ليخفي وجهه الشبهه
وتبقى الشمسُ جثةً ميتةً تلقى رواثحها على أطماعه الجوفاء

وترهقنا سفينتهُ المخوخة الجوانب دون أن ندري لها وجهه
وزوجته تلاطفنا بأثوابٍ مزخرفة لتلهينا عن السرقة
وتمنحنا هديتها لقاء عبادة الأوثان
وتفحصنا بنظرها لشكر نظرة الشفقة
فتنذر عمرنا قربان
وتمضي في العباب بنا سفينته فلعلنه ونحن نُقَلِّبُ البصرا
فلا نلقى سوى الطوفان
نحاول أن نرى شجرا
ولكن لم نجد إلا الخراب وظلَّ عسكرٍ عصبية الطاغوت والبهتان
نحاول أن نرى بشرا
ولكن لم نجد إلا سماسرة جيابرة أضاعوا جوهر الانسان
نحاول أن نرى معنا سُدًى قلباً يدقُّ وما يزال منوراً نضرا
ولكن لم نجد إلا التغضن والتعاسة تلبس البسطاء ثوب هوان
نحاول أن نرى الدنيا ولكنَّ اللصوص تناهبها دون أن ندري..
ولم نلمح لهم أثرا

كأنا جوقة العميان

رأينا حضرة القرصان يرفل في النعيم وقد تألَّهُ قلبه الأسود
ومَنْ معه من الندماء دنياهم منورة.. وأوجههم منضرة بما نهبوه
من أسلاب

ونحن العمر لم نسعد
ولم نظفر بغير خطابة الخطباء والكتّاب
كأن الله يخلقنا ليرهقنا وينسانا
ويخلقهم ليرعاهم
ويُنبت حولنا شوكا وأعشابا وأحزانا
ويرعى صفو دنياهم

تَطَوَّقْنَا المجاعةُ.. أه حيث النار أمسكت السفينة من أعتها
وراحت تُفرخ الأنقاض

وتلقبها على الأرض التي غصّت بحسرتها
لينضح نيلنا أسفاً خريفيًا على عهد الفداء سدىً إذا ما فاض
فيسأل بعضنا بعضاً : لماذا يُقهر الفقراء
وتبقى أرضنا عفنه ؟!
لماذا لم نعد نحيا ويسرق قوتنا كل الذين أتوا من الغرباء ؟
لأننا منذ أسلمنا العنان لهم وسلّمنا نطلّ نكافيء الخونه
نظل نكافيء الخونه



هو الطرفان يا وطني
تَدَفَّقَ مرةً أخرى على الأرض التي لم تشهد الإشراف والراحه
هى الأوجاع مجتاحه
هى الروح التي اغتصبت وقد ضجعت من المحن
هو الحقد المقدس في جوانحنا وقد ضقنا بها نهبه من أسلاب
وما ساقوه للأصحاب

من التهم التي افْتُضِحَتْ روائِحُهَا .. فَعَفْنَاهَا
هو البؤس الذي ذَقْنَاهُ أَحْرَقْنَا، فَأَحْرَقْنَا مَلاهيهِمْ وَدَسْنَاهَا
هم الفقراء ضاقوا - لحظةً - بالعيشة المره
فألقوا بذرة الثوره

٢٦ يناير ١٩٧٧

تهمة العصفور الذي اتجه للنهار!

(١)

قلتُ للعصفور لا تفردُ جناحيك بشوقٍ فوق أرض مهلكه
إنها لا ترحم العصفور حتى بعد صلبه
وتذكرُ حين تشدو أن همس الحب يفضي عادةً للتهلكه
تحت أقدام أناس يتسلون بأن يبقى شعارُ العدل وحلاً بعد أن
يَزُنُوا بقربه

واتجهُ نحو اليمين
حيث تحيا جنبَ ينبوعٍ صناعيٍّ وتشدو قرب أحفاد الملوك المترفين
الناعمين

وإذا شئتَ مزيداً فاتجه نحو الوسط
إنهم يستوردون العشب والقش لكي ترتاح في الليل وتنعم
وسياتون بهائس لجناحيك لتبدو كالطواويس.. وتغنم
لأنسَل من أين يأتي الماس؟ إن الناس تدري.. وعموماً
فالسؤال الحقُّ بالفوضى اختلط

(٢)

طرقاُتُ الناس كانت لأمانيتهم فسيحه
فلماذا اليوم تبدو كالحايتِ مربكه
أيها الذكرى الجريحه
ادفعيني طلقهً تحتاج أضلاعَ لصويص مستشارين لغشاشين
خاضوا معركة

ليطلبوا في غرور
زاعمينَ اليوم أن النصر نصرَ الشعب نصرٌ للجواري في القصور

إنه عصرُ كلابِ الصيدِ لاعصرُ صلاحِ الدين والروح المليحه
(٣)

إني أرى تحت الرماد جذوة من اللهب
والرجلَ الأرقطَ إذ يظل مسرع الخطى بما نهب
وزوجه التي ارتمت أطماؤها على الذهب
في جيدها العقد النفيس اقتنصته من أميرات القصور والطرب
إني أرى تحت الرماد جذوة من اللهب
وإنها آتية من الصدور كالشهب
لو انفجرت بكرة يا ثورة تخضب المدى بغابة الغضب
(٤)

قال لي العصفور في صوت ربيعي العالم
وبعينه وثوق أن وجه الحق قادم
قال لي العصفور: أنصت يا صديقي أن صوت البرجوازي الصغير

جاء يسعى وترجاني سدى أن أتطلع
إنما قلبي الكبير
لم يزل يعرف أن الزيف مهما يبق في الأرض مسامير سيقطع

.....

رفرف العصفور حولي في هدوء ثم طار
قاصداً أفقاً رحباً وبسطيه انتظار ليس يعيا للنهار
كانت الشمس حقولاً زانها قطن وأعشاب وتوت وثمار
ومع الشمس النهار

(٥)

كان عصفوراً فتياً
كان يشدو للينابيع التي تقطر طهراً وانطلاقاتٍ وثوره
كان يشدو وينادي العدل في الأرض ويدعوه لأن يحيا ويحيا
كان يشدو للنداءات التي تربط أشواقاً بأخرى في اعتداد

ولفلاحين جاعوا بعد أن لموا الحصاد
كان يشدو كلُّ مره
لرغيف الخبز والنيل الذي ينضح خيراتٍ وأحزاناً وصبراً
لفلسطين وللأرض التي غابت عن العين ولكن لم تغب عن قلب
إنسان العروبه
كان يشدو للملايين التي كم أوسَعَتْهَا أبشعُ الأغلal قهراً
ولمن غابوا وأبقوا في ضمير الناس باقاتٍ انطلاقٍ للخصوبه
(٦)

قبل خُطى الفجر
يصحو الذين أطلقوا أصواتهم قنابلاً ضد خطى العهر
ليرفعوا الراية بالإصرار والطهر
مهما أضاعوا أجل العمر

(٧)

أه يا أمي العريقه

في صباح اليوم جاءوا بكلاب الصيد في أرض أذاقوها البوار
أطلقوا النار على العصفور لما أطلق العصفور في الشمس
حناحيه وغنى للحقيقه
أطلقوا النار على العصفور لما أطلق العصفور في النور جناحيه
وغنى للنهار
٢٢ أكتوبر ١٩٧٧

زيارة الرجل الذي بضاعته الايمان

فجأة زارها.. ثم عاد الدنيء
لابساً عاره دون أن تخجل الروح حين تباهي بعشق الخيانة
يارفاقي اشهدوا أن روحاً جبانة
تشتري السلم بالذل كي تستقر على العرش في كل يوم يجيء

امضِ نحو العدو الذي كم أسأل دمانا بخبث وناج اليهود
وابتسم في بلاهه
يا مريض الرؤى أنت تحتاج طول المدى للنقاهه
أيها المؤمن الزئبقي الودود!!

مؤمنُ أنت لكنْ بنهب قصور الملوك القدامى وغشِ التجاره
باستراحاتٍ عهرٍ تُشادُ بلحم الحفاة الجياع
مؤمن بالخداع.. لذا ترتدي - كل يوم - قناع
أي حامٍ ترى سوف يحميك يا زئبقي إذا الشعب ألقى السكوت
ليطلب ناره؟!

إننا نحمل العبء رغم هدير القروض بأرض الجراح العميقه
فلماذا يطول سكوتُ البشر
بينما كل قرض يُطلُّ يَظِلُّ بعمق جيوب الذئاب الصفيقه
ليس من أجلنا إنما كي تشاد القصور وتحلو ليالي السهر؟!

أي حرية يزعم المفترون
أنهم زارعوها، وهم يسجنون الرغيف البسيط الذي نشتهيه

كي نجوع، فيخلو الطريق لهم ريشما يمكرون
فإذا بالديني يقول لنا : إنني عاشق للسلام هنا ليس مثلي شبيه!

ليس معنى الغضب
أننا نرفض السلم .. لا.. إنما فليعد أولاً كلُّ حق لنا
فلتعد أرضنا كلها .. ولتعد كل أرض العرب
ولتكن أرضنا أرضنا، ولتكن شمسنا شمسنا

وليعد من يبيتون ليلاتهم في ظلام الخيام
فوق طين المذلة
فليعودوا إلى أرض أجدادهم دون أن يُركلوا بين يوم وليلة
يومها يبحث الناس بالحبي عن عمق معنى السلام

« ٢٨ نوفمبر ١٩٧٧ »

روما - صنم وقابوت

لم يبقَ من روما سوى روما التي تبكي على أبنائها المتمزقين
والبحرُ مرآة... صديّدُ البؤس منعكس عليها، والسماء جرائد مفتوحة
أو مغلقة

لكنها - بعوائها - تحكي عن الكذب المبين
قالوا بأن الزرع زاهٍ... والحقولُ مشققة!!
قالوا بأن الحب عنوان لنيرون الأمين
مع أنه يتنفس الأحقاد من لغة الثعالب، والمخاطر محدقه
قالوا بأن زنازن الزمن المخضب بالدماء وبالوساوس والأنين
قد هَدَموها وانتهت، لكنهم نهبوا قصور الراحلين، وأسلموا آمالنا
للمشنقة!!

يا أيها الصنم الذي يحتال كي يبقَى على وطن الجباه المطرقه
يا ظلّ مقبرة مشوهة على أرض تقاسمها السماسرة الجبابرة
الذين يقايضون بنا على مر السنين
قامر وجعجع بالسلام وبالحدائق مشرقه
وببسمه الطفل الكسير لأنه افتقد الحنان من الأبوة في مجازر
لم تَدُم إلا.. لحين
كي يستقر على هواك المَلَكُ، قربك قطّة مسعورة ومرايه
تمشي على جثث الضحايا
كي تجمع المال الحرام، تدسه في جوف بنك صامت أو هاويه
وتلوح مثقلة بما يأتي من القدس الجريحة من زخارف أو هدايا
شهقت هدايا القدس في أرجاء قصرك دهشة، فالقدس محتله
اذكر بها الغفله!

يا أيها الصنم الذي يتجمع المتهرون على سلام قصره
كي يهتفوا - متشنجين وكاذبين - لعصره
داعين في صلواتهم
داعين في صلواتهم.. لا.. لا.. فهم يدعون عند الفوز في صفقاتهم
يا «حلو»... يا دولار
احفظ له الكرسي
والعالم السحري
من زمرة الأشرار!
يا أيها الصنم الملوّح بالقضاء العسكري وبالزنازن والحديد
يا أيها الصنم البليد
الغش.. لن يحميك..
والنيل.. لن يرويك..
فالصمت مات، ولن يعود إلى الوجود كما تريد

والريح أتية بما لن تشتهي.. وستُغرِقُ السفنَ التي تغويك!!

عبر المدى العربيّ أشهد صارخا تابوتَ مَوْتِي يجمع المتمزقين
أخشابه مطلية بسراب دولارات أمريكا التي هتف الغباء بأنها
نِعَمَ الصديقه
أخشابه البكماء في هذا الطريق المستباح لكل من حمل السلاح
تدري عن الوحش اللعين
تدري عن الجثث المشوهة التي كم أحرقها النار.. نارُ عدونا
النهم الذي افترس الحقيقه
عن أدعياء الحب حين يفكرون بوجبة يتخاطفون طعامها منا
ومن دمنا المباح

يا دير ياسين اشهدي

يا كفر قاسم.. يا دم الأطفال.. في الجولان .. في بحر البقر

اصرخُ هنا - كالويل - والعن غفلة الصنم الشقي المجهِدِ
ما أتعسَّ السلم المطل.. ولم تزل آمالُنَا وخيامُنَا دون البشر!

عبر المدى العربي أشهد صارخا تابوت موتي يجمع المتمزقين
والليل طال فأورق السخط المعلق كالسيوف على رقاب الخاملين
فمتى تضم الوحدة الكبرى خطي المتمزقين؟
هل قبل أن تأتي القيامة؟!
ومتى يفيق الخاملون وينهضون لسحق أعداء الحياة الطامعين؟
إن لم تفيقوا سادتي فلتسكروا وآزنوا وقولوا للديار مع السلامه!

« ٣ ديسمبر ١٩٧٧ »

الغريب والسوسنة

لو قلت لي : يا أيها الرجل الغريب متى تنام؟ فلن أجيب إلى
الأبد

فأنا وأنت نظل نسبح في بحار الساهرين الضائعين.. ولا أحد

معنا سوى الليل العميق

ومواء قط جائع.. مترقب أنثاء.. حتى يستكن إذا وجد

والبرد يسري من شقوق في النوافذ كالخريق

والنجم يشهد شهدنا.. النجم يشهد ضدنا!!

فلكم سهرنا للصباح

رغم التأؤب للصباح

ماذا ستفعل وحدنا?!

نبقى لكي نبادل الكلمات والضحكات والنظرات والقلق العريق
ما أجمل الكلمات في ليل الشتاء برغم عاصفة تحاول ذك أعماق
السكون المستطاب

ما أطيب الضحكات تدفئنا وتسقينا
ما أعمق النظرات حين تطل صافية فتغسل روحنا بصفائها
النضر الذي يمحو العذاب
ما أخصب القلق العريق يفر من أفاهه الخيري ليسكن فجأة
بجموحه فينا!!

وأغيبُ عنك، أغيب في أرجاء غرفتي الكثيبه
وأظل أحلم بالحياه
وأظل أحلم بالعصافير التي رحلت ولم تعبأ بأفاقي الرحيه
وأقول إن النهر في يوم سيسعد بالمسير مع الحياه إلى مده

وأقول إن السوسنة
يوماً.. ستدفعها العواصف في أقاصي الأمكنه
فأحس ظفر الوحشة البكاء منغرساً بقلبي
لكنني - في لحظة - أُلقي الظلال المحزنة
عن عالمي عند انبثاق النور منسكباً على كتبي الحبيبة أو على
الجدران والأشياء قربي
وترفُ - كالنسماتِ حين ترفُ - روحُ محسنه...

ليل ونافذة قريه
منها يفوح النور مبتسماً وفي بسماته وبهائه فرحٌ يذيب ظلام
غرفتي الكثيبه
يأتي إليّ النور مبتسماً مع الصوت البهيّ

هو صوتكِ النعسانُ يحملُ غنوةً من أغنيات الحب والأحلام في
هذا السكون المستطاب

تسقين منها روحك العطشى إلى قلب وفي
فتطل من قلبي الشجي
قسماً أوجه من عشقتُ على مدى الزمن البعيد
ويطير بي شغف نقى
لخطي التي أسكنتها قلبي وقلتُ متى تفوح روائح الفرح المحلق
في سمائك يا شريد؟

ومتى يطل غد سعيد
يرتاح فيه الناس.. كل الناس.. من عبء التطاحن والتمزق
والوعيد؟

ماذا يقول النور في هذا السكون المستطاب؟!
الله ما أحلى الشباب

الله إذ تتبادل الكلمات والضحكات والنظرات والقلق العريق
الله ما أحلى اتلاف الشمل من بعد اغتراب
ألقاك مبتهجا وأهتف ضاحكا: رغم الضياع سَيَقْبِلُ الغدُ في الطريق
فلتهنأي كالنور مبتسماً مع الصوت البهيم، وقد أضاء الأمكنه
فلتهنأي.. يا سوسنه...

« ٦ ديسمبر ١٩٧٧ »

انتظار قد يطول!

في شرقنا العربي اليوم تجار
باعوا الجلود فهل يصحوا لهم ناز؟
قد طوّقت بوحول الذل أزعة
لهم فهم يخطى الخصيان قد ساروا
يسعون في جشع أن يغنموا ذهباً
هل يطرّ الذهب الموعود أعصار؟
والأرض راودها اثنان انحنى لها
مرضى النفوس هما: زيف ودولار
فليستظلوا بوهم الزيف في خدر
ولتبتسم لرؤى الدولار أقذار
راحت فلسطين والتجار مارحلوا
يا ضيعة الحق كم قد أخذت ناز

بيجين يا شهوة النازية انتفضت
والسُمُّ في نايها المعقوف غدار
الحب للسلم بعض من مزاعمكم
فشعبكم لاقتلاع الأمن مختار
عذبتهم السيد السامي على جبلي
ودستم الحب مذ هُدَّت لنا دار
بيجين إن ضمير العصر مرتبك
مذ قيل: قد ينشق الأزهار جزائر
لا حب يا من حجبت النور عن دما
فالحب ليس بذئبه سمسار
لاحب والأرض في أيدي الغزاة وإن
خاف الطغاة على عرش سينهار

يا لعبةً يبدِ نكراءَ نعرفها
تسعى إلى السلم أم يسعى بك العارُ
إن هدمدتك هدايا الزور تجمعها
فمن يهدد أطفالاً قد احتاروا
خُنُوا مُدَى لَاب حان يهددهم
واستقبلوا الغد لا أرض ولا جارُ
فالناس في وطني يسعون دون غدي
حيث الذئاب تجيد النهش إن ثاروا
فَلْيُنقِ من دمنا بأس تَسْمَرَ في
أفقي شقي الرؤى حاطته أسوارُ
وَلْتَبْقَ أضرحةُ الأحزان جاثمةً
حتى يطل من الأجيال ثوارُ
٢١ ديسمبر ١٩٧٧

الاختيار المر

تعانقين التاجر الماكر إذ ترنّ في خيالك النقود
وتطمسين قربه أشواقك الفضيه
للنور والورود
وتركلين أغنيات العاشق الودود
وتطلقين شهقةً تخدّر التاجر في شقته السريه
تنتظرين بعدها أن تحصدي الوعود حين تسكن النقود
راضيةً مرضيه
في فجوة النهود

سيدتي المغامره
يا قطرة من زئبق يلهو بها التجار في الموائد المقامره

عاشقك الودود عاش مرهقا فقيرا
لكنه عاش لكي يريح صدرك الذي حاصره التعب
وراح - رغم فقره - يبحث عنك دون جدوى
نثار واكتأب
حتى لقد هجالك في ليلاته - كثيرا
وصاح: هل سقطت سهوا؟
أم أنه الذهب؟!
لكنه - أشهدُ - ظلَّ عاشقا كبيرا
بقدر ما يحنو ويهوى
بقدر ما يثور إن أنطقه الغضب

لا تسألني: أيها - من قلبه - يجود
عاشقك الودود أم تاجرك الماكر؟!

لا تسأليني... إنني لوجهتي سائر
ولتذهبي أنت كما ترصّي لك الوعودُ والقيودُ!!

ابتسمي كالقمرِ المشنوقِ في مستنقعاتِ ليلةٍ شتويه!

واحترفي السجودَ للتاجر كي يجود

ببعضِ ما نهب

وأنجبي ذريه

من كلّ تاجرٍ يعرى ظلّه الجارح في جنائز الحريه

فالمجد ليس عادةً للحب في أزمنة الإغواء والصخب

المجد للتجار والقمار والذهب!!

« ٢٢ ديسمبر ١٩٧٧ »

القنبلة التي لم تنفجر بعد!

ماذا دهاك لكي تحببي عالماً ما عاد فيه لنا سوى بعض التراب!
تأتين حيث تثرثرين عن البنوك فهل أبوك هو الشريُّ الأجنبي؟!
وُسَّبحين بحمد أصحاب العمارات التي استندت على كتف السحاب
فهل ارتدوا - في الحلم - أردية الصفاء الشعري؟!
أم أن أحوال المدينة
قد طوقتك وجمدت إشراقَ روحك فانجرفتِ
وشربت من كأس مهينه
كأس تقول: قد انْتَهَكْتِ؟!
يا بنتَ من تعبوا كثيراً
وتذوقوا الخبز المبلل بالدموع وحوصروا طول المدى ببحارهم
إذ أنهم فقراء هذا العالم المتصنع الملتف كالأنعى على أعناقهم في
كل يوم

فتفرقوا مستضعفين مُطاردين إلى أن انهَدوا هنا ورقاً نثيراً
حملته أمزجةُ الرياح بكل أرضٍ مجحفه
فالأرض قبلهُ يصم دويها الأذان من بدء الخليفة حين تشوى
نازهاً جثَّ الضحايا

والناس فوق ترابها وصخورها المتعجرفه
يتساقطون على دروب القهر طول الأزمنه
لكنهم لايسكتون على المجازر والرزايا

ويواجهون القهر بالطوفان مكتسحاً ومجتاحاً جميع الأمكنه
ويسائلون الصبح حين ينورُ الطرقاتِ مبتسماً بروح طيبه:
«الأرض للبسطاء والعشاق.. أم للأغريه؟!»

ماذا دهالكِ إذن؟ لكي تتكري لعوالم الخبز المبلل بالدموع

يا بنت من تعبوا كثيرا
هو وجهك المتطلع القسامات للعربات والسرقا، فانطوت
الضلوع
في ظلمة الفوضى علي أحلامك المتعجلات، فزخرفي جسداً أجيرا
واستقبلي العربات حيث يطل وجهُ القاتل المخمور منقضا برغبه
وتبجحي بالحب، وامضي جيفةً متعطره
كي ترفعي بالزور نخبه
ومع اجتياح النار نامي قطرةً منمره
يا صورة العصر الزري
فالحب أن تتواكب اللغة الدنيئة للمغانم والنقود، فلا عطاء
في جعبة القلب الشقي
غير احتشادك بالسلح الأنثوي الزئبقي
وتمزق الجسد الذي يُدمي صباه الأدعياء

بعد استكانةِ روحك العطشى إلى وهم الثراء
الحب أن تستشعري دفء الجيوب اليوم، لادفء القلوب الصافيه
الحب.. صار الحب أن تتسابق الشيكات باسمك في البنوك الأجنبية
لترى الليالي الآتية

أحلامك المتعجلات وقد أطلت كُلَّها، ونراك رمز العنجهيه
فالحب في أيامنا المستسلمات خرافةٌ ثلجيةٌ.. شبحٌ... ومات
وتناثرت ذكراه زوراً في كلام الأغنيات!!

يبنى وبينك غابة الكتب المصادرة التي لم تجرئي أن تعرفيها
ما أوغلت عيناك في أحراشها المستبشرة
وصياحُ مخمورين ذاقوا جيفةً متعطره
ووجوهٌ محرومين لم يجدوا الطعام ولا الكساء
ورضوخُ جسمك للثراء

بيني وبينك مجزره
ودم يسيل، وماتزال الأرض قنبلةً معبأةً ولكن نام في أعماقها
طولُ السكوت
وكأنها لم تنفجر من قبل، أو هزّت عمائر لا تحس بها تحس به
بيوت دون قوت
بيني وبينك هوةٌ، وخطى العساكر والأراميل في طريق المقبره
لَكُمْ التقوا من قبل هذا اليوم بالإصرارِ والحزن المعنق في الوجوه
لكنهم يتأرجحون اليوم مذكدنا نتوه
بيني وبينك كل هذا، واللقاءات اغتراب
فتشاغلي عما نحس لكي تحبي عالما متصنعا ماعاد فيه لنا
سوى بعض التراب
وتباعدي عن ركبنا، فطريقنا وعر وطويل
إنا سنهدم عالم المتصنعين الأدعياء

ليرفرف الحبُّ النبيلُ على قلوب الناس من بعد التمزق والعويل
فلترقص الدنيا علي خفق القلوب الطيِّبه
وليدرك اللؤماء أنَّ الأرض للبسطاء والعشاق.. لا للأغربه

« ٣٠ ديسمبر ١٩٧٧ »

كلهم ناموا .. يا قدس !

ما لهذا البحر لا يستثير الأشعره؟
وجهه بادي السقم
سطحه مستنقعٌ مرحشٌ تطفو عليه الخطايا والرمم
وعلى طول المدى تُطلق الفوضى علينا وحوشاً مفزعه
تسأل الناس الخزائى : لماذا أورق البؤس في أرض العرب
بينما تمضي لِتُخفى حصادَ المزرعه
حيث يمتد اللهب

ليس فينا من يجيب الوحوش المفزعه
فَلْنُدِرْ خدًا لمن يجربون النور عنا، لئلا يُقبلوا بالحراب المشرعه

ولنسّم تحت التراب
لأعقبن الأحذية
سائلين الله أن يبتلينا بالعذاب
كي نلاقي جنّة الخلد يوم الآخره
فلتطبّ للغاصبين الحياة الخاسره
ولتطبّ أجواء كل الملاهي الملهيه

ها هو الوحش التتاري في ودياتنا يذبح الانسان مِنّا على مرأى
من الاعين المستكره

فاسألوه المغفره
إنه الطاغى الجديد
منذ أن صارت خطاكم خطى المستضعفين
منذ أن داست عليكم خيول الغاصبين

منذ أن صرتم عبيد
والعنوا أقداركم حينما تلهو بكم واذكروا - في خيبة - كم
تجادلتم طويلا وأشعلتم سباب
وانظفت نيرانه .. فانطلقتم للعتاب
ثم عدتم للسباب
والتقيتم في ارتياب
فالسب أعرق تاريخاً من الكتب
ففي موجه صيف نصر العُرب بالخطبِ

اسألوا شيخوخة المجد عن شيطانٍ خير أهنت شمسها
والعنوا أقداركم حينما تلهو بكم .. وأنشقوا ريح العفن
إنها ريح الوطن
فاض منها بؤسها

وارتمت فيها خطى خيبة لا تنتهي.. مذ تداعى بأسها
واستقرت جيفة قرب أوهام الوثن



أنباونا أن أعتى الذئاب اليوم قد غيرت أسماءها واشتهدت منا ابتسامه
أنباونا أنها خبأت أنيابها تحت أزهى أقنعه
زيتها الزوبعه

أصبح الذئب - الحمامه
أصبح الذئب - الحمل

نحن قلنا : « غابة الزور ألغَتْ أضلها.. » عندما النور اختبأ
في متاهات العمى واستراحات الدجل
نحن صدقنا النبأ

فالتهمنا كلنا.. واحداً في إثر آخر.. آه.. الحق لا ينطق، القدس
الشريف استُبيح، الدمع في أعين الباكين نام

كلهم ناموا.. «فلسطين في القلب».. الشعارات - منذ البدء -
تصطف في شط الغرام

والسيف نام سدى
السيف قد همداً
السيف أبعدُ مشواراً عن القدس
في غمدهِ النومُ بين البؤس والرجس

هكذا راح الصباح الذي يرجو انبثاقاً على أرض العرب
هكذا لاقى مصيره
عندما.. ريح الخلاص التي تبغي انطلاقاً على وقع الغضب
أصبحت ذكرى كسيره
فالعنوا أقداركم بعد أن تلهو بكم وانشقوا ريح العفن
إنها ريح الوطن

قصائد للغالية - البعيدة

(١)

من البدء... منذ شبيْتُ على الأرض.. كان القدر
بعد - لتكبيْل قلبي - سلاسله القاسيه
ويجدل أعتى جبال السهر
ليبرطه - تحت ستر الظلام - على صخرة الحسرة الباقية
ويرعد: «.. سوف تعيش الحياة انتظاراً لحلم بعيد المنال
فأطبّق جناحيك كيما تريح وكي تستريح
فلن تحصد اليوم إلا حصاد حقول المحال
ولن تحلم اليوم.. إلا بوهم وحفنة ريح»

(٢)

أواجه حقد العواصف حين تحاولُ قهرَ غضبون الشجر

وأشهد كيف اللثام أرادوا يقيمون بيني وبينك سورا
ولكنني لا أبالي.. فحين أراك يطل غدي المنتظر
وأغمض عيني قليلاً قليلاً
لأحلم أنك مهما ابتعدتِ ستبين قربي تشعين نورا
وأن زماناً أراك به.. لا أراه بخيلاً
وبعد السقوط من الحلم للأرض تهتز أوتار روعي الشقيه
تقول بأنك يوماً وُلدتِ بأرض قصبه
وقبلك كنتِ وُلدتِ بعيداً عن العالم الناعم الهمسات
فلم تلتق العينُ بالعينِ والروحُ بالروحِ إلا بدنيا غريبه
فواحسرتاه على ما انطوى دون لقيا وضافت به السنوات
ووافرحته بلقيا الحبيبه
غريبين جئنا فلما التقينا خرجتُ من الغربة المخاويه
وأسكتكِ القلب.. أنت هنائي إذا ما ابتسمتِ

وأنت انبثاق المنى الزاهيه
وأنت كذلك سر شقائي إذا ما اکتأبتِ
وأنت الثرىا
ونورك يبدو برغم البعاد جليًا بهيّا
وحين تطلين بعد البعاد تطوقني فرحةً آتیه
وتروى الينابيع فرحة لقياك يا غاليه

(٣)

عينك الطيبتان أرى بهما العالم رغم عنائي
ألقاه فسيحاً.. فيه سماء صافيةً .. يرتاح بها قلبي المثقل
بعذاب الناس وبؤس الحق وميلاد الزمن الأجل
عينك الطيبتان أرى بهما وجه الأمل النائي
حين تقولان : « صباح الخير » فتشرق أعماقي مبهوره
فلذا غبت .. تطل الحسرات

تصبح روحي صحراء بها حَمَمٌ مصهورة
تهرب منها أحلى النساء
تُعتم فيها كل الآفاق، ولا تُسمع إلا الصرخات
هذا ما يحدث حين تغيبين.. فَمَنْ يهْمُسُ بصباح الخير
يا غاليتي.. حين تغيبين؟
ولهذا أرجوك إذا غبْتِ.. ولو لحظات
أن تَضَعِي - قبل غيابك - في قلبي سكين
حتى أنسى العالم وأموت.. ووجهك في قلبي مرسومٌ بالسكين
(٤)

جسمك زورق حب تدفعه الموسيقى
يتمايل داخل أحلامي، والخضرة فيه تناديني
والنشوة فيه تلاقيني
والزورق يعبر في روحي ويطوق كل ضفاف الدهشة تطويقاً

الزورق فيه ييامٌ أبيضٌ يهدلُ في صفو البللور
فيه الريحان وفيه عبير الجاردينيا الساطع كالحللم
وأهم بأن أقي حتى أستنشق رائحة الخضره
لكني ما ألبث أن أصحو وحدي منتفضا كالمدعور
وكأنني مطروح فوق صخور وعره
أصحو لا أسمع من حولي إلا قهقهة الوهم
(٥)

بين الأحباب أقيم السور
فلماذا لم تبعدُ عني نظرات الزور؟
الحقد يطاردني دوماً حتى في الحللم
كيف إذن سألاقي راحة قلبي في النوم؟
يا غاليتي
بين الأحباب أقيم السور

لكن ها أنتِ .. بذاكرتي
أبهى من إشراق البللور

(٦)

سأنساك يوماً وأنسى ارتياحي لوجهك في الصبح يا غاليه
سأنسى بهاءك حين تهلّلين شمس حنان
سأنسى سنابل شعرك تُرقصها النسمةُ الحلوةُ اللاهيه
سأنسى انتظاري لطيفك في الليلة الشاتيه
سأنساك يوماً .. وأنسى الهوان
وأنسى بنسيانك الحبّ والأمنيات وكلّ الذي في الزمان
سأنساك .. هل تعرفين متى يا صفاء ينور آفاق عمري
سأنساك حين أغيب ببطن التراب المندى لأسكن قبري
فأرجوك .. أرجوك .. لاتقربي القبر .. لاتقربيني
فإني أخافُ إذا سرت فوقى بروعة سحرك أن توقظيني !

٩ يناير ١٩٨٠

رسالة حزينة لعبد الناصر

أيها الساكنُ في تربة مصر العربيه
ليس يجدي أن تعاتب
فالذي كان نبيلاً لم يَعدْ بعدُ نبيلًا، والأيدى الوثنيه
أغلقت من بعدك الأبوابَ خوفاً من محبيك ومن سوء العواقب

لم يكن صعباً عليك
أن تناديننا.. فإننا - كلنا - كنا رفاقك
كلنا كنا سنحتاج - بعنفٍ - أيّ سور لو أعاقك
كلنا كنا سنمشي - دون إبطاءٍ - إليك
لندك الزور بالإصرار والثورة حتى يستعيد الحق فجره

وتعود الأرض حره

ها هي الأرض حزينه
آه لو تصحو قليلا كي تراها يا جمال
إنها باتت سجينه
دنستها الآن أطماع لأشباه رجال
رهنوها في دهاeliz البنوك الأجنبيةه
ثم ألقوها لأنياب الذئاب العنصريه

يا حبيباً للجماهير التي ذوّبت أيامك كي تحيى منها
كنت تشاق إلينا - في لياليك - ولكن القلوب الرئقيه
أبعدت كفيك عنا ، فاحتملت العبء وحدك

كيف لم تهدر دماها
إنها في الساحة الآن ثمطت لتمصر الدم من لحم الضحية
كلنا صرنا ضحايا منذ ضاع الحق بعد ذلك....

حين أرخى طائر الموت جناحيه عليك
قمت فرقت طموحاتك فينا، إنما نحن تفرقنا كثيرا
فانتظر أن نجتمع الشمل لتحيّا مرة أخرى جليلا وكبيرا
كل ما كان لديك
من طموحات سيخضر إذا نحن اثنتلنا بقلوب عريه
وتجمعنا حشوداً تنفذ «القدس» السمييه

حين أرخى طائر الموت جناحيه عليك

لم يعد صعبا عليك
أن تناديننا.. فإننا - كلنا - صرنا جمال
كلنا صرنا جمال...

١٥١ يناير ١٩٨٠

انتظار الآتي

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٨٩ .

إهداء

إلى من عرفوا كيف يحبون غيرهم مثلما يحبون أنفسهم وجعلوا قلوبهم
قناديل تنوهج في وجه الحقد الأسود كي تشرق المحبة ذات يوم.

حسن توفيق

انتظار الآتي

أيها الحب ترفق
إن قلبي منذ لباك نبيّ ليس تأتيه بشاره
أنكر الناس رؤاه اليوم واهتموا جماعات بربح وخساره
آه.. والود تمزق
مذ عوت ريح التجاره
وامتطى الأوغاد ظهر الأرض واغمالوا الطهاره
وارتضوا أن يملأوا آبار أحزاني حجاره
واستساغوا كلهم أن يتركوها تعمق

أيها الحب ترفق
بمرديدك.. ولكن لا تُدِرْ للزور ظهرك

إن أشياعك كثر فتقدم واحمل المشعل فالليل تدفق
وارجم الأوغاد بالنار.. وضمّد في صحارانا ينابيع العذوبه .
أنت يا حب نبيل آه ما أعظم أمرك
فلماذا رحّت تمشي ذاهلا مذ داهم الأوغاد في الساحة سحرك
اشهد الدنيا حوالينا تعرت للخصوبه
بينما يستسلم الانسان في دنياه للشيطان مرتاداً دروبه

اشهد الدنيا هنا إذ تلسع الوردة نحلّه
حين ترويه بقبله
فإذا بالشهد حب اثنين ذابا في عناق قرب أشجار نديه
راح يلقاها نسيم أنطق الخضره فيها واصطفافها للغناء
حيث ذابت أغصنا في أغصن والخصب يرويه بموسيقى النماء
وحنان النيل يثريها بأثمار شهيه

واشهد البحر الجموح
حينما نلقاه في الصيف حصاناً لم يُروض
إنه يصبح طفلاً سندسي الخطو معسول الأمانى يترىض
إن تغنت في مداه الروح وارتاحت لروح
فامتداد البحر عمق فيه أسرار ورهبه
يفرد الموت على الموج جناحيه ولكن مجاديف الأحبه
تتلاقى دون خوف فيفر الموت مذعوراً وتنساب الزوارق
بخيالات المنى حتى يصير البحر طفلاً مطمئن الوجه رائق
واشهد الأفق هنا حيث السماء - الصمت تبدو كالمناهاات مريبه
فإذا الايقاع ناداها فغنت أوردت فيها نجوم وكواكب
وتناجت في أعاليها فراديس رحيبه
تملأ الدنيا مواكب
هكذا الدنيا حوالينا تعرت للخصوبه

بينما يستسلم الإنسان في دنياه للشيطان مرتادا دروبه

كان حلمي أن أرى حبا من الغير تلاقيه منانا ويدوم

وسماء لا تغشيها محابات الوجوم

إنها - يا أصدقائي - كل هذا لم أره

فأسألوني في كل حين كيف تخضر حقول ثم تغشاها الأفاعي

واشهدوا هذا الشره

في زمان مستباح لخفافيش الليالي ولأنياب الضباع

إن زوجي تتعذب

ويراني الناس طفلاً - كل يوم - يتقلب

آه مما يزعمون

لستُ يا سادة طفلاً إنها الأوغاد ما زالوا يُغشون العيون

بغبار حاقد التربة خداع مراوغ

فاذا إِبصاركم للحب مشبوه وزائغ
هكذا الدنيا حوالينا تعرت للخصوبه
بينما يستسلم الانسان في دنياه للشيطان مرتاداً دروبه

أيها الحب لماذا لا توافيني بورده
في دمي شوق إليها وصباها كم سباني
وبأعماقي لها عُشّ نمت فيه الموده
إنني أرجو لقاءها حيث أحيا مطمئنا قبل أن يُطوى زماني
أيها الحب لماذا لا توافيني بمجدافين في البحر الجموح
وبقربي سحر عينيها وتهليله روح
أيها الحب لماذا لا توافي طيرَ روحي بسماء للأغاني
أتسامى في ذراها وأنادي في علاها كل أسراب الأمانى
ها هنا الدنيا حوالينا تعرت للخصوبه

بينما يستسلم الإنسان في دنياء للشيطان مرتادا دروبه
فابتسم لي أيها الحب وفَجَّرَ في كياني
نбек الصافي الملامح
وارع دوما وردتي يكتب شذاها في دمي أبهى المعاني
وانتشلني من زمان يترك الحالم صقرا صارخ النظرة جارج

.....

نادني من آخر الدنيا أطِرْ يا حب عطشاننا لأجتاز إليك
كل أهوال المنافي والصحارى والسدود
إنني رهمن شعاع مؤنس كم أتشهاه زمانا من يديك
فمتى تحيي الأماني ومتى تدنو الوعود؟!

« ٢٨ يوليو ١٩٧٦ »

حصاد المصادفات

خمس من السنوات جمعها الحنين النائمُ
لما صحا متفتحاً في برهة اللقيا النديه
حيث التقينا صدفة وتلعثمت لغة ثريه
وتجمعت من فوقنا سحبٌ.. وجو ساهمُ
واهتزت الطرقات تشكو وقع خطوات المطر
فتنبهتُ أشواقنا
للكلمة الأولى التي اهتزت لها أعماقنا
وتوقع القلب أن يصحو مع الليل القمر
واستيقظتُ روحي وجن جنونها بك يا صديقه
وبقصة الحب الرقيقه
في ظل الماضي كنا اثنين نسيرُ معا
كنا اثنين
الواحد منا إن دَمَعَا

بنشطر الثاني شطرين
يا صفو ماضتي الذي أحيا الليالي السالفه
يا نبض أشعاري الخزينه
مهيا أكن أحببت بعدك في حياتي العاصفه
فإنك الأولى.. وذاكرتي المكتمة السجينه
لم تنس وجهك في مناهات السنين الزاحفه
أو بين تجار المدينه
أو تحت أنقاض الرؤى والذكريات الراحفه
فلتقذف الدنيا عواصفها على روحي الأمينه
فإنها لا تستهي أن تنتهي إلا لديك
مهيا يكن من أمرها
إذ أنها - يا حلوتي - تهفو لزهرة عمرها
تهتز في دوامة الذكرى إذا المسث يديك
إن حاصرني كذب الحاضر
أحلم أني بين ذراعيك

يتبسّم لي ملكٌ ظاهر
وأحب العالم في عينيك
ولمحتُ في عينيك ينبوع الصفاء الأول
متجددا.. لم تطمس الأيام منه نقاءه
فجزعتُ من فرحي ومن خطو الشتاء المقبل
وعلمت أن العمر عائق خوفه وشتاءه
قد كان قلبي عاشقا.. دنياه نجمٌ.. يجتلي
وكنت أنت سماءه

.....
وسألتني - والوقت يمرق - هل تُرى لمس النهار
صحراءك الجرداء من بعد التفرق والشroud
وسألتني: ما الوقت؟
إنّا قد كبرنا... والصغار
يترقبون الأم في شوق إلى الصدر الودود

.....

ويغيب وجهك في زحام الناس.. والصخب الكذوب
وأنا أجر خطاي.. والأشواق تُدمي.. والغروب
يندس في قلبي.. وأوراق بلا عددٍ
تَسود في الأعماق.. والأيام تعدو.. والكروب
في عالمي.. وبرئتُ من ضيق ومن حسدٍ
وضحكت من زمني الغضوب
وأضأت ذاكرتي وعدت معانقا دنيا رفيقه
فهتفت يا أبهى صديقه
إن ذكرني بالمستقبل
خطو الأيام على جسدي
آخذ كفيك ولا أسأل
عما قد ألقى من كمدٍ

« ٩ ديسمبر ١٩٧١ »

الغابة والطير المجهد

أنجول في غابة شَعرِكَ يا صاحبتِي
فأرى كيف ترق الصخرة، يولد ينبوع
ويفيض على الخدين دموع
تتألف أنغاماً.. لتعانق أغنيتي

دمعك مرآتي المجلوه
فيها أبصر آمالاً ضائعة.. تتمدد
قرب الماء تطارد كلمة حب حلوه
ولذا أسقط كالطير المجهد

أسقط كالطير المجهد أنقر ذاكرتي

وأعربها بعد استحياء
تتكشف وقتئذ عدة آبار جوفاء
تخرج منها أشباح تستنزف لغتي

يشهق عمري.. وأصابع كفي تنحدرُ
نحو الغابات المنسية
أهربُ فيها من نفسي.. يبتهل الشجرُ
«بالله كَفَى تجوالاً.. فالأرض صبيه»

تحملني الريح إلى نفسي
وأعود إلى أرض يستنزفها الأقرام
وهنا أشهد قلبي يسقط تحت الأقدام

في الصخب وفي وقد الشمس

أتوارى في الظل الزائف
وأفئق لأبحث عن قلبي.. عن أغنيتي
أستطرد في قلقي.. ألمس نبضي الراجف
أتجول في غابة شعرك.. يا صاحبي

أتجول إذ تُسكر روحي لغة عذبه
صمتك ينطق أعذب لغة فوق الأرض
ولذا نبقي نتقلب في وهج الرغبة
نلحق حيناً ملح الرفيض

« ٢٢ يوليو ١٩٧٢ »

هذا هو الليل

* غبار الشوارع يسعل، هذا هو الليل، صمت العماير صمت المقابر:
سيان، قلبي يشم رماد النعاس، وريح تهب، وروحي تطارد حلما عصي
المنال.

* وفي طرقات التسكع، في طرقات التوهم رحتُ أسير، وذاكرتي
تستعيد اثتلاف خطانا وإيقاعه في الزمان الضحوك، ورحت أسير
وحيدا إلى الحلم أمضغ خبز التناسي، وأحمل هم التفتت، أحمل هم
الجبال.

* وكنت نخونين حيناً، وحيناً أراك الوفية، حين تحسين همي، وتريد آفاق
روحي، ويجفو صحابي، وتُفتح في الليل أبواب سجن جديد تبشر أهلي
بُسكني، وكنت.. وكنت.. ولكن وجهك غاب، فعاد لخطوي التسكع،

عاد لروحي التوهم.. عشت الليالي أجر الظلال.
* وَخُيِّلَ لي حين رحت أسير وحيدا بأني سألقى صديقا يعانقني، أو
عدوا يلاحقني، وبأني أسمع طقطقة النار في ضلع غصن هشيم،
تذكرني حين يجبو اللهب بكلمة حب أضعتُ حياتي فداها فضعت،
وظلت لغيري نقال.

* لماذا عشتك؟ ضوء المصابيح يهزأ، صمت السماء يقول: كفاك..
وعد للحقيقة.. عد للرجال الذين تسوخ خطاهم خلال التغرب من
أجل قرش يضيء ليوم يجيء، ومن أجل هوك، من أجل زهوك أنت
الذي تستجم على شاطئ الذكريات، لتبكي وتضحك أنت الذي
تستطيب السهاد بليل التسكع ليل التوهم تذكر أنك كنت وأنتك
صرت، وتمضي وحيدا لتطفو بفقاعة من جموح الخيال.

* لماذا عشتك؟ ظل السؤال يطاردني باشتهاء وصمت السماء يقول:
كفاك وَجُدْ بالعطاء لمن أنبتوك زمانا إلى أن شبيت، وغن لهم في زمان

التغرب من أجل قرش يضيء ليوم يجيء، وإن شئت حبا فأحببت
وأحببت إلى أن تقول كفاني ولكن تَفْتَحْ لنبض الزمان ودع عنك هذا
السؤال.

* تَفْتَحْ لنبض الزمان، وثبت بخطو الرجال خطاك، وأطلق مناك من
الأسر، واحلم بحب بهي الملامح، واحضن بحبك أعماق هذا الوجود
وحطم به ذل تلك القيود، وغرّ مع الناس حرا طليقا كأنك تقهر
قهرك، تبدأ عمرك، تفتح صفحة حب جديد تخط عليها الأمانى، وحين
تغني تفتح.. تفتح وغن بغير انخدال.. وأقدم لتكشف كل تلال
الضلال.

* تفتحت.. فتَحْتُ عيني، هذا نهار يجيء، ونهر الأكاذيب تسبح فيه
الجرائد، يشرب منه المذيعون، والساسة الأوفياء يصبون فيه المزيد،
وبيني وبين الحقيقة سور صفيق الحجارة يصرخ: أنت تريد المحال.
* تفتحت.. فتحت عيني.. كنت أحب، ولكنتي اليوم أكره.. أكره هذا

النهار المريض، وحين سَيْسُفَى سَأَعشَقُ حتى الحصى والرمال.
* سيندك سور.. ستضحك في الصبح أبواب بيت جديد تبشر أهلي
بسكناه، نيرون كان يطارد، كان يعلق فوق المشانق أحلام كل الرجال،
كان يقوض.. يحرق، ثم اكتوى باللهيب، وزال.
* غبار الشوارع يسعل، هذا هو الليل، صمت العمائر ليس كصمت
المقابر.. قلبي يغني لصبح سيأتي، وريح تهب وروحي تعانق حلما بهي
الجمال.

٣٠ أكتوبر ١٩٧٢

الجواب العبوس

تجاهلْتُها حين مرت أمانِي
وكان الشباب طريقاً طليقاً يضم كلينا
وها إنني الآن أمضي وأسأل نفسي: لأينا؟
فقد كان شيء يثير اهتمامي
وضاع مع الليل حين أبحنا له أن يضع
وفُتْناه ملقى على جبهته
ينادي كلينا وما من سميع
لأننا.. لأننا تركناه.. كل إلى وجهته

لماذا افرقنا؟
يقول لنا الشعراء الكسالى بأننا احترقنا.

وأن الزمان يفرق بين المحبين يوما إذا ما اشتهى
ولا بد للنار أن تنطفي في حنايا الصدور ولا بد للحب من مُنتهى
أهذا جواب يقال لنا؟
أهذا حقيقة؟!

يظل التساؤل - رغم التفرق - يمضي بنا
يظل التساؤل يمضي بنا حيث تطفو رؤى الذكريات الغريقة

وكنا أليفين.. كنا رفيقين.. كنا حبيبين.. كنا السعادة
ولكن تمطى التغير فينا ودسّ على خافقينا البلاده
لماذا افترقنا..؟.. وظل ظلام المدينة يمضغ قلبي طويلا
ظلام ثقيل.. ولكنه لا يحسّ على صفحات الكتب
فتبا لها كاذبات السطور
وتبا لمن يكتبون ومن يسمعون عويلا

ولا يسألون لماذا...؟ وتبا لكل الشهب
إذا لم تُرق نارها فوق صدر الظلام لِتُنطق هذا الفتور

لماذا افترقنا؟ لماذا تجاهل كل صديقه؟
أهذا لأن الكواكب ليست تُشاهد ظهرا؟
أهذا لأن السعادة ليست تدوم ولا تغمر الكون دهرًا؟
أهذا تراه لأن الصديقه
سترحل يوما لتجمع مالا وفيرا وتبقى لتملك قصرا
وتبقى لتقطف - حين تشاء - ثمار الحديقه
ويبقى الصديق يحرب الشوارع عاما فعاما ليكتب شعرا
ويقطف في الحلم زهر حديقه؟!

لماذا تجاهل كل صديقه؟

لماذا افترقنا وضاع مع الليل شيء أبحتنا له أن يضيع
وفارقنا الحلم بالشمس بالبيت بالطفل بالأمنيات الطليقة
لماذا افترقنا؟.. ودق الجواب العبوس جدار السكون الصديق
لأن الصديقة يوما ستحيا هناك ويحيا الصديق هنا
وتسقط روحان.. روح هناك.. وروح هنا
فروح تظل هناك مدنسة دون رغبة
وروح تهان هنا حيث يحيا الصديق ويمضي ليسأل ربه!!

١٩ يونيو ١٩٧٣

الكلمة والموت

يا وردة رويتها بدمي وتسألني المزيد
إني احترقت لكي أراكِ
ولكي يظل إلى جوار خطاي أنس من خطاكِ
إني احترقت لكي أراكِ فيغتدي قلبي سعيدا
* * *

وتطول مشيتنا السعيدة
تحكين أنت عن الرجال ومن أحبك منهم
تحكين أنت عن الفساتين المطرزة الجديدة
وأضيع في كلماتك المساء.. روعي تُعَدِّمُ
* * *

«إني أحبك».. واكتسي بالزهر وجهك يا حبيبته
وتغلغلث عيناك في عيني.. والريح الخصبه
استغرقت نشوى رطبه
وتبسمت لِتَتَنَحَّجِ الأحلام في روعي الغريبه
* * *

وظللتُ أرتقب التآلق والتفتح في هواها
وأحث أيامي وأمضي ضارعا أبغي رضاها
لكنها لأدت بصمت غامض أخفى نَداها
و«أحبك» احتبست على الشفتين وانتحرت رؤاها

وتشاغلت بحديثها حتى مع الرجل الغريب
لتفيق في غابات رוחي غمغمات ظنونها
ويلفني الأفق الجديب
وأنا أعد دقائق الزمن العبوس بدونها

الكَلِمة انتحرت على الشفتين، والسحبُ البخيله
تسخو على الأرض الندية، لا الظمية.. والنقود
تأتي لمن معه النقود.. فيستزيد بلا حدود
والموت للفقراء والشعراء والمثل النبيله

هي يا أساي كمن سمعت حديثهن عن العهد
هي يا أساي كمن عرفت
من أخريات قبلها أثقلن قلبك بالجمود
هي يا أساي كمن عرفت!!!

لا تفتح الأبواب للماضي فيأتي.. يقلق
لا تفتح الأبواب إلا للنهار.. إذا أتى
وادفن كآبتك الثقيلة في الجوانح صامتة
واسخر من الحب الذي كانت خطاه تشقشق

كم قلتها: لا أنت عاشقة ولا أنا أكذب
فأنا أحس بها تحبته الصدور من الظلام
ويقول صمتي المترب
أحسبت أن حكايتي أولى التجارب في الغرام

تفحم الكلمات في شفتي، والزمن الرتيب
يهوي إلى البئر اللعينة
يهوي ويربطني بصخرته يشتعل اللهب
ويحوم حولي غدرك المجبول من دنيا ضنينه

وقرأتُ في عينيك ميلاد الزواجع والعواصف
وعرفتُ كيف يساوم الانسان بالحب الصبح
فتجمعت سحب المخاوف
لكنني آثرتُ أن تمضي الحياة.. ولا أبوح

لو كنت لا تدرين ما كان العذاب ولا العتاب
لكنه قدرتي المعاند
أبدا يصب النار في روحي سدىً وسواي بارد
وسواي يغتنم المغانم.. ثم ينتظر الثواب!!

« ٢٢ يوليو ١٩٧٣ »

مرثية الكلمات الميتة

للكلمات حينما تخرج من شفاهنا رائحة الأجساد في رقدتها الأخيره
فحاذروا أن تنطقوا إلا من الأعماق في رحلتنا القصيره
فنحن قد لا نلتقي ثانية.. وربما تطلبنا قبورنا
من قبل أن نتم جملة وقبل أن يرى خبيثتنا غرورنا

أيتها الأكذوبة المتربة الكفين
يا امرأة من الحصى تُرجم في الليل بها موائد الأحبه
ها أنذا أراك إذ تنفلتين فجأة من لعبة للعبه
ناشرة شباكك الملساء في شطين
ثم أراك خلصة تتفضين رغبه
عبر الحديث الناعم الذي يمس القلب كي يشطره شطرين

أهكذا تطحننا الشوارع المألوفة الإيقاع والملامح
ويعرف الأصحاب أننا بلا مأوى
أهكذا يعيش في عالمنا الملعذب الرائع من يهوى
تثقله حاجته للمال كي يتسع الطريق للمطامح
أهكذا نقول للآمال: لا جدوى
ما لم تكن جيوبنا ناطقة بغير ما تحسه الجوانح

أخطأت يا جوهري لأنني من غفلتي عانيت في حبي كثيرا
اسمك كان غنوتي، ووجهتي في وحشتي كانت إلى ديارك
وفرحتي بالناس والأشجار كانت إن أنا سرت إلى جوارك
وكنت - مثل العاشقين - أرنجي بيتا صغيرا
أخطأت يا جوهري لأنني غرقت في أشياء لا تفيد
وكان لا بد من البحث عن المفتاح للبيت الذي أريد

كل القلوب أغلقت أبوابها وصارت التجارة الدنيئة
تنخر في أرواحنا
أين المنى البريئة؟
وأين من - بحبه - يحنو على جراحنا؟!

تهدر في ذاكرتي برعدها وبرقها خواطري السجينة
تهدر في ذاكرتي.. تعبث بالسكينة
تقول لي بحرقة: الريح تفرد القلوب
وأنت لا تمشي
فلترنحل بلا خنوع
أو فأت بالنعش

عشقت في طفولتي شواطئ المحال
عشقت نجما لامعا، عشقت شوقي للرحيل في مدائن الخيال

وفي صباي كنت أعشق المثل حينما أراه مجلوا
أخلقه في لحظة، وبعدها أهدمه من نظرة ترهقني أو كلمة تقال
وجاء عشقي لك يا جوهرتي أئمن ما ملكتُ في رحلتنا المرهقة القصيره
أنبل ما عرفته.. وكنتُ مزهوا
لأنني عشقت في عينيك عالم الجمال
والآن.. والعواصف المشبوهة المثيره
تقتلع الأشجار إذ تهب في اتجاهنا
فلتحذري أن تنطقي إلا من الأعماق
ليستريح القلب من مرارة الاخفاق
ويشمر انتظارنا
فنبتدي رحلتنا معا إلى جزائر السكينة القريره

١٤ أغسطس ١٩٧٣

أغنية إلى الرجال

مبارك وثوقكم بالنفس والوطن
مبارك نضالكم.. مبارك إقدامكم على اقتحام النار
لتركلو المحن
وتهدموا الأسوار
مبارك تكبيركم من بعد أن طال السكوت
وارتعشت أصواتنا وانبهمت كأنها قد أصبحت مرايا
تعكس ما تنقشه أعماقنا من قصص تعرفها كل البيوت
أبطالها الضحايا

إنطلقوا عاصفة تقتلع الذلة والهوان من نفوسنا
تزيح طين النكسة الكالح عن رؤوسنا

إذ تنزع القيود
من قدمي سينا
وتكنس الروم الذي حاول اليهود
أن يغرّسوه بيننا ليقبّ الميزان والأشياء والأسماء
انطلقوا عاصفة تهزّ بالسدود
تقول في انطلاقها: أين هم الأعداء؟!
* * *

انطلقوا إلى الأمام
لأننا نرفض أن تلتفتوا إلى الوراء
فنحن من ورائكم، قلوبنا تعضدكم مهما تكاثف الظلام
واحترفت عيون بعضنا الرجوع للبكاء
* * *

لا تسندوا آمالكم على جذوع المعجزات والرؤى البهيه

فكل شعب خاض في زماننا معاركه
لم يتظر رجاله أن تهبط الملائكة
مهلكة أعداءهم بنارها الخفية

مصر التي كم ألقيتم ثديا وباركتكم روحها الأبية
مصر التي كم صبرت وصابرت تسألكم أن تدفعوا غول الظلام
عن صدرها الشرقي حتى يقبل النهار بالأغنية النديه

مصر التي كم سهرت في صمتها وحزنها لن تصبح الضحية
لن تقبل اليوم السلام
إلا إذا تخلصت سينا من أغلالها.. والمدن القصية
عادت إلى أصحابها.. فانطلقوا إلى الأمام
تلك هي القضية

١٤ أكتوبر ١٩٧٣

من أجل تلك اللحظة

ما أطول الطريق يا رفاقنا المحتشدين في خطوط النار
الشهداء عانقوكم، صنعوا منكم قذائف
فانفجروا - من أجلهم - لتقصموا ظهر المخاوف
وتنقذوا الأشجار

يا جنودنا الثوار
الشهداء عاهدوكم أن تعيشوا بعدهم لتكملوا المسيرة
وتوقفوا الأعصار
فترجع الشمس إلى بلادنا أميره

والفقراء قاسموكم خبزهم وملحهم لتصبحوا الطلائع
فخلّصوا الصبية الأسيرة التي طال اشتياقهم إليها
لتحقق القلوب في الحقول والمصانع
وينشد الرجال أغانيهم لديها

والأمهات قد جلسن صامتات في البيوت
يرقبن أنباء انطلاقكم إلى سيناء
لترفعوا أعلامنا وتطردوا الأعداء
وتخلقوا - بطردهم - نهارَ بعثٍ لا يموت

والشعراء أوقدوا قلوبهم وانتظروا ميلادَ روح ناثره
تعيد للأشياء نبضها، وللمدى اتساعه، وللجباه
عزتها.. وللنهار عشقه للقاهره

حيث الشفاء الظامئات تشتهي الحياة

كم صاح صوتُ اليأس في المهاجرين الضائعين
«لا.. لن تعودوا فاكتبوا وصاياكم وأخبروا أبناءكم أن الديار
ضاعت ولن تعود إلا في المنام فالأعداء أحكموا فرض الحصار
لا.. لن تعودوا فامكثوا وسطَ الخيام قانعين!»

والآن.. والوجه القبيح
يسقط في الوحل على أيديكم المظفرة
فلتذكروا أننا قد صبرنا واحتملنا عصرنا المر الشحيح
من أجل تلك اللحظة المجيدة المطهرة

للريح أن تنام

للبحر أن يهدأ، للصخر العنيد أن يلين
وليس للشوار أن يرتقبوا المنام أو ينتظروا السلام
إلا إذا ساروا على طريقهم مظفرين

يا إخوتي كل الذي من أجله عشنا وغذته الرؤى الشورية
نتركه وديعة غالية لديكم
فلترهنوا من أجلها أرواحكم وتحفظوها حرة لديكم
فإننا - بعزيمكم - نحضن الحرية

(١٦ أكتوبر ١٩٧٣)

أحذية على الرمال

أحذية غريبة بغير أقدام على الرمال في الظهيره
والجثث المحترقه

كانت إلى بلادنا تسعى لسحق الحب والطفولة الغريه
كأنها في سعيها قافلة من الأفاعي الجهمه المنطلقه

كانوا ضحايا وهمهم وخلفوا زوجاتهم ييكن والأبناء
يستحلبون اليتيم في البيوت والشوارع
لأن آباء لهم قد حملوا المدافع
ليقتلوا أبناء غيرهم ويرجعوا بنخم النصر من سيناء

كانوا يُعدون الهدايا
قنبلة لكل طفل نائم يحلم بالريغيف والخضره

ويحسبون أن ما نشهده من الضحايا
سيقعد الهمة عن تتبع الطغاة حتى تسقط الثورة

نفس الوجوه أحرقت من قبل في فتنام
أصحابها كانوا يحبون انتظار طفلة عائدة لبيتها
ليركلوها في حقول الأرز بالأحذية الغربية الأقدام
ويذبحوها معلنين أنهم من أنبل الفرسان بعد موتها!

أصحاب هذه الجثث
قد خدعتهم فكرة وأقنعتهم قادة بأنهم متصرون
وها هم الآن هنا مفتوحة أفواههم كأنهم يستفسرون
عما تراه قد حدث؟!!

١٨ أكتوبر ١٩٧٣

حوار مع الدم الذي أريق عام ١٩٦٧

كم قال لي الدم المراق
لقد سقيت الأرض يوما.. كيف تنساني
وتترك الكلمة - لا المدفع - تنعاني؟
أست واثقا بأن الكلمات ترتدي أقنعة من النفاق

لشد ما طاردتني في الصحو والنام أيها الدم النيبيل
لكنتي... وأسفا
كنت أريد مدفعا، ولم يكن لدي غير كلمة معذبه
إيقاعها هزيل
وروحها تغص بالصواعق المحجبه
لذا تراني قد جلست نائها مرتجفا

كانت خطوط العجز في أوجها تنشق

والسنوات باهته
وكانت الرؤى تغيم بالأسى في دمناء الصحراء صامتة
تعكس موت الحق

وكان أن سكث وانكمشت مكرها
وحينما أرادت الأشجار أن تغني
أفشيت سرها
ثم اتهمتها - بكل قسوة التجني
بأنها خائنة لكل ما تحسه نفوسنا المنكماشه
لأنها تطرب للأغنية السعيدة
وتستمد - عادة - غناها من جهة غامضة بعيدة
وقلت: أبعدي غناك السعيد عن خطى بلادي المرتعشه

لم تكن الأشجار قد غنت، ولكنني انتفضت غاضبا

وفجأة أشعلتُ فيها النار ثم لذت بالحسرة والدموع
وبعدها - يا ويلتي - أخرجت نفسي بشاحبا
من بين أشجار تفحمت ولم يعد لروحها هنا رجوع

تثاقلت أيامنا الشائثة الملامح
والجوع يطحن القرى، وأوجه المنافقين تلعق التضميل
وتشتري الكذبة بالكذبة، والتصريح بالتسييح والتهليل
وتنصب الشراك ثم تنحر الذبائح
وضعت يا دم بلا معنى على الرمال
في الصحراء الصامته
وانتظر الرجال
واندس في العروق ملح السنوات الباهته
ملح بلا شكل ولا طعم يظل يفسد المطامح المرتقبه
وكان لا بد وأن ينفجر الشروق

بالقلق الهادر في مظاهرات الطلبة
والأمل الطاعغي بان تنطلق البروق
وكان لا بد من الموت لكي تنطلق الحياة في مسارها
وكان لا بد وأن يستيقظ الرجال
ويكنسوا انتظارهم ويبدأوا القتال
ويدفعوا دماءهم مخلصين أرضنا الحلوة من إسارها

يا أيها الدم الذي أريق فوق أرضنا في الزمن المر البعيد
ها نحن قد سرنا
انطلق الرجال للقتال، والدم الجديد
أكسبك المعنى

فكان أن أشرقت في سيناء والجولان بعد الليل والصمت البليد
وكان أن باركتنا مستقبلا أحلامنا في وطن حر سعيد

«٢٤ أكتوبر ١٩٧٣»

أغنية حب للسويس

حين نقاتل الحجارة التي تسقط من بيوتك المهدمه
وحين يسقط الغرور
أمام هذه المداخل التي تُري العدو جانباً من القبور
وحين ننتهي إلى مدرعات الغدر إذ تحشرجت محطمه
نعرف كم تحترق الآن من بيت إلى بيت ولا تستسلمين
نعرف كم تستبسين

فليقبلوا بغدرهم، فانهم شراذم النازية المنسيه
وانهم أعداء هذا الأمل السامي بأن تنطلق الشعوب
وتوقف الحروب
ليغمر الإخاء قلب الكرة الأرضيه
فليقبلوا بغدرهم، ولتسهري فانهم لن يتركوك سالمه

إلا إذا تساقطت أجسامهم على يد الرجال من أحبابك
وآمنت قلوبهم أنك لست نائمه
ولن تنامي لحظة، ما دام للعدوان أذنان على أبوابك

أيها المدينة الساهرة التي عشقت صبحها وليلها
وحينما عانقتها نقشت في قلبي الحزين شمسها وظلها
وحينما أبصرت في الشوارع الخاوية الجنود والأحجار
تمايلت، وكلمتني أصغر الأشجار
قائلة: لا تبئس.. فنحن لن ننهار
أقول: يا سويس يا قديسة غاضبة تعمدت بالنار
بيوتك التي تهدمت سبني من جديد حين تلقى أهلها
فليقبلوا - أعداؤنا - مع الحليف الغادر
ولتسهر وتذكرني بأن في دماننا طاقات شعب صابر
يعرف أنك التي ما خدعت قلوبنا يوما بعشقنا لها

٢٨ أكتوبر ١٩٧٣

أمطريني حبا

حبذا لو كان التلاقي قريبا
فالليالي قد باعدتنا مرارا
واختفى ماء النبع عنا غريبا
ونفتتنا وحشةً وانكسارا
وترقبنا أن نلاقي حبيبا
تحقق الروح حين يأتي انبهارا
وانتظرنا عُلَّ الرؤى أن تطيبا
ثم ضاع العمر الجديب انتظارا
فسألنا ليل الأسى أن يحييا
كيف شُخْنَا ولم نصادف نهارا؟!

ها هي الوحشة الحبيسة تصحو
فاصمت الآن يا صديقي المنافق
أنت لما كاشفتني باح جرحُ
بالذي لم تُقْلُ وشبت حرائق
توغل الريح في أسانا وتمحو
عبقَّ الورد من قلوب الحدايق
والليالي قالت قد انهد صرْحُ
بينما أنت تزعم النبع رائق
ثم لما تنها ظللت تلحُ
بالذي لم يَعُدْ به الحب طارق

أمطريني حبا فإني انتظرتُ
في صحارى الصمت العبوس وتهتُ

إنني عشت مكرها واحترقتُ
قبل لقاءك فاشهدي كيف كنتُ
كنت أرجو أن يجمع الشمل بيتُ
حين يلتف في مدى العمر صمتُ
كيف بالله لحت لي فابتسمتُ
ونسيت الوجه القديم وسرتُ
في دمي وعدُّ فرحة منذ ذقتُ
طعم أنوارك التي قد ضمنتُ
٦ يناير ١٩٧٤

يا عشاق العالم غنوا..

يا عشاق العالم.. غنوا معنا شوقا للحرية
وأضيئوا النور ودكوا السور وقولوا للفرحة: أهلا
وأزيجوا الخوف مع الانقراض وقولوا: لا
في وجه طغاة البشريه

يا عشاق العالم غنوا ولتشتبك الأيدي ولنصعد بالفقراء
جبل الآمال القدسيه
ولنسخر من دجل الكهان ومن أوجه كل اللؤماء
ممن يكبر عالمهم في يوم معتل
يوم معتل تتوالى فيه الخطوات الهمجيه
ولنصلح دوما ميزان الكون المختل
ولنفتح آفاق الأحلام الفضيه
لا في خدر النوم الخداع

لكن من شوق جموع الناس للقاء الأرض السحرية
ولكي نتلاقى دون وداع
ونظل نسير لكي نبعد شوطا عن مملكة الأشباح الوهميه
ونظل نسير.. نظل نسير
نحيا أياما.. ثم نضيع.. نضيع مع الأيام المنسيه
لكن يبقى منا أنا كنا للفرحة خير نصير
يا عشاق العالم غنوا الآن فإننا منذ صبحونا
وتفنسنا رائحة أخرى غير الرائحة الملعونه
وتعلمنا لغة الدم، والنيران تشب
أدرك كل منا أن الطرق المأمونه
لا يسلكها غير الجبناء
فتسابقنا - في طرق النار - إلى لقاء الأرض المحزونه
لنقبل تربتها شوقا ونهدد أرواح الشهداء
ولنحمي النور ونحمي الحب

١٨ يناير ١٩٧٤

العودة إلى السويس

ترحب بي حين أمشي شوارعٌ مشتاقَةٌ.. كم تجولتُ فيها
وأفتح صدري.. كأنِّي طير سجين يعود إلى عشه
وينسى أساه على قشه
فيهمس للعش في سكرة العشق: لستُ أرى لك عشي شبيها

أحبك حين تباعد بيني وبينك أذرعة لا نطاق
أحبك حين تثير العواصف حولك حقدا وشوكا وربما
أحبك في كل حين ولست أخاف الفراق
لأنني أحبك أكثر حين أشمك - في البعد - وردا وفلا

وكم فرقونا.. وكم باعدونا

ولكننا لم نزل نستطيع احتمال الهوى واحتمال الرزايا
وفي كل يوم نزيد ولوعا، نزيد اشتياقا، نزيد جنونا
ونعرف أن طريق المحبة وعمر.. ويسقط فيه الضحايا

جنتُ زمانا.. وكان يطاردني وجهها حين ألقى الصباح
فتعبس كل الوجوه ويمتد بين القلوب
وبين زمان التفتح سور
وكنت إذا ما انفردت بنفسي
أمد يدي لكتاب، وأقرأ بعض سطور
ولكن وجه التعاسة كان يطل علي.. فأطوي الكتاب

وهذا الصباح
رجعت ورحتُ أفتش ونسّط الخرائب عن زمن ضاع مني

أقول بأن الطريق طويل
ولكنني عاشق لا يبالي
وقد عشتُ جينا غريب الديار أداسُ بأقدام سود الليالي
وآن لوجه التعاسة أن يغرب اليوم عني

ستصحو السويس
على أغنيات الرجال وهم يكنسون بقايا الظلال البليده
ويتصحو الخليج على غمغمات القوارب تسعى
وتصحو المزارع. حقل يعانق حقلا، ويزداد كل بهاء
وينضج زرعاً
ويتصحو التفتح.. يصحو الصغار وهم يغمرون البيوت الجديده
(٢٦ يناير ١٩٧٤)

الميلاد الجديد

* عشقتُ ابتسامك حين ابتسمتِ، فقلتُ لقلبي: تمهل.. فإن الطريق إليها مليء ببعض الحجار، وفي الورد شوك يشق ثياب الأغاني.

* وكنتِ الصديقة يوماً، فكوني كما كنت ألقاك حين أنوء بهمي، ويصفر غصني إذا ذكريات الأحبة شدت وثاقي، وألقت على شاطئ العمر بعض حطام الأمان.

* أضعتُ مع الشعر دفء الشباب، وفي سنوات الضياع تلمست وجه التي يستقر لديها المسافر، لكنني لم أزل في طريقي الطويل مع الشعر، يخنقني إن كنت، ويجبرني أن أعاني.

* لماذا إذن عدت أسعى إليك؟! أهذا لأنني أحاول أن أسعد الآن بعد الذي قد أضعت مع الشعر طول الطريق؟ وبعد تعلق روحي بروح

الأسى واعتقال الهوى في جميع المواني؟!.

✽ تنفستُ صوتك حين أطل الصباح دفيئاً، وردد أغنيةَ الشمس حين
تحاصر صمت النعاس الصدىء.

✽ تنفست صوتك رغم تكدس بعض المخاوف، رغم مسافات هذا
البعاد الطويل تنفست صوتك، أحسست أنك في البعد والقرب
سيان: يشتاق قلبي إليك، ويهفو خيالي إلى وجهك الشاعر، فأمشي
إليك بفرحة طفل بريء.

✽ تحرر من أسر كل المخاوف حين استقر لديك، ليعلن في النور ميلاد
حب جموح الرغاب، طموح الملامح، يبقى يهيب بنا ان نغني، وأن
نتحدى الزمان الرديء.

« ١٨ فبراير ١٩٧٤ »

مشهد الغروب على البحر

على شاطئ البحر كان النهار يبشر آخر ذراته الهامده
وتتكىء الشمس متعبه فوق صدر المياه تحاول أن تستميت لتبقى
ولكن سدى....

فها هي تسقط في البحر حيث يكفنها الموج ثم يواصل رحلته الشارده
وقرب التقاء السماء مع الموج يولد شبه سوادٍ خفي كأشباحٍ غرقى
ويمتد... يمتد... حتى يحاصر روجي، فأبكى، إلى أن تلوح
· وجوه صحابي، فنمضي سويا نحاول قهر الأسى، أو نثرثر كي
نُغفل المشهدا

تبعث في صبح اليوم التالي الشمس
وأقول لمن يطرق في الصبح الباب
أين الأصحاب؟

الأصحاب افترقوا بالأمس!!

أُثِّتْ قلبي بصدري، وعنوانَ دارِي بجيبي وأخرج.. أسعى -
أطارِد صمتي بأغنية من أغاني الحياة يرددها في الليالي الصباح
وعند الظهيرة أمضي الى البحر، حيث أرى الشمس تسعى وتمعن في
الأرض لسعا

وجمراتها تقهر المستحمين والنائمين على الأرض - منذ مجين ومغترين -

وفي البحر ملح عتي، وفي القلب ملحُ
أشد عتوا، يوشوشن روحي ثم يضج، ويعلن أن نهار النضارة غاب
فأهتف بالمستحمين والنائمين على الرمل: أنتم تموتون صرعى
ألا تسألون لماذا؟ إذن فامرحوا يا وجوهاً تغيب خلال الضباب

أتشاغل بالعبث المجنون بأصداف البحر

بحفيف الأغصان الجافة والخضراء

وأقول لروحي - وأنا ألمس بعض الصخر

فلتنتلقي حتى لا تنتظري جثة أحد الأحياء!
يداهمني بالنعاس غريم قديم - جديد، ولست أراه
وذا صباح سيُهرع أهلي إلى أصدقائي
يقولون: «إن فلانا تحاذل رغما عن الأغنيات».. ويخلو مكانُ
فلان ليأتي سواه
فيجهش بعض من الأصدقاء: «رأيناه أمس يُغني، ويرنو إلى
نجمة في السماء»
ويبقى المكان
وتولد شمس الصباح، وتغرق في البحر، ثم تعود مع الصبح
تولد... إلا فلان
هو ذا يرقد رطبا في الأرض الصخرية
يخرج - في زمن مآ - قطعة صخر
تقاذفها أيدي الصبيه

فوق شطوط البحر

وتبقى الحياة

تمجدد دوراتها باشتهاء، تُوج من ذاتها في سحاء، لِتُعنى بميلاد أطفالها
ويبقى - على الرغم مما نراه - جِيعاً يحيلون إشراسة المتخمين
شحباً، ويبقى جِيعاً يغنون للمتخمين، وفي الليل
يفتح كل نوافذه المغلقات، فيصحو أساء

ويبقى أناس على الأرض يقتتلون لكي يرقدوا جنب أطلالها
ويبقى شقيّ ينادي أخاه، ويصرخ فيه: «لماذا - ونحن على الأرض -
نبقى نغوص بأوحالها؟»

وتبقى قصائدُ حب تمجد - رغم عذاب الحياة - الحياة
٢٠١ أغسطس ١٩٧٤

مدخرات الليالي

سأنتظر الشمس رغم اجتياح الغروب وأنتظر النار رغم احتشاد الرماد
وأسعى إليك برغم احتجاج وجوه الصحاب الغضاب لعل الهوى
يستعاد

فمنذ افترقنا حسبتُ بأني سأشرد يوماً
وبعد الشرود أعود لحالي
فأغمض عيني وتنعم روحي براحة بالي
وأهتف كان غرامكُ وهما
ولكنني يا أميرة شعري عرفتُ حرائق ليل السهاد
وأن غرامك داء نبيل تغلغل بين خلايا دمي
وطاردني في زحام الوجوه بغير اتئاد
وألقي ظلال الأسى المعتم

بأجنحة الذكريات أرفرف رغم احتشاد الصحاب جواري

وحين أرفرف حتى العياء، ويعتصر الروحَ جوعٌ مقدس
ويمتزج الحزن بالليل وحشين يشتركان معا في حصاري
أرى شفتيك على الأفق تبسمان وألمح نبع المنى يتنفس
فأذكر تاريخ قلبي وأذكر كيف عرفتكَ أول مره
وكيف تشهيت فيك الطفولة رغم الثقل منذ عرفتكَ أول مره
وكيف تمنيت لو كنتِ أنت بهاء الهوى الأول المستقر بروحي الغريبه
لأهمس أول كلمة حب أرددها في حياتي انبهارا بأبهى حبيب
وكيف تمنيت لو عشتِ قربي لحد النهايه
لأهمس آخرَ كلمة حب لحسنك قبل ختام الروايه

بأجنحة الذكريات أرفرف.. آه من الذكريات ومني
تلوحين لي في الخيال برغم غيابك عني
ويمضي خيالي إلى صخرتين على كتف البحر في «كيلترا»

صعدنا إلى الصخرتين معا كنت أنت بملبسك الأخضر الساحر
اللمسات

ملاكا ظهورا بهي الخواطر والقسيمات
أفاضت عليه طبيعة مصر من الشرق سحرا
وكنت جوارك طفلا يغار وقلبا تنفس حبا وصار التنفس شعرا
وأخرجت قلبي - بشعري - من الأضلع المحكمات
لأصنع منه مظلة حب تقيك من الشمس والهمهمات
وتعبر ذكرى لتبعث أخرى
ويمضي خيالي ليسرد كيف صمدت لطيش الهواء الجموح
رأيتك جالسة - في هدوء الملائكة - تبسمين
ورحت وأنت على الرمل قربي تحلين شعرك، والنسمات
تداعب جهرا أرق جدائله الناعسات
وكدت بحبي أبوح وأكشف عمق الجروح
سمعتك وقتئذ تسألين

«أأحييتني يا صديقي؟ أم انتشت الروحُ بالبحر والأغنيات؟»
فرحت أحاول أن أستعيد حكايا الصبا من كهوف السنين
وأغفيتِ أنت قليلا على الرمل تتظيرين
ولما صحرَتِ همستِ بأنك نمتِ انشاء بصوتي وبالبحر والأغنيات
وحين تلفتُ نحو البلاجات آخر مره
رأيتك تمشين جنب المراكب ذاهلة الخطوات
تقولين شيئا وتخفين أشياء عاشت بيالي بلا كلمات
ففاض من القلب في السر طوفانُ نار، وكدتُ أرقق عبده
وفوق رصيف المحطة كاد التكنم يُفلت مني مرارا
وخيّل لي أن قلبك يكي برغم التسم فوق الشفاه
وعدنا لأن الزمان البخيل يمر وليس يطيق انتظارا
فآه من الذكريات.. وآه..

أنسى؟ وكيف سأنسى ونحن بجلساتنا في المقاهي

وتكرار جولاتنا في البلاجات، تكرار سهراتنا في الملاهي
كمن يعصر الخمر من كل عنقود كرم يمر عليه بلهفه
ليكتز مدخرات ليالي المنى والفرح

.....

كأنك جسر إلى المستحيل
أمر عليه وبالحب يعرف قلبي الطريق بغير دليل
وبالحب نصبح نحن ملائكة نستطيع الحياة برغم الزمان البخيل
ورغم الزمان البخيل الذي يحتوينا بأعصابه القاسية
أظل أناديك يا نائيه
لأن المحبة أقوى من النار والمستحيل

٨ أكتوبر ١٩٧٤

وتشهد السنوات

عشقت حدائق الليمون في شفتيك منذ سَرَتْ إلى روحي روانحها
وعانقْتُ الذي عشناه مؤتلفين تجمعنا حدائق عالم أخضر
وكنا نعشق الدنيا وتبهرنا ملامحها
وكنا - من قرار القلب - نضحك أو نثرثر.. والمساء الرحب
يدعونا لأن نحكي وأن نسهر
وكنا - في سذاجتنا - نغني أو نُشيد قصرَ أحلام.. ونسكنه
ونغمر جوه الصافي بموسيقى أمانينا
ونمرح في جوانبه إلى أن نلمح الحساد بالأحقاد آتينا
فنهجر قصرنا الوهمي كي نُخفي عن الحساد فرحتنا.. ونتنظرُ
تفرق شملهم عبر السرايب الخفية حيث لا يبقى لهم أثر

كبرنا.. آه يا ليلي.. من الشيخ الذي أخفته فرحتنا عن القلبين

كبرنا بعد فرقتنا وضاعت أجمل الصفحات
وأغرانا التطلع والتلفت للوجوه بأن نتوه ونهجر القصر الذي شددناه
من سنوات

لريح البعد تطمره وتشطره إلى شطرين
كبرنا نحن ما عدنا صغارا نحسب الأيام بالدمعات والضحكات
كبرنا بعد فرقتنا وصار الحب عملاقا جموحا أرعن الخطوات
يوجهه روعي العطشى إليك برغم فرقتنا
وينشر في دمي - رغم الأسى - عطرا خرافيا يذكرني بفرقتنا

أتذكرنا - برغم البعد - يا وجة الخيالات الجميلة والرؤى الحلوة
أتذكرنا..؟ وماذا لو نسيت!! فان صمت الحب أغرانا بأن ننسى
إلى زمن فضلت عن عواطنا خطى النشوة
أتذكرنا.. وقد عدنا نجر جر خيبة المسعى

تباعدت الخطى.. كلٌ تولى في طريق.. والأسى الباقي يحاصرنا
ويجلدنا.. وأشباح السرايب الخريفية
ونحن نسير والماضي يلاحقنا.. ويغمر روحنا شجوا رماديا..
وُب صوتنا دمعاً
فكيف نسير يا وجهها تفتح في طفولتنا وأسكرنا - بلا خمر -
من الروح الربيعية؟

أسائل صخر أيامي لماذا كانت الصحوة
فإني كم أريد النور يأتيني.. فلا يظهر
ولا تلقى خيالاتي حدائق عالم أخضر
كأن نهاية التجوال تُسلمني إلى هوه

أحبك في زمان ضل فيه الحب فانطلقت به الضحكات فاترةً بلا
نبض ولا أعماق

أحبك.. تشهد السنوات أني كم كبحثُ جموح أشواقني إليك
وسرت مغتربا بلا وطن
وقلت لعل وجه الحب يذكرني ويصحبني
فكم ناديتُ روحك منذ أغلق صبحك الأبواب في وجهي وضافت
ساحة الأحلام بالأشواق
أحبك.. آه يا ليلي.. وتعرض الخفافيش البليدة حيث لا نحميا
ولا نحظى من الزمن
بغير لقاءٍ أحبابٍ تلاقوا في شتاء غائم اللحظات والآفاق
٦١ نوفمبر ١٩٧٤

أقول أحبك

طفولتنا تستعيد ربيع النضارة رغم الخطى العائرات إذا
ما التقينا

فمدي يديك إلى وسيري بقربي ولا تسأليني لأينا
ولا تسأليني لماذا أحبك قلبي الظمى
فيكفي بأنا نسير مع الصبح جنباً لجنب
وأنت تبسمين إليّ

وفي بساتنك أنشق أنضر باقات حب
ويكفي بأنك تنتشرين خلال خلايا دمي كانتشار الشعاع البهيم
وأنت رغم اجتياح جحيم المسافات أقرب من كل وجه قريب
لديّ

أقول أحبك ليس لأنك أذكى وأنقى من الآخرين
وليس لأنك منهم أجمل
وليس لأنك طفلة قلبي التي كم تغنت بها الأمنيات
وليس لأنك مرفأ عمري الذي كم تجول
ولكن لأنك حبي فحسب
أقول أحبك ثم أسير وأحلم أنا نسير مع الصبح جنباً لجنب .

أقول أحبك بعد ازدحام الرؤى بالدخان
وكم قلتها في ليالي الطفولة منذ التقينا على الورد والشعر ذات مساء
وكنّا صغاراً بدهشتنا في العيون ونظرتنا للزمان
يغيم الشتاء

فنحلم فيه بدفقة خير ونفرح حتى كأن المطر
خيوط حريرية من نسيج مُوشى يجيء ليكسو عرايا الشجر

وفي الصيف كنا نتوق لجمع شعاع القمر
لنصنع خيمة حب يقيم بها المتعبون فيرحل عنهم عناء البشر

أقول أحبك.. ما من قصيده
يرعمها الحب إلا وروحي تناديك فيها
وحين اكتست بالوساوس آفاقنا - منذ غبت - فلم تسمعيها
سهرتُ أردد في الليل بعض مقاطعها للصحاب فتجهش روعي
الشريده

وها نحن بعد انفلات الطفولة منا نعود لحيث التقينا
تعودين أنت أسيرة ظل تدوس خطاه على الذكريات التي ترقد
تدوس خطاه على صدرٍ حلم أضعنا نضارته من يدينا
تدوس خطاه علينا وإن كان لا يقصدُ

أقول أحبك رغم جحيم البعاد فإن طفولتنا تستعيد النضاره
إذا ما التقينا

ووجهك نبع من النور تشرق منه الطهاره
وإن كان قلبي يعود ظميا ويسأل: ماذا تُرى قد جنينا؟؟

١٠ نوفمبر ١٩٧٤

أشواق الورد العطشان

يا سيدتي يا ذات العينين المسكرتين بما في النظرة من إيقاع الألوان
يا كرمة حب أعشقها

وأمد يدي لأقطف منها في فرحة طفل نشوان

لا يرجفه إلا صوت الحراس وميراث الحرمان

فتشب النار بأعماقي وتكاد الوحشة تحرقها

لكني حين أراك أغني منتصرا.. ويحاصر مراك الأحزان

يا أغنية أتنفسها وأخف إليها أين تكون

أتملاها مأخوذاً بالحسن برغم الشجن المترقق في النغمات

فأنا مفتون

طوحني الحب وألقاني طفلا فوق شواطئك المغمورة بالذكرى

والخفقات

يسألك: لماذا جئتِ إلى الدنيا قبل مجيئي.. وتكدست السنوات
مترملةً قبل لقانا، واندفعَ إلى أعماقي خنجرها المسنون
حتى انطلق الوجه الساحر وانتزع الخنجرُ من أعماقي
فتنفستُ طويلاً.. وانطلقتُ تسعى في إثرك أشواقِي
وهنا ابتسم الوجه وقال بإيمان: «إنا حين نَجُود بفيض الحب
تتداعى الجدران وتنهَّد.. فتصبح دُنْيانا أحلامُ القلبين
لا نفزع وقتئذٍ حتى لو سرنا في طرقات الرعب
بل نلمس قلب الأشياء ولا نسألها كيف؟ وأين؟!»

في اليقظة - يا حبي - والحلم
في نبع الماء يفيض وفي غضب البركان
في وجه الطفلة حين يزغرد بالدهشة دون عناء أو هم
في صورة أُمٍّ تحتضن الأطفال وتشبعهم دفئاً وحناناً

في سفن الشجن نحيء من الماضي والحاضر والحب الأول
في صخب شوارع مزدحمه
في أغنية تتجول في أنحاء الكون المحزونة والمبتسمه
في المطر الساقط من أجفان الليل على قلبي المثقل
يتملكني وجهك كالسحر ويأخذني حبك للنور
لأحطم جدران الوحشة وأمد إلى الأحلام جسور
فانطلق عبر النشوة للزمن الآتي
يا ذات العينين المسكرتين بما في النظرة من إيقاع الألوان
لا تخشي شيئاً وانطلقى رغم هدير القلق العاتي
فبقربك - يا حبي - إنسان
أغراه الحب بان يحيا قربك حتى يبعد قلبك عن طريق الرعب
فيفيض خيالك أشعاراً ترقبها سفن العشاق ببحر الحب

قلبك بستان
يورق في روحي ممتلئاً بالغبطة والأحزان
فيه الورد وفيه الشوك وفيه الشجر الأخضر واليابس.. والنبع السكران
وترفرف فيه بأجنحة الماضي موسيقى لا أتيناها.. من أين تجيء
وأغار كثيراً.. وأفضل ألا أسأل من أين تجيء
لكنني في الوحشة أهدس: ضميني في رفق وحنان
وأذيني نغماً في إيقاع الألوان
فأنا في زحمة بستانك - يا سيدتي - ورد عطشان

« ٢٣ ديسمبر ١٩٧٤ »

العالم في قريك

* في الليل أراك مرفرفة.. تتوحد في روحك موسيقى من عبق الأزهار
المزهيات بنبع الماء.. وصدق القلب... وسحر الشجر.
* أعشقتك ولا أهمس.. «يا حبي...» إذ أجلس - رغم النشوة قريك -
مزدحم الصدر.
* تترصدني أحزان خافية حيناً أو بادية حيناً ويزلزل أعماقي إعصار من
ضجر العالم يطرد أمني ولذا تثقلني أعباء متلاطمة كمياه البحر.
* لكنك حين تمسين بنظرة حب أعماقي أصفو إذ أطفو فوق الموجة
مبتسماً وأقول: «أحبك يا حبي» لا غير.
* فأنا لا أملك غير الحب.. وأشعار أترقيها تولد.. حين تعلق روحي
في نخلب جمر.
* وأعود أراك مرفرفة تتوحد في روحك موسيقى من عبق الأزهار...
فأنفص قريك أعبائي.. وأحس بأن الحب يشق الصخر، وأني - في

قربك يا مؤنستي - سأشقى الصخر.
* لكن عفو يا مؤنستي.. هل أجرؤ أن أسأل
* لو لم تكن الأعباء تزلزلي هل كنت أحبك في هذا الزمن البائس!!
* حيث الحب بضاعة تجار يحترفون التمثيل ويلهون مع المخرج في
توزيع الأدوار وفي الزينة والملبس والمأكل؟!
* لو لم تكن الأعباء تزلزلي هل كنت أحبك يا ذات الوجه المتهلل
والصوت الهامس؟

* قلبي ما شئت.. فإني قد خنتُ ضفافاً كانت لي من قبلك.. وارتحت
إلى لمساتك تنفض أعبائي وتُنصر لي كل الأشياء.
* قلبي ما شئت.. فإن العالم في قربك - يا حبي - أغنية متألقة
النعيمات برغم الوحشة والأعباء.

« ٢٧ ديسمبر ١٩٧٤ »

مرثية الطفل الذي جاوز الخمسين

«إلى روح الشاعر محمد الجيار»

يا حبيبي نحن أحببنا وعانينا بما فيه الكفاية
بيتك الصامت يشهد
كم سهرنا فيه نشكو ونداوي الجرح بالجرح إلى أن تنتهد
وإلى أن أسدل الغيبُ ستار الموت فاجتزت سراديب النهايه

كم سهرنا يا حبيبي وتجولنا بقرب النيل صيفا وشتاء
وتأملنا السماء
حين تصفو أو تغيم
ولمحا في فروع الشجر الذابل ظلا لغريمٍ مستديم
فتشاء منا وقلنا إن عصف الريح أقوى من أغاني الشعراء

ثم عدنا نتهادى وتحدثنا عن الحب وأنشدنا القصائد
وتنفسنا طويلا وشهدنا الفجر يحبو في ابتهالات المساجد
فتفاءلنا وقلنا إن نبض الشعر أبقى من متاهات الفناء
لم أكن أعلم أني يا حبيبي لن أراك
لم أكن أعلم أني يا حبيبي لن أراك

لستُ أرثيك فإني ذاهلٌ حتى العياء
إنما أرثي زمانا شاردا ضاع انتظارا
لضفاف الحلم نجتاز إليها ألف بحر من دموع ودماء
ولشمس الحب تخضر وتصحو ثم تجتاح نفوس الأذنياء
ولطفل يولد اليوم فلا يكي انكسارا
مثلما نحن بكينا منذ رُبينا صغارا
لستُ أرثيك وإن كنت أرى عبر الفناء

قطعةً من ذكرياتي وشبابي تتواری

* * *

تلبس النار ثيابَ الذكريات الغافية
كنتُ طفل الشعر تلقي في ذراعيه همومك
كنت تخشى أن يلومك
فتعيد البيت تلو البيت مراتٍ لتجتاز بقربانك جسر الهاويه
كنت طفلاً جاوز الخمسين يشكو من دعابات الأصدقاء
ثم يشاق إليها إن تولوا عنه ليلاً حين ينفض اللقاء
كم تخاصمنا وألقاك فتنسى.. أو تلاقيني فأنسى.. والمدينه
نصف أهلها يصب الزيف والزور بأكواب الضغينه
نصفها الآخر جائع
يتلوى في الشوارع
وحشةُ الليل التي كم كنت تشكوها إلى الصبح تداعث دون آه
واحتوتك الوحشةُ الخرساء في ظلمةٍ قبرٍ فيه صمت حجري

أنت يا من كنت قلبا مستهما بالحياء
وعدو النوم في الليل لماذا بعثت دنيانا بنوم أبدي؟
لماذا يمهل الموت أناسا كاذبين
ويؤلي من أضاعوا العمر بحثا عن نهار ضاحك للآخرين؟!

* * *

هكذا متَّ وحيدا وغريبا دون أن نحظى بلقيا من جديد
غبت عن عيني فراحت قطعة من ذكرياتي وشبابي تتواري
غبت عن عيني ولكن لن يغيب الحب من قلبي الشريد
وسألقاك قريبا - مثلما كنت تراني - حينما يدنو الغريم
فانتظري يا حبيبي وانتظر ذكرى زمانٍ شاردٍ ضاع انتظارا
وانتظر حبي المقيم...

« ٨ أبريل ١٩٧٥ »

وجهها والمسافات البعيدة

ما تحدثنا عن الحب وإن كنا انطلقنا في أحاديث كثيرة
عن شروق الشمس في البحر وعن طير تناديه جزيره
ليغني في سماها
موقظا نهرًا من الأشواق للنضرة يمتد.. فيخضر ثراها
وتلاقينا مرارا واثلفنا وامتزجنا جلسةً في إثر جلسته
فتوارت سفنُ الماضي وراح الأفق المسكر يمتد طليقا
والغناء الصامت انداح من الروح رقيقا
منذ ناديتُك همسا وأنا أنظر مفتونا إلى عينيك خلسه

فجأة ألقْتُ خيالات من الماضي ظلّالا واستباححت قسماتي
وجه مرآتي انجرح

هكذا في لحظة ضيعت أزهى كلماتي
واشتياقي للفرح

.....

.....

آه يا جرحي الجديد
في شروق الشمس موسيقى يناديني إليها وجهك الرائق كالنور
على زهرة قُل
فأغنيك وإن كنت أغني خائفا من ذكريات تجرح الوجه السعيد
أو ضباب فيه طعم الحنية البكاء في مشهد إحباط ودُل
لا تقولي: «ولماذا يا صديقي تستعيد
ذكريات تتعري في لظاها دون أن تفتح أبوابك إلا لنداءات
القنّامه»

أتقولين لتمثال عذاب: حيّ شمس الصبح وانعم بابتسامه

وتفاءل بالجدید؟؟

إنني حاولت أن أحيأ ولكنني وجدت العالم الأهوج يطويني ويستل
النضاره

ووجدت الموجة الرقطاء تمتد وتعلو بالوجوه الكالحه

ووجدت الحب مبذولا لمن يدفع أكثر

في حوانيت التجاره

وتعثرْتُ مرارا حين مس القلبَ خنجر

وأنا أجتاز طوفانَ كلابٍ نابحه

منذ أن كنت صبيا ورغابي جامع

كانت الدنيا بيوتا عضها القهر وأكواخا نراها مستكينه

وأنا كنت، أحب الوردة الحمراء والأطفال والقمح المغني في

ابتهالات السكينه

وتنقلتُ بأشواقِي جريماً حيثُ شبتُ أغنياتي صائحه

طلع الفقرُ علينا من ثياب الخداع
أيها المكبوتُ فينا سرُّ بنا فالحقُّ ضاع
إنهم عادوا فقالوا إنما نحن رعاء
فتأهبُّ لانطلاق وتأهبُّ للصراع

هكذا سرُّتُ جريماً فإذا جئتُ أغني كالعاصفِ الطليقِ
أنكرتني ذكرياتي وتداعى - في خيالاتي - ركامُ البارحة
أسألي - يا نور عيني - أصدقائي عن عذاب البحث عن شمس
صديقه
كلنا يحمل جرحاً مستكناً ويدأويه بملح الصبر.. والأفق صقور
جارحه

فإذا كنا نغني فلأننا نحلم اليوم بأيام ستأتي وبآفاق جديدة

هل تُرى أنت سعيدة؟؟!!

ما تحدثنا عن الحب وإن كنا انطلقنا في أحاديث كثيره
والأحاديث جسور للقاءات ولكن المسافات تطول
وبرغم الجرح - يا حبي - فإننا نستطيع الملح من أجل الوصول
نحو سلطان الجزيره
لنغني في سماها بعد أن نجتاز طوفان الكلاب النابحه
يومها يضحك قلبي ونرى الشمس وترتد الوجوه الكالحه
« ٥ مايو ١٩٧٥ »

الآمال.. والموت المزخرف

بعينيك آمالي التي يرتجىها العمر مذبات قلبي مؤزقا
وتعشق فيك الروح نضرة أيامي ونبض كآبتي
كأنك وعد في عيون الجميلات اللواتي نأى عنهن ركب صبابتي
وجئت فجاء الوعد كي يتحققا

أريدك قربي - آه - لكن أمواجاً من الخوف تُقبلُ
فنحن التقينا فوق أرض مدماة بها الحب أعزلُ
يخوضُ في المستنقعات وبالأحجار يرشقه الأوغاد أياًنَ يرحلُ
وبالغش يُسحلُ

أخاف من العدوى وأن تكذب النجوى وأن تشهد الأحلام موتاً
مزخرفاً

يعللنا أن الحياة بها تسري فنبقى نهملُ
فما زال فينا من نراه يضلُّ
وما زالت الأشجار تثمر حَيَاتٍ ويصعق سجنُ الأفق طيرا مرفرفا

تقولين لي: حاذر.. ستفتح بابا للهواجس تدخلُ
تنفس شذى روحي ودع عنك ظلا يستطيع عابسا
صحيحٌ بأنا حين نشهد أقمار البراءة تأفلُ
تداهنا الحُعمى.. ولكننا لن نصلح العالم الذي تكومُ يابسا

رفيقة أحزاني هو الفقر يغتال الحديقة في الروح التي تفتحُ
هو الفقر طاغوت يطوحنا مثل الغصون المخوخه
فكيف سنفلحُ
إذا نحن أحبيننا فسرنا خفافاً فوق أرض ملطخه؟!

تشهيت فيك الوعد.. قلت: حبيتي
وأطلقت عصفوري الظمى من العش الذي كم تبعثرا
لعل مع الأيام تثمر لقياك ابتساما منورا
يلاقي أناشيدي فتتنفض أوراق انتظاري حديقتي

على أننا لسنا نسير كما نرجو.. فكم خاب ماملُ
وماذا سنفعلُ
سوى أن نشد الأزر.. قلبي يناديك ابتهالاً ويأملُ
وقلبك يسقيني الأمان من النبع الذي ليس يبخلُ

أصاحبتى.. قلبي بحبك مأسور ترنم مغرما
فلا تلفظي قلبي إذا تهت في الأرض الشحيحة مرغما
وها هي آمالي بعينيك زهرات تفتح أنجما
فلا تركيني أسأل الريح عنهما

« ١٩ أغسطس ١٩٧٥ »

دمت للحب ...

لون خديك أم الفل تفتّح	أم تراني ذبتُ عشقا ليس يُشرخ
ها هي الخضره تكسو عالمي	بعد لقياك ويبدو الكون أفسخ
أنت نسقتِ بقربي باقة	من حنان كلما أنشئتُ تنفخ
فاستريحِي يا حياتي إننا	بعد جولات مع الوهم سنفرخ

أنت روح تحتوي أفق حياتي	حينما لحّت أفاقت بسماي
واهتدى الحلم لأنغام نجوم	سكبتُ إيقاعها في خفقاتي
فارتقت روعي سموات تجلّت	في مدى عينك تهدي خطواتي
يا مثالا شاعريا صغته مِنْ	عطش الروح فأحيا أمنياتي

كفكُ الحلوة ناداها خيالي	في ليالٍ أطلقت موجَ المحالِ
--------------------------	-----------------------------

كنت فيها منهك الروح إذا ما رحت أطفو طوحتي في الضلال
بين أوكار نفوس خُربت لم تعد تعشق أقيارَ الكمال
جئتني فامتدت الكف التي بعد لقيائها هدتني للجمال



جئت لإشراقه روعي في صباها قبل أن يوغل فيها ما شجاها
جئت والضممت خريف في دمي فرسمنا للأناشيد شفاها
وامتلكنا الناس بالحب وطرنا كالعصافير تغني في علاها
لا تغيبني عن عيوني فغدا يبعد الموت خطانا عن ذراها



كم ليالٍ أرهقت قلبي فذابا عاشها يشكو إلى الصخر العذابا
ووعود أسكرت روعي ولكن كلها غابث وأهدت لي اكتسابا
والتقينا فلماذا بي ناعس تحت أشجار المنى أبهى شبابا
وإذا وجهك يسمو بي ملاكا مؤنسا يعطي غدي النور مذابا



أنت مرآة لأحلامي النديه
دمت للحب ودامت جنّة
من تُرى أنت ؟ صباح المزهدي
من ضياء القمر المشبوب عشقا
وابتسام في ليالي الشقيّه
عطرها يسكر أعماقي الخفيّه
لفّ روعي بغلالات بهيّه
صاغك الحُسن وأهداك إليّه

١٣١ مايو ١٩٧٦

لبنان والدماء .. وفيروز

حين تغفو مع الغيوم سمائي يرتوي نبُعُ غريتي من دمائي
فاعذريني إذا جفا القلبُ غصنا ورده يكتسي بشوب الرياء
ياوحوشاً تآلفت يوم تنها واغتنت مذ رمثُ بنا للوراء
هل تمس الرؤى البهية أرضا كم غزا شوْكُها خطى الأوفياء

باتت الأرض مسرحاً للصراع بين ليل الزنا وطهر الشعاع
فادفنوا الشمس مرةً لو قدرتم إنها في القلوب رغم الضياع
واسحلوا اليوم أنفسكم أحبث منذ شبت بلادها باندفاع
أنتم الخاسرون يا حشدَ بومٍ يتباهى من شؤمه بالأفاعي

آه لبنان والأفاعي تتاجر بالدم الجاري في بحور المجازر
مسحت أرضك الوديعه قبرا موحشاً مبتلى بكل مغامر

هكذا يطحن الرصاص كيانا
بثّ تدمي ولم يعد لك منجى
عربيا تقاسمته المحاور
من هلاكٍ إلا بميلاد ثائر

ما دعاة التقسيم إلا «ثعالب»
فانقعوهم في سمهم وتلاقوا
طائفيّ فيهم وفيهم أجنب
تستعيدوا الديار من كل غاصب
لا تراعوا فالموت في الحق بعث
وغدا ركبكم سيطوي المصاعب
شهداء النضال غابوا كراما
بعد ما زادوا للسماء الكواكب

ليل بيروت ساهر يترقب
وأنا نبضُ شاعرٍ يتشهى
ولفيروز سوف يصغي ويطرب
عود ترنيمها المفتّح كوكب
فأعصفي بأعواصف الغربِ وإرمي
فوق لبناننا الثعابين تصخب
نحن بركانُ نعمةٍ إن تلظى
والفدائيون احتشادُ تأهب

« ١٧ مايو ١٩٧٦ »

مرثية العاشق المعنى

« إلى روح الشاعر صالح جودت »

* يرحل العاشق المعنى .. فنرثيه .. ولكن قصائد العشق تحيا في
حنايا أحبة السحر سحرا .

* لم يمت من وعي الحياة ، وأضني القلب حبا مفتحا زهرات
الحلم في الشمس زهرة بعد أخرى .

* هكذا الشاعر المحب يولي ... إنها منه نفحة تبقى في قلوب
العشاق دهرًا قدهرا .

* فالقلوب التي اصطفته تناديه .. وتحية رغم ما أمطر الموت
فوقه حين مرّا .

اهتدى الشاعر منذ البدء للحب مقبلاً بالخيالات سماء وقصوراً
وعروشاً

كان لماحا ذكي الروح ، نشوان كحلسم بليلي يترأى في مقاصير
السماء

روحه السكرى تحب الناس ، والوجه نقي ليس مكسوا رتوشاً
وبعينيهِ هدوء شاعري وصفاء

كان يلقاني ويلقى الناس والدنيا بشوشاً

كان .. ياما كان .. لكن أنشبت أظفارها الأيام في قلب ولوع
بالتصافي والغناء

أسكنت فيه خدوشاً

فهوت أحلامه الخضراء في جوف القناء

* يا «أبولو» نعى نسيمُ أغانيك قلوبَ الذين كانوا يغنون
ويستقون وحشةَ الروح شعرا .
* ابن «ناجي» وابن «طه» وابن «الهمشري» الذي استجم بحضن
الريف وارتاد جدول الحسن طهرا .
* كلهم غابوا تاركين خيالات الأمانى ... وأنجم الليل تسري ..
فاستراحوا من الأسى .. واستمرا .
* هكذا عريد الأسى ياصحابي في ضلوعي «فصالح» غاب
كالطيف وشدته هوة الموت قهرا .

آه كم كنت أحبة
كان - رغم الداء - يلقاني بشوشا كلما طرت للقياء الثريه

كنت أصغى في التلاقي وهو يحكي في هدوء ويشع الصدق قلبه
واتلفنا كالمرايا واختلفنا في قضايا « واختلاف الرأي لا يفسد للود
قضية »

كان ينبوع حنان يترأى للحيارى في زمان جامد النظرة مشبوه
الهويه

رفعت أعلامها فيه الظلال الثعلبيه

آه كم كنت أحبُّه

كان قلبا شاعريا واصطفاه اليوم ربُّه

« ١٣ يوليو ١٩٧٦ »

هي والبحر .. والليل

للبحر ذاكرة من الملح المراوغ باهته
والبحر .. آه .. البحر كان صديق أيامي التي ارتحلت إلى مدن
بعيده
في موجه اغتسلت نجوّم صباى وارتسمت على خفقاته صور
سعيدة
واليوم آتي .. دون أن يتذكر البحر الوجوه .. ملغما روحي بأغربة
الظلال الشامته



هذا أنا يا بحر .. فاذكّرني كما تتذكر الجثث الغريقة والحطام
مرث عليك رؤى الدهور وما سثمت من الترقب والمقام
يا طول صبرك .. أيها المتجبر النهم الذي ألف المحبة والمكائد ..
والتردد .. والخصام

فأنا سئمتُ من الضياء كما سئمت من الظلام

الطفل شابٌ ولم يزل يرنو إلى السر الخبيء
في طيِّ موجك .. أيها القاسي لماذا تكتم السر الذي يطويه
صدرك بالدهور .. ولا تبوح
كقلوبٍ من أحبيتهن وقد شربن مع التبلد أكؤس الزمنِ الرديء
إني أحبك .. فاغفر لي ما تفجره الظنون فعلء أيامي جروح

عبر امتداد الشك ألح ما تفتقَ تحت موجك في الليالي من يقين
ببصائر العشاق حين يرون ما يتعشقون ويشتهون ولو خيال
فاكشفتُ عن الكنز الدفين
يا أيها البحر المحاصر بالمحبة والرمال

إني عشقتُ .. فهل تُراها ترتضي في العشق شاعر

قالوا لها في قلبه الأمواج صاخبةٌ تثور ودائها تتقلب
حقاً .. لكم تتقلب الأمواج في قلبي. ولكن حينها أصحو على عبث
الأحبة بالمشاعر
فالصدق مرآتي التي أمشي بها وتشبي بمن رغم المحبة يكذبُ

اسكندرية لا ترى البحر المحاصر يرتوي منه العطاشى للمحبه
عبث .. فإن الموج أنبأني .. بأن بهية القسمات ناعسة يُنور حسنُها
الغافي «جليم»
اسكندرية .. فاشهديني ساهراً .. ما عاد يسأم .. فالنضارة والنعيم
في قريبا .. وتثاؤب السهر الطويل أحبه ... ما دامت الأحلام
يوفدها الأحبة للأحبه

أغمضت عيني برهةً ...
أتأمل الوجه الجميل وقد غفنا ..
فأشاع في الليل النداءة والأمان

قلبي يهفهف في شذى وجه تورّد ناعما
كطيفٍ أمسية شذيه
يا للخيال يقربُ الأحباب للأحباب أن بعدَ المكان عن المكان
وتكدست سحب التغرب تحجب الدنيا البهيه

سيري جواري في غدى ياشمس أيامي وياصفو الليالي القمره
سيري جواري ياغدي لتضيء في أعماقك الخضراء أنقى جوهره
إني عشقتكِ واحةً بعد ارتيادي بالتعاسة للصحاري المقفره
فتفتّحي قربي لننعم بالشمار المسكره

« ١٨ يوليو ١٩٧٦ »

حينما يصبح الحلم سيفاً

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٧٨ .

إهداء

إلى من قالوا .. «لا..» في وجوه القراصنة فتعذبوا وتغربوا لكنهم ظلوا
مؤمنين بأن مصر عربية وظلوا يحلمون بشروق شمس الوحدة فوق
الأرض العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي.

حسن توفيق

مدخل الى القصائد المهاجرة

هذه مجموعة من القصائد التي انبثقت في الفترة الممتدة ما بين عامي ١٩٧١، ١٩٧٦، وكم كنت أرجو لهذه القصائد - باعتبارها زهراتي التي تعهدتها بالسقيا وتفتحت في حدائق جحيم معاناتي - أن تتنفس في المناخ الذي أنبثقت على أرضه الحبيبة.

ولما لم يتح لي أن احقق لها ما أرجو تركتها جزع النفس تهاجر إلى أرض أخرى يتسنى لها أن تتنفس في مناخها. وعزائي أن الأرض الأخرى ليست غريبة ولا ضئيلة، فهي أرض شقيقة للأرض التي انبثقت فيها وستعطيها الدفء والحب، وهذا ما يجعلني أتصور أن هذه القصائد المهاجرة - على اختلاف أشكالها وتنوع ملامحها الفنية التي تخلقت عبر سنت سنوات - لن تستشعر الغربة، لأنها هاجرت بعد أن طوردت وارغمت أن تظل مكمنة، منذ أن ادانت حفنة المرتزقة وكشفت الافئدة

عن أوجه اللثام الذين جلسوا على أرائك النعيم المختلسة يتأنقون
ويتزينون في هدوء مستفز ملعون، وهم يرنون الى ملايين الفقراء الذين
يحترقون ويحترقون دون ان يسلم من الإحترق مما يملكون سوى حبهم
للأرض وإيمان قلوبهم بأن الغد المجلو النور لابد أن يأتي متصراً مهما
يظل غيابه ومهما تتعدد محاولات حبسه في قمقم التضليل فالغد سيأتي
حينما يصبح الحلم سيفاً!

يونيو - حزيران ١٩٧٦

ح. ت.
القاهرة

الضياع في المدى القاسي

اتسخت ثبابك الخضراء يانيلُ
وفاضت الشيطان بالجرذان والعتمة
وباضت البغضاء في قلوبنا وبعدها جدتُ أباطيلُ
فانداحت الضوضاء في القاع وفي القمة

قال لنا الخليفة
في لحظات اليتيم والنزيف والمرارة
قال لنا : « غنوا وناجوا نيلكم مبرعم الأشواق للحضارة
في سكرات الحب والتواصل الشقيقه
غنوا.. فإن النغم المشمس في قلوبكم
يسألکم أن تطربوا..
وتشربوا هنيئاً

اندمجوا في غنوة واحدة رهيفه
وحيثما تأوون للفراش - يا أحبتي - فلتكن السقيفه
واحدة... ولتكن الأحلام حلماً واحداً مخضوضراً وضيئاً..»

الشعراء الحكماء انطلقوا في مجلس الشراب والمكايد
مردددين غنوة واحدة مزوّره
عن الزمان الرائع الذي تضيء قلبه جوهرة منوره
لكنهم - واحسرتنا - غنوا بلا مكابده
قالوا في السر
الروح غريبه
والزمن المر
يفتصب حبيب

وحين عرّشت على حدائق الأسماك غنوة الزمان الرائع
انتهاز الأعوان والصبيان والكلاب ريح الفرص المواتية

فانطلقوا سواسيه

مصفقين هاتفين في وثوق القانع!!

نعم.. موافقون

نعم.. موافقون... والتجويد للذي يقول: لا

موافقون أن يظل البؤس صائلاً وجائلاً!

نقول: عَمِي للذي ترضى به الأم.. نعم.. نعم موافقون!!

.....

ياموجة الأحزان

كم فيهم الليلة يطارقتي من خائفٍ أو خائِرٍ أو جائعٍ

ياموجة الأحزان يارفيقة الذين لم يغيروا الوجوه والسياب

والألوان

اندفعي... وأغرقيني في مداك الفارع.

.....

همس الجمهور

الزمن المر
يفتصب النور
يختطف الحسر
يا همسات الخوف في نبض القلوب المؤمنه
اندفعي .. وارفعي
شقي ضباب الأزمنه
اندفعي .. فالوت يكس الضعاف .. والخليفة الحكيم لا يعي
باللكابوس
النيل عصاه
ينخره السوس
ينكره الله
تمتد كف في الظلام
تحنق صوت الحق .. تلقيه على صدر الرغام
تسلمنا قسراً إلى المجامر السريه

تذيقنا الويلات والحنظل والمرّا
تمتد كف من حديد أسود قبضتها الماكرة الوحشية
ببطشها تشظرنّا.. أحبابنا في مدن ونحن في أخرى
حيث نضع من أوجاعنا قبرا
ندفن فيه جثة الشهيدة : الحريه

الحريه

ألقت بالتاج

سكنت نفسا

الحريه

اشرب كأسا

اشرب والعنايا حجاج

يا أحكم الناس
لا الحب روانا ولا تواصل القلوب

فاترك لنا ظل الضياع في المدى القاسي
وانعس فإن الفجر لن يعانق الأغصان في أرضفة الشحوب
مادامت الجرذان في العتمة، والعتمة ترتقي على الشيطان
مادامت الأغصان
مشدوخة، والغنوة التي نظل ننشد
تغص بالبغضاء... والأصوات تستحم في نشازها المقامر
وخلف كل جملة يرقد ثعبان، نرى أنيابه حناجر
تطل من أعماقنا - هاتفة - تردد



يا أحكم الناس
اترك لنا شجوننا... وغني - إن شئت - مرارا
وحده غني.... وامنع الغنوة والحب دثارا!!
لكن - إذا أذنت - لانهجكم على صدري وأحزاني وأنفاسي

١٣ يوليو ١٩٧١

نبوءة في الحلم

(١)

الغرفة تبدو - للناظر من بعد - كالمقبرة المنسية
ودخان سجائرننا الداكن يتلوى في أحشاء الليل
أشباح الصمت الوهميه
تتسلق جدرانَ الغرفة .. تتعلق في حبل مبتل
برذاذ الموت

من منا يجرؤ أن يقطع أطراف الحبل، يضيء النور
يثقب هذي الجدران، يجوب الشارع مشدود القامة مسموع
الصوت

من منا يجرؤ أن يمضي لملاقاة الذئب المسعور؟
هل نمكث في الغرفة زمنا
نبكي في صمت .. والأيام تظل تدور

نترقب أن نسمع خطو الغيب المخمور
تعصرنا الوحشة إذ نذكر أحبابا.. إخوانا.. أهلا .. وطننا؟
يا أصحابي.. من يتكلم؟
من يتألم - يا أصحابي - إذ يتكلم؟!
لا شيء سوى سحب التبغ البكاء ورائحة الأشباح على الجدران
فالكلمة صارت عرجاء
لا تجمعها الأحرف ... ولذا تتعثر في كل الأركان
والليل سقاها هما هرما ... ودماء

(٢)

نغرب عن غرفتنا ساعات
نتجول في الشارع أو في المقهى أو في الملهى أو في الحارات
في الشارع دم
في المقهى دم
في الملهى.. في كل الحارات

في الليل... وفي مر الساعات

ينبتق الدم

ينبتق الدم

..... نخطو.....

نخطو

وعيون الذئب تطاردنا تعقبنا .. والليل يطول

نخطو..... نخطو ...

أسفلت الشارع يسخر من وقع الخطوات عليه. يقول:

«هذي خطوات المقهورين

وعيون الذئب تطاردهم لتمرغهم في قلب الطين!»

يا أصحابي.... فلتتكلم

الصمت مهين

فلتكلم ولنفعل شيئاً بيني. كي لا تهدم

فلتكلم بالقول وبالفعل لكي نحيا نتقدم

لاشيء سوى قطرات الصمت وأجنحة الزمن الدامي
تُطوى فوق رؤوس الأصحاب، الكلمة صارت عرجاءً
والليل سقاهاهما هرما ودماء
لاشيء سوى الزمن الدامي

(٣)

أتحول للغرفة وحدي.. أغفو.. أحلم
بالحب... وبالوجه الملهم
وبآلاف الأشياء الحلوة والمره
أحلم بالأزهار وبالأطفال وبالنور
أحلم... حبي يلقاني فرحاً... أحلم أن أكسر صخره
أحلم بفلسطين الحرة
وتطار دني غيمة حزن فإذا بي إذ أحلم
أحلم بالأموات وبالأشباح وبالدينيا ترتد إلى سور
لا تخرج منه سوى الصرخات تقول لأحبابي : «هيا...»

هيا افترقوا.. ودعوا العتمة تكسو الدنيا
هيا افترقوا... فالحب هنا سلعة تجار
هيا افترقوا الآن إلى ان تطوي كلا منكم يوماً كف الحفار»
أحلم وحدي
لكني لا أحلم وحدي بهبوب الريح
كل صديق من أصحابي يحلم مثلي
بهبوب الريح..
نحلم بالريح تهب علينا إعصاراً يقتلع الصمت
بالريح.. تدق مطارقها كل الجدران
بالريح تخرج أوراق الصحف الصفراء على الأسفلت
نحلم بالريح تطوح في الطين بأوسمة القتل
وتدق بقبضتها عنق الذئب الخوان
وتشد إلى قاع النسيان
كل البلداء من الأعوان

نحلم بالريح..

نحلم....

بالريح.....

بالريح تهب على الطغيان

٢٢ يوليو ١٩٧١

تَهْمَتِي أَنِّي أَعْلَنُ الْحُبَّ

أَدْرِكُوا مَرَّةً أَيُّهَا الْقَادِمُونَ
أَدْرِكُوا أَنَّنَا نَحْنُ لِسْنَا الْعَدُوَّ
فَلِمَ إِذَا السَّجُونَ؟
وَلِمَ إِذَا الْعَتَوْنَ..؟!

.....

فَاجَأَ الشَّرْطَةَ الْغَنَوَةُ الْمَشْمُسَهُ
فَاجَأُوهَا تَسِيرَ خِلَالَ الضُّبَابِ تَشَقُّ الضُّبَابِ
فَاجَأُوا كُلَّ مَا كَانَ نُورًا وَإِنْ كَانَ فِي قَمَقِمٍ
فَاجَأُوا كُلَّ حَنْجَرَةٍ يَابِسَةٍ
وَهِيَ تَهْتَفُ بِاسْمِكَ - يَا مِصْرَ - دُونَ اضْطِرَابِ
فَاجَأُوا حَبْنًا.. وَامْتَطَوْا صَهْوَةَ الْعَالَمِ الْمُعْتَمِ

أنت يا قلب مصر الحزين الملامح
آه.. كم كنت في كل يوم تسامح
كل من يطفئ الشعلة الطاهرة
في صدور الشباب
كل من يولج الطعنة الغادرة
تحت ستر الضباب
أنت يا قلب مصر
آه من نبضك الخافت المستضام
آه... ملّ المقام
بين قوم يتامون في كل عصر
فاغضب اليوم مره
اجعل الأرض جمره
اغضب اليوم... واقذف شواظ الغضب
في الوجوه التي تستطيب الكذب

عندما تُخنق الكلمة الصادقه
والهتاف المدوي يضيع هباء
عندما تُجهض النار في صاعقه
ونرى الخوف يُبعث فينا وباء
عندما نرتدي أجمل الأتقنه
لنداري بها قبَحَ أعماقنا
عندما نجس الحب في قوقعه
حيث يدوي أسي نبضُ عشاقنا
عندما يسلب الحقدُ أمنَ الطريق
ونرى كيف تستعجل القاهره
أن تسير بنا
نحو شيخوخة المدن الغابره
عندما....
عندما....

وقتها ما الذي ترتجي يا صديقي
ما الذي ترتجي؟؟
اغضب اليوم مره
أشعل النيل ثوره
اغضب اليوم واقذف شواظ الغضب
في وجوه الطغاه
قل لهم: «لا...» وكن صرخة تعلق
وانتبه يا صديقي
قل لهم: «لا...» وكن قبضة تختنق
وانتبه يا صديقي

إنتبه فأنا منذ أن قلت «لا» لم أعد آمنا
قيل إني عميل لهذا وذاك فطاردني في طريقي الافتتاحات
تهمتي أنني: أعلن الحب للنيل والأغنيات

وأرى النيل مستسلماً ساكناً
فأغني... لكي أوقظ النيل مستبشراً بالحياة
تهمتي هذه ! فهل الحب يجعلني خائناً؟!!

أنت يا أم أجيالنا الماضيه
أنت يا حلم أجيالنا الآتية
أنت لم تنكريني وقد راق للطغمة المتخمه
أن تمص الدماء
ها هنا باشتهاء
حين تمضي لكي تطمس النور بالزور أو ترجمه
ثم تهدر بالخطب البارعه
عن شروق الصباح
بالمنى الرائعه!!
بعد خوض بحار ليالي الكفاح!

أنت يا أم أجيالنا أنت لم تنكريني مره
فأنا الحب للنيل... والحب ثوره
إسمعيني إذن وافتحي لي طريقي
واتركيني أغني
وانتبه يا صديقي
إنتبه يا صديقي هنا.. وأعني
فالصباح اختفى في ضباب الضغينه
والأغاني سجينه
إنتبه فأنا منذ أن قلت : لا
للذئاب التي تهتك الأرض نهبا وزورا
للذين نراهم يهّدون فوق الأرامل دورا
صار قلبي جديرا بأن يُبتلى

إنهم يسبكون الأكاذيب في كل صبح يحبيء

حيث يغوون أفكارنا خلصة ثم يستأسدون
إنهم يُقبلون
من بعيد لكي يطردوا من هنا كل وجه بريء
إنهم يسكبون الزمان الرديء
فوق أحلامنا ثم يستبشرون
إنهم حين ينجشون هول السقوط
يطلقون الضباب المراوغ في طرقات النهار
يجعلون الشوارع كالأنحطبوط
يفرضون الحصار....

٢٨ فبراير ١٩٧٢

اختبار

* لم يخن عينيك قلبي.... حين ناديتك يوما ، وارتحلتُ الآن أبغني
وجهةً أخرى لحبي... لم يخن عينيك قلبي، إنما القوضى وأوراق
الخريف المَرّ ظلت تنهاوى في طريقي. وبأعماقي تهاوت أغنيات
الحب عطشى، فليالي الصبر طالت واكتست بالصمت، حتى أن
بعض الناس قالوا عن حفيف الشجر الناعس جرماً في حقوق
الوطن الغارق في وحل الضغينه.

* ها هي الخيبة تمتد وتمتد ، ولاصوت هنا يعلو على صوت مواخير
البغايا تتبارى في فحيح الجنس في الليل، وتنسى ان صوت البؤساء
اذن مكنوس على الزمل ، فاه يابلادي... ها هي الخيبة تمتد وتمتد ،
ونبض القلب يحتد على الصمت ، وسيف الحمق يرتد إلى صدر
المدينه.

* إنها في كل ليل يلجم البؤس أغانيها ، وتنهار أمانيتها هشيأ شاحب

اللون، رياح الموت تذروه هباء ، والدم الصامت يَسوّدُ ويجري في
حواريها الطعينة.

* صمت الحق طويلا حين نادينا في الليل: «أغثنا».. صمت الحق ولم
يسمع لنا، والطرقات الآن تخلو، فقراء الأرض ناموا، ورجال الشرطة
الآن ينامون حزانى مثلما نحن رقدنا، والليالي تتوالى كظلال فترات
تتداعى فوق مستنقع ملح، الليالي تتوالى... سنة تمضي.. وأخرى
تولد الآن لتمضي، ثم تأتي سنوات غيرها.. تأتي وتمضي مثلما جاءت.
فأه يا بلادى.. صمت الحق طويلا، فتكلم أيها الإنسان ، واهجر
نومك الآسن، وارفض أن تظل العمر ظلا للليالي الفاترات المستكينة.
* أنت لا تملك قصرا إن تكلمت سينهد على رأسك أنقاضاً، ولا تنشدُ
أمرا فيه جرمٌ إن تكلمت لكي تكشف وزراً، أو تكلمت لكي تُطلع
فجرا من رماد الظلمة الرعناء، فاهجر نومك الآسن، أنشدُ في ليالي
الصمت والتضليل.. أنشدُ اغنيات الحب للناس وللأرض، تمرّد...
وتفتت شظيةً بين الشظايا، وتكلم.. وتكلم.. فالليالي تتوالى

بالخرافات، وآه يا بلادي إن إنسانك وجهٌ جاحظُ النظرة.. ظلُّ هامدٌ.. عبر ليالٍ تتوالى دون أن تنجب إلا طغمة تعلو علينا، إن إنسانك يهوي دون أن ينطق.. آه... إنهم قد أخرجوا فيه لسان الحق يوماً ثم أخفوا أغنيات الحب في مخزنٍ منهو باتهم كيلاً يغنيك... فأه يا بلادي.. هكذا قد ظللتني الخيبة السوداء.. فابكي واتركيني إن تلفت حوالياً بهمي، واعذري إن قلت فلنرحل إلى الصحو، كفانا ما تجرعه من رعب وزور وامتصاص لأمانينا الدفينه.

* لم يخن عينيك قلبي حين ناديتك يوماً، وارتحلت الآن أبغي وجهه أخرى لحيي.. لم يخن عينيك قلبي، فارتحالي عنك في الحق اختبار لهوانا، ولصدق الحزن في قلب أغانينا الحزينه.

١٦ نوفمبر ١٩٧٢

كنا وكان

* وجهان لنحب النيل !! فكيف ياروحي نتوق إلى الطهارة،
كيف نحس - إن نمنا - بما نرجوه من صفو الأمان؟!
* الروح ضائعة، رذاذ البحر بللها، وطعم الملح يملأ حلقها،
والوهم لطنخ أفقها، والوحشة ارتشفت بقايا الكأس... آه من الزمان.
* كنا وكان....

* واليوم إذ يهوي إلى البئر اللعينة جينا، تبقى معلقةً ظلالُ
جراحنا، تبقى معلقةً مع النغم المحاصر لايموت وليس يجيأ، حيث
يُسمعُ وقعه يندس في أيامنا، متسللا لنامنا، نحن الذين نخاف من
شمس النهار.. لأنها تُبدي لنا الوجه المدان.
* كنا وكان....

* وتلفت العصفور... لم يبصر له إلفاً، ولم يبصر له عشا فظل

يهيم في الأفق المديد الموحش القسمات، حيث سرت مع النسبات
رائحة الدخان.

* واليوم إذ يهوى إلى البشر اللعينة حينا، تبقى معلقةً ظلال
جراحنا الحيرى، فليس لهذه البئر اللعينة من قرارٍ نستجير به أن ارحم
بؤسنا، واحجب عن الروح الجريحة ماتراه من المذلة في المدى، وانظر..
فقد تغضنت أحلى الوجوه ولم نعد نلقى دليلا منذ جئنا من مكان في
الجحيم، وعادت الخطوات ثانية إليه تقول : ليس لنا سواه وإنه أندى
مكان!!!

* في لفحه ظلت طوابير الضحايا الصامتين تمر، حيث يظل في
أحشاء وحشتهم ينادي أنبياء العصر: لص بارع، ومفوه باع الحصافة
للطغاة ملفقا، ومقامر رهن الكرامة واستكان، وفارس فقد الحصان
وساخ في الصحراء يستجدي الأحبة أن أعينوني علي الوحش الخرافي
الذي اختطف الحصان.

* كنا وكان....

* واليوم أشهدكم - وأنتم كثرة - تتبادلون الهمس : ما جدوى كلامك؟! إننا نهوى السكوت، فوفر الآن الكلام ، وعدّ لدارك آمنة، واهداً فإننا لن نهان.

* يا أيها الحكماء لا تهتوا إذن ولتقطعوا هذا اللسان.

* الصمت صار حوارنا اليومي في زنزانة الموتى الذين يراهم الأحياء مقتنعين بالشيخوخة الحمقاء، مستمعين للأكذوبة المملوطة النبرات يسكبها لهم : وعدّ فقير الروح، معوج البيان.

٢٧ نوفمبر ١٩٧٢

كان لها صديق

أبصرتها تبكي....

وصرختها الحبيسة تُرجف الشفتين....

كان لها صديق

خطفوه من أحضانها..

ألقوا به في الجبهة، انطلقت مع الصبح الوليد

رصاصه نهمه

في صدره رقدت فنام وعاد محمولا على نقالة هرمة

عادوا به للدار في الليل الترابي الصفيق

أعطوه نيشانا يخلد موته.. قالوا شهيد

وتنبأوا بالجنة الخضراء يسكنها وتفرشها ملائكة له

ولسوف يشهد أهله
يوم الحساب يخف مشتاقا للقياهم وينبض شوقه أغلى نشيئ
من أجل من مات الشهيد؟
قولوا لها....

قالوا لها من أجل أن يحيا الوطن
قالوا لها....

نحن الذين نوجود بالغالي ونذكر أنه الكنز الوحيد
أرواحنا من أجله - لوتعرفين - هي الثمن

رقد الشهيد بقبه متأملا فيها يراه
* اللجنة الخضراء مغلقة... وحارسها السعيد

يضاجع الآن امرأه

* المرأة اضطجعت ليدخلها النعيم، وأنت يا أحد الخزانى

البائسين تشاء بث أحزانك البكماء، روح الجنة الموعودة ابتسمت....
وقالت : إنني لم أعرف الأحزان يوما فابتسم تجدد الطريق مرحبا، تجد
الحياة مضوآه

* الجنة الخضراء مغلقة علي أسرارها، وسطاء ربك أفسدوها -
مثلا فسدت حياتك - هكذا تثب الرشاوي في طريقك للدخول، وما
لديك سوى الأسى ، والباب أغلق... فالعن الآن النعيم، وسر إلى
قلب الجحيم فإنه سيقود للروح الحزينة.. هكذا رقد الشهيد بقبره
متأملا فيما يراه.

* لا..... ليس من أجل الوطن
* رقد الشهيد بقبره لكن لأن الله شاء بأن يموت، لكي
يعيش أكابر العرب الكرام منعمين بما حباهم ربهم، متصدقين على
جنوك الغرب، غاب صديقها من أجل أن تزدان تيجان الملوك، وتسكر

الأيام زمرة بائعي أجساد نسوتهم وتجار الأغاني والوعود الكاذبه.
* رقد الشهيد بقبـره.. والجنة الخضراء قد كُشِفَتْ ملامحها
الخفية، غاب نجمُ حياته في القبر، يا أحبابه انكفئوا على الأرض
الذبيحة واصمتوا، ومع الأسى انتظروا سدى... فحياته الجرداء ليس لها
ثمن.
* رقد الشهيد بقبـره.. ويظل ينتظر الأحبة ثأره، وتظل تطفو
الأغنيات الصاخبة.

* أبصرتها تبكي بلا جدوى
* تلهو بها الأحزان، والصحف الشريفة تجدل الأنباء - لاهية -
بأقلام تُؤجر في ليالي العهر، حيث تسود الصفحات، تحكي عن قدوم
الخير - والدنيا تناطحها قرون الشر - آه ونحن ليس لنا هنا
.... حتى التراب.

* رباه أنقذنا وأنقذها، فإننا في المجهل لا نرى دوماً سوى وجه العذاب.

* أبصرتها تبكي سدى... ويقول لي المتفقهون : لتتظر.... هذا جناح الليل يهبط ناعماً، وستهبُّ الآن الحبيبةُ غابةَ الشقق السخية، إن هذا الليل يأتي ناعماً وبحضنه القاني يصب الحب - في شره - على أرجاء أجساد النساء هناك من أمثالها .. ليخفف البلوى!!

٢٩ نوفمبر ١٩٧٢

السقوط

* الخوف - بعد الفرحة البلهاء - صار غطاءنا الشتوي، يحميننا من البرد العتي، ويرعش الأمل الممزق بالخناجر، والدماء تنزّ من حلم لنا.. عشنا له... نعطيه من أرزاقنا، نسقيه من أشواقنا، ندعوه أن يعلو إلى آفاقنا.. لكنه - في آخر الأمر - انزوى، وتمددت أعضاؤه في غرفة الصمت الثقيل.

* والمتخمون تجمعوا متفائلين بها سيأتي - من خلال الريح - من خير لكل البائسين النائمين بلا عشاء أو غطاء.. في شوارع لم تنزل طينية القسمات، يعصرها التطلع للنهار المستحيل.

* أعمارنا ضاقت بنا، فتسريث كالماء من بين الأصابع، ليس هذا النور نورا فاصمتوا يا أيها الشعراء، ولتكلّموا يا أيها المتحدلقون، وألهبوا ظهرَ العبيد مبشرين بمولد الزمن الجميل.

* هذا زمان العهر، فارتدّوا إلى الجدران يا شرفاء، وليطلق عليكم

نَارَهُمْ كُلُّ الَّذِينَ تَجْمَعُوا وَتَوَاتَبُوا مِنْ كُلِّ جُحْرٍ غَائِرٍ، كَانُوا بِدَاخِلِهِ
يَعْدُونَ الْوَبَاءَ لِكُلِّ مَنْ لَعَنَ الْوَبَاءَ، مَلُوحاً بِالْحُبِّ لِلْإِنْسَانِ، بِالْحُبِّ
الَّذِي يَعْطِي الْحَيَاةَ، وَلَيْسَ يَبْخُلُ بِالكَثِيرِ أَوْ الْقَلِيلِ.

يَا أَرْضُ غَطِينَا

بِالْعُشْبِ وَاسْقِينَا

نَحْنُ انْطَوَتْ فِيْنَا

أَعْلَى أَمَانِينَا

* السَّيِّحُ جَاءَتْ تَرْتَدِي سَوْدَ الْمَلَابِسِ، وَهِيَ تَعْدُو فِي الْخَوَارِي
الْعَابِسَةِ.

* وَتَقُولُ : إِنَّ الْحَقَّ بَاتَ مَوْزَقًا مِنْ بَعْدِ أَنْ أَغْفَى، وَقَامَ لِيَبْصُرَ النِّيلَ
الْجَلِيلَ وَقَدْ تَكْدَرُ وَجْهَهُ، حَيْثُ ارْتَضَتْ مِصْرَ الْعَرِيقَةِ أَنْ تَرَى الْفُقَرَاءَ
فِي طَرَقَاتِهَا يَتَسَاقَطُونَ وَلَا مَعِينَ وَيَصْرُخُونَ وَلَا مُجِيبَ، لِأَنَّ مَمْلَكَةَ الْغَيُومِ
تَقُومُ، وَالْأَشْجَارُ تَهْوِي، وَالنَّهَارُ يَمُوتُ فِي آفَاقِنَا مَتَفَحِّمًا وَمَلْطَخًا بِدَمِ
الْقُلُوبِ الْبَاسِئَةِ.

* غامت وجوه الناس، وانكفأت على الطرقات كلُّ أرامل
الشهداء، ييكن الذين تبعثرت أجسادهم راضين، والتجار عادوا
ينهشون اللحم، والغريان باضت حرّة، من بعد أن دفعت رشاوي
للصغار ولل كبار وكل مُلاك الأراضي، ليس هذا النور نوراً باصحا .
فاصمتوا، وتوقعوا للعنكبوت بأن يحط معشاً فوق العيون الحارسة.

* تتأب الأحزان في كل الجهات، ويشهق الصمت المخضب
بالعويل، مسائل كل الظلال السود عن وجه النهار وكيف يأتي؟...
كيف يأتي... والذئاب تكاثرت واللحم منتشر على الطرقات ينتظر
السقوط، وما لدينا غير حب دافق يعطي الحياة، وليس يخل بالكثير
أو القليل.. فكيف يا شمس المنى لم تطلعي....؟! أليزمني الحكماء في
كهف الأغاني اليائسه!؟

عادت أغانينا

في لون وادينا

مكسوة طينا

والوهم يطوينا

* ماذا لدى الكلمات يا غمراً تكدر وجهه؟! ومن الذي يرضى بأن
يبقى بيثر الصبر مشدوداً ومشدوها تحاصره الأفاعي... تملأ الوادي
العليل؟

* يا حبنا فلتنتطلق... ولتطلق الطلقات لا الكلمات، إن جميع
أرصقة الصباح تضيق بالناس الذين تحجرت آمالهم، من بعد أن عاشوا
مع الحلم الجميل، وحاولوا أن يطرقوا أبواب عالمهم، لينفذ من كواها
النور، منطلقاً مع الماشين في الزمن البخيل.

* يا حبنا فلتنتطلق.... قبل ارتحال الناس للمعلوم والمجهول من
طرقاتهم.. فلتنتطلق متفلتا من أسرك الدامي الذليل.
* وليبحث الأحياء في هذا الزمان عن البديل.

١٤ فبراير ١٩٧٤

الأرض والروح الغريبة

* الأرض كانت مهرة، لايمتطيها المعدمون الهاربون من الجحيم إلى الجحيم، ومن قرى متشرنقات بالعذاب إلى مدائن شاسعه.

* جاءوا إليها حاملين - بما لديهم من صفاء الروح - منتظرين أن يلقوا عن الأكتاف عبء الخوف من قهر خرافي طويل، بات في أرواحهم متمددا - في عزة السلطان حين يرى رقيق الأرض مرتجفين من مرآه - جاءوا حاملين بكل مايتخيلون ، مؤملين بأن يروا وجه الحياة الرائعه.

* جاءوا ، وجاءت مثلهم أنقى صباياهم، وكنّ منورات كالبدور، وهائشات بالشباب المستطاب - فويلهن - وحالمات آه ... جئن إلى المدائن حالمات بالبيوت الوادعه.

* جاءوا ولو يدرون بالمجهول لارتدوا إلى نخل القرى ، وتنفسوا الصعداء، واندفعوا إلى طين المزارع يلمسون الأرض في شوق،

وينسون الأسى في الأمسيات المقمرات علي ضفاف التربة السمراء،
حيث يرددون الأغنيات المنسيات، ويسخرون من الليالي السود في
أسماءهم، ومن اهتموم الجائعه.

جاءوا إلى السخره

لكنهم لا يسألون

من يمتطي مهره

يلهو بها المتطلعون

* خوفو العظيم أفاق من إخلاده الدهري للنوم الطويل، فغادر
الهرم الذي يهواه منطلقاً مع الماشين، منبراً بما ييدوله، مستنشقاً في الجو
رائحة الأغاني الخاربه.

كانت أغاني الليل تسري للطريق وتلهب الأعصاب ، حيث
يفوح عطر الراقصات مشبعاً بالخمر ، والأجساد صامدة على كل
المقاعد ، والعيون تثن من ثقل السهاد ، وكان قواد النساء يزايدون
ويجأرون بأن أسعار النساء قد ارتدت ثوب الغلاء، كما غلت أسعار

كل الحاجيات خلال حرب السادس الدامي الذي قهر الملاهي
الصاحبه!!

* خوفو العظيم تشاقلت قدماه، وانطفأ الحنين المستكن بروحه
الخضراء للشمس النبيلة والنهار الضاحك القسمات، فالتمس النجاة -
لتهرب الأشياء من عينيه - منذ تأمل الغرباء في كل الملاهي يتشرون
المال - في زهو - على أجساد نسوته اللواتي جئن من كل القرى
مستبشرات حالمات بالبيوت، وكن حين أتين أه كما البدور
منورات ... أين أين الآن مَنْ كن الأميرات اللواتي يخلب الأبصار
مراهن؟! كيف تدحرج النيل الذي يهواه خوفو؟! أين
قَبُضات الرجال الغاضبه؟

* خوفو مضى متخبطاً في ليله، متسائلاً : هل هذه مصر التي
أحببتها؟ أم أنني أخطأتُ حين مشيت وحدي فانطلقتُ إلى بلادٍ
غيرها؟ .. أم أنه البصر الكليل بفعل آلاف السنين الضائعات؟ وكيف
يأتي الآن في الليل الدليل؟ وإن أتاني ماعساه يقول؟! ليست هذه

مصر التي أحبتها. وهبوى على الأرض الذليلة غاضباً ، فتشقت ،
وتشبثت - من عارها - بيهاء روح غاربه .

ياويله مما به

فلقد تولى صامتا

والناس من أصلا به

ورق تبعثر باهتا

* خوفو مضى متخبطا، وأطل نابليون في صلفٍ، وجند الشرطة
اقتحموا جلال الأزهر المحزون، وانفقت خلال البطش آلاف العيون،
إلى أن انطوت الظلال مريضة، فاصطفت الحيتان والغيلان تنتظر
انفتاح الدور منذ بللت طرقاتنا سحب الوعود البارعه .

* والأرض ظلت مهرة، لايمتطيها المعدمون الهاربون من الجحيم
إلى الجحيم، ومن قرى متشرنقات بالعذاب إلى مدائن شاسعه !!

١٦ فبراير ١٩٧٤

فكرة !

* سيارة عبرت، ومر السائق المملوء بالخلاء، مر ملوحاً بيديه، واختل التوازن فترة، حين استدار الى الوراء، مهدماً بيتاً على مكانه، ثم ارتقى في حضن زوجته الغريبة، خائفاً مما سيأتي في غد، حتى أطل صباح يوم بامت فمضى إلى أعوانه، يتقبل الكلمات، حيث تُزف كل مدائح التجار - كاذبةً - إليه، وحيث تنهمر الوعود بلا حساب، آه يازمن الأراجيف المثلثة الوجوه، وآه من صمت الرجال الطيبين.

* لا الأرض مورقة، ولا سحب الوعود تجود في الليل البطيء بقطرة من مائها، وظلال كل الناس تُسلم للقضاء أموراً وتغوص في أرزائها، والكلمة انشطرت - على قدر الرؤى - شطرين : شطرٌ صارخ متوجع يخفيه صاحبه على طول المدى والآخر انكشف مراميه الخبيثة، ياصدور القائلين تمزقي او فانطقي، فالخائن المشبوه يكتب عن نهار لايجي، الخائن المشبوه يكتب، والجرائد تستجم على الرصيف مع الذباب، وطلعة الحب النبيل يطارد الحراس مرآها، وتحققها أكف

الغدريين تشدق المتشدقين وضحك أصحاب الكروش الشامتين.

من طول ماعائى

من غصة الحرمان

يستنطق الأنسا

أحجارك الإنسان

* سيارة عبرت، ولم يعبر سواها، يافتات الأغنيات ستُنصب الآن
الموائد كلها، وستشبع الفقراء من كل القرى، فهنا بلاد الوهم يُشبعها
فتات الأغنيات، هنا بلاد الخوف تُعصبها الذئاب الضاريات، وترتضي
أن تلمع السكين في حدقاتها حتى تراها تستكين.

* وهنا بلاد الرعب حيث تحاور الوجه الشفيف مع الوجوه
المذعنات، وحينئذ غنى ... رأى الأسمت والأحجار قد حلت مكان
قلوب كل السامعين.

يا كلمة الحب الغريبه

مسي بجمرتك الحجار

حتى نغني للحبيبه ونفك من ذل الإسار

* ياكلمة الحب امتطي ظهر الشوارع والميادين الكبيرة، واصعدي
- مشتاقه - فوق المدارس والكنائس والمساجد والمقاهي والبيوت،
وقبلي كل الذين أتوا إلى الأرض العريقة، قادمين من المحطات البعيدة
والقرية، كي يروا وجه التي كم ألقيتهم ثديها وقد اشتكت من دائها،
وترقبت منهم خلال الليل أن يأتوا لها بدوائها.. ياكلمة الحب اهدي -
دوامه - في كل دور الجامعات، وحديثي عن يومنا الآتي برغم البؤس
يسطو في الظلام على هدوء منامنا، ويهز قبضته العتية في وجوه
السائرين.

* سيجيء يوم تزهى فيه القصائد حرة، ويردد الإنسان فيه غناء
عُشاق النهار، الخائضين بحار هذا العالم المنهار، منطلقين للشط
الأمين.

١٠ مارس ١٩٧٤

الأرض والعشاق والمرترقة

(١)

نافورة من دم .. أطرقتُ أشهداها من شرفة الأرقِ
تكاد ذاكرتي تصطك من مائها المشوب بالحرقِ
والماء - هذا الدم القدسي - يطلب أن يسخو الضحايا به
يشتااق دوماً لأن يسمو بأصحابه
يحتاج إن لفنا الصمت الأناني في وادٍ من القلقِ
فالصمت مستنقع ينداح في أرضنا البكماء يروها
ويُبعد النور عن آفاقِ أحبابه
مكبلاً خطوات العاشق الطفل بالأسوار يُعليها

(٢)

أصداء غناءٍ محترقة
أهي الصخب المعتاد من الناس البسطاء

حين يجوبون الأرض - على أمل - وينادون الله لكي يمطرهم ذهابا
ويعودون إلى الأبنية الشوهاء المختنقة
حيث يصبون اللعنة فوق رؤوس الزوجات ، ويشكون الهم
وهم في الليل يشدون الأغطية على الأبناء
ويفيقون مع الفجر يصلّون لمن أعطاهم ما يشبعهم....
لكن ما أعطاهم ذهابا؟!

أصداء غناء محترقه
أهي الريح الهوجاء تعابثُ أغصان الشجر العجفاء .. وتنبح
تمتدح الصحراء

حيث الرمل تدفق ذهابا
أما النيل المغلول فقد أصبح يشكو الأرض الشبيهة
.. ويمنّ عليه وجوه القوم ببعض القمح وقرض كساء
ليعود الخصب لما نضب..
أصداء غناء محترقه

ماذا في الليل ؟ لعل الخوف من الشفقه
ينداح دوائر في نبض رجال سقطوا تحت قطار الصخب الأجوف
ويفيض أنينا يحسبه البلداء ... سعادته
فيخفون إلى قصر منغلق ويقولون بصوت منطلق للرجل المترف
«فلتنعم بالأكل وبالملبس فالناس هنا تحفق بالفرحة كالأغصان المياده»
.... ماذا في الليل؟ ... لعل الريح.. لعل الريح...
ماذا في الليل؟ لعل الخوف....
لا ليست هذي غمغمة للريح
لا ليس هو الخوف الخجلان من التجريح
هذي اصوات المرتزقه
أشباح البؤس تصب على الطرقات وفي الحجرات غناء المرتزقه:
«أعطنا الفرصة حتى نتغنى بنهار لن تراه الأكثرية
وانفتاح للصوص سوف يأتون خفافا من بلاد أجنبيه
بأذرين الوهم في ودياننا حين يسوقون الجماهير الشقيه

بفتات من نقود وكثير من وعود وأمان زئبقيه
أعطنا الفرصة يوماً وترقب ماتوافيك به الدنيا الدنيه
إننا نركع للمال ونحيا في ارتقاب للينابيع السخيه
فإذا نحن شعبنا وتحشأنا تثناء بنا وأنكرنا الرعيه
ونسينا غيرنا ثم انطلقنا نتبارى في القصور المرمرية»
(٣)

أهكذا يفتح التجار عالمنا بالغش والعفن
وتُسحب الأرض من أقدام عشاقها
في السر والعلن
وتشتكي زهرة حمراء للحق من تلطيخ أوراقها؟
أهكذا دائماً نشاق يا فقراء الأرض للأرض!
والأرض تنهشها الغيلان في نهم
يامعول الرفيض
متى تشق جدار البؤس والألم؟!

- «تعليق» -

يترنم في الليل القمر المخنوق بأحلام الجوعى
والجوعى ضاقوا بالجوع وبالوهم وبالهـم
ترحم في الليل الأفعى
ترحم في الليل على من ماتوا بالسـم !!
(٤)

إنسانُ كل القرى في الصمت يمشي غريبَ الروح والبدنِ
والناس في وطني
يغالبون الأسى بالضحكة المره
ويحصرون المنى في لقمة مره
لكن إذا ثاروا
يثور في الأرض إعصارٌ له ثائرٌ
تنهار مرتفعات الغش والعفنِ
نرقى بعالمنا رغماً عن المحنِ...

- «تعليق» -

قلبي على الطفل الذي سيولد، الطفل الذي سيقتل ، الطفل
الذي سيأخذ الثأرا
قلبي عليهم... إنهم أطفالنا، والدم إذ تسمو به النافوره
يُفتّح الورود في الحداثق المهجوره
مصطحبا إلى الحياة عالما حُرّا...

(٥)

نافورة من دم أطرقت أشهدا من شرفة الأرق
تكاد ذاكرتي تصطك من مائها المشبوب بالحرق
والنار باردة في جرة الشعر رغم البؤس في الطرق
والنار تنهشنا....
النار تنهشنا....
النار تنهش في غصن... بلا ورق!!

١٢ أغسطس ١٩٧٤

حينما يصبح الحلم سيفاً

رغم زهو الضباب
والليالي التي تنفث السم في مركب الصاعقه
تضحك الأرض: في كل حقل غلال
يضحك الورد والقمح والبرتقال
حينما تمنع الغيمه العاشقه
ذاتها للتراب
فامنحيني السلام الذي أرتجيه
في ليالي العذاب
امنحيني الهوى وانطلاق الشباب
وامتلاء الكيان بحلم ينادي نهارا يعيه
وافتحني كل باب

كبي ترى النورَ أيا منا الآتيه
وامنحي للسؤال الحزين جواب
«كيف لم يعشق النورُ في الصباح أيا منا الذاويه؟!»

«كيف لم يعشق النور في الصباح أيا منا الذاويه؟!»
في السؤال اغتراب
فاشهدني ما أقاسي من الحبس في غربتي الداميه
واشهدني في الصباح نباح الكلاب
إنها تنهش الشمس والحب والأمنيات الحبيسه
بينما ينعم اللص بالتحف الضائعات النفيسه
حيث يحيا طليقاً بغير عقاب
آه يا غربه الروح في وحشة القمه الباردة
إننا نمتطي صهوة الحلم.. لكنهم يسرقون
لاتقولي لروحي : «وما الفائدة؟!»

إنهم - في غد - لن يقرّوا عيون
لن يمسوا بسوء منانا إذا احتدم المعترك
حينما يصبح الحلم سيفاً يشق بطون الكلاب
حينما تعبر الكلمة الهاوية
فأزيجي المنى عن خبيء الشرك
وامنحيني الهوى وانطلق الشباب
وافتحني كل باب
افتحي كل باب
كي ترى التورّ أيا منا الاتيه

٢٤ ديسمبر ١٩٧٤

هوشي منه يتكلم

فرحتي تنساب موسيقى وروحي سنبله
اقطفها وابذريها في حقول الوطن المنبت أشجارَ الدماء
واضحكي يا حلم عمري حينما أطلعُ أرزا يرتجيه الفقراء
إنهم لم يستريحوا مذ تواصلوا في الليالي بامتلاك القنبله
ليعيشن الكادحون
في قراهم بملكون الحقل والنهر وأشواق ملايين الأوجه
لنهار فيه شمس لا يغشيها طغاة برداء من جنون
وضمير لا يبالي تشرب السوءات نخبه
إضحكي يا حلم عمري واكنسي ياربح أوهم النعاج - العملاء
إنها صارت ذبابا منذ أغرتهم بدولارات سام الحاتميه
وبسيقان نساء في مواخير سخي

اكنسي يارب... إن العالم الرائع ملك لرفاقي الفقراء

يشهد الموت الذي ألقته أعتى الطائرات
يشهد الأطفال مذبحين في الدور وتاريخ عويل الأمهات
يشهد الحقل المسمم
أن تاريخ نضال - ملء روعي - يتكلم
كانت الأرض ضحية
دنستها كل أنياب الذئاب الأجنبية
ثار عمال بلادي وانطلقنا لتناضل
انطلقنا لتقاتل

إن عمال بلادي ليس بالصبر تواصوا إنما بالبندقية
ولهذا عادت الأرض إلينا بعد أن صدت رياح العنصرية

ها هي الأرض تعود

ها هي الارض عروس في ذراعيها الورود
ها هي الأرض تغني.. آه ما أحلى الغناء
بعد تقديم قرابين الضحايا الأوفياء
إنما عيد رفاقي حينما نجتث ظل الموت حتى نتقدم
حينما تنشف في الشمس مناديل الأرامل
حينما ندفن أحزان اليتامى ويعود الخصب للحقل المسمم
حينما نمضي طوابير لتشييد المنازل
حينما نرجع «فتنام» مع الأيام جسماً واحداً غير ممزق
إن روحي لاتحاد الوطن المشطور شطرين أراها تتشوق



ها أنا مت فقيراً غير أني لم أكن يوماً مسيح الغادرين
ما أدركت الخد يوماً للطغاة المجرمين
ما تلهيتُ بشعبي في أراجيح السياسة
ما تأنقت لأبد ومثلها تبدو الطواويس ولم أعشق رئاسه

لا.. ولم أخفضُ جبينِي أبداً إلا لأطفال يتامى دامعين
فتبسّمْتُ أخيراً إذ أتى النصر مهيباً بعد أهوال السنين
يارفافي الشائرين.
ها هنا أو في بلاد الأصدقاء الطيبين
حين يختار ضميرُ الحب شكلاً البندقيه
يتزع التاريخ أنيابَ الذئاب الأجنبية

٧ مايو ١٩٧٥

في انتظار أخبار الغد

(١)

* الريح مكمة، والأشجار المترهلة الأغصان تناور كي تثبت
بالأرض المطعونة، حيث تحاول أن تبقى طول الأزمان.
* والأغربة المتسلطة احتشدت في ملعب مدرسة «الجيل الآتي»،
واتلفت في بوابة مستشفى أمراض القلب، وحطت كي تنقر جبهة
صحفي حرّ حاصره الطوفان.
* والعالم متسخ القسمات، وسكتنا تساقط فيها أحجار الكذب
الضاري، ولأن جموح النار يزلزلنا، وصحاري اليأس تلبلنا عشنا
نتأرجح ، حيث يباغتنا ما بين الضحكة والضحكة.. وجه الأحران.
* لم يبق لنا شيء نرجوه، لهذا لا نفعل شيئاً.. وتركنا من يفعل...
يفعل... حيث تكاثر نسل الأوغاد، وحيث تلذذت الحنجرة الممقوتة
أن ترجم بالغيب لتريك سكتنا، ويطل من التابوت التاريخ الوثني..
يطالبنا بصكوك تلمس الغفران.

قال صديقي - ضجرا - نحن كفرنا بالتاريخ الوثني
ويظل علينا أن نختار
ماذا نفعل
فلتغمد شعرك في وجه الصلف الهمجي
وسأحل في كفي المنجل
ولتقدم بجموح النار
فالساحة ألقنا فيها ليكون حوار
ما بين الأشجار المترهلة الأغصان وبين دم يبعث إعصار
ماذا نفعل؟!
إلا أن نقتل أو نُقتل!!

(٢)

* جث متساقطة الأسنان
* ظلت في الغربة تستجدي، حتى جلبت معها بعض الأطقم
بالعملات الصعبة، وأتتنا كي تنزع أثواب الناس، وتعطيهم بدلا منها

الأكفان.

* ومضت تنبأ - في الليل - بـ(أخبار الغد)...!
* «أسعار السيارات الخاصة والشقق المفروشة والشلاجات،
وأسعار الجسد ستهبط.. فليسعد كلُّ جِيعاك يا مصرُ، وبشرى يا فقراء
بليلة قَدر تؤنسها بالحُب ملائكة الرحمن، ولكن لاتنسوا أن الأيام
ستأتي بالبرد، وأن شتاء العام الآتي سيكون شتاءً مجنوناً، فاهلموا للسوق
الحرة حتى تجتلبوا الأثواب المستوردة المتألقة الألوان.
* بشراكم يا فقراء ولكن فلنقلع أظفار الحقد.
* ولنهجر أوحال الدنيا لنخف إلى ملكوت السعد..
جثث متساقطة الأسنان أتتنا الآن
مترنحة - لا من أثر الهم - ولكن من أثر الخمره
وتظل تثرثر بالفكرة تتلوها الفكرة!!
* ... قال صديقي - والهم يكدر جبهته السمرء، ويكسبها الحقدُ
جموح النار - تعال لتشهد في الساحة جثة كلب منفوخ كالقربة..

يهذي و «يفكر» في الجلد وفي العظم، وبعد الهذيان المضني ينبج جنب
كلاب لصوح طفحوا كالقيح علي الجسد المعتل بأوبئة الصيف،
وقال صديقي - بتوقعه للأحداث - سيبقى الكلب الأجرب ينبج في
الليل إلى أن يسقط من فمه طاقم أسنان.

* بقي الكلب الأجرب ينبج قرب الأوثان:

* «ما جدوى السد العالي؟! ... فليهدم.. ولنغمز بالوحل طموح
الباني، ولنشهد - زوراً - أن الشيطان الراسي في العتمة هو من أغواه
بأن يبني لیسسم احشاء التربة، ولكي تترامى آفاق الخيبة، فيجوع
الناس ويرتحلوا بحثاً عن لقمة خبز في شتى الاوطان!».

حين سمعنا هذا الكلب الأجرب ينبج قال صديقي ماذا نفعل؟

إما أن نقتل أو نُقتل

قلت لهذا الصاحب: مهلاً... فأنا شاعر...

* لا يملك غير الكلمة والأحزان، وإيمان الشعراء بأنَّ غداً مجلوه
النور.. سيولد من أحشاء الغيب.

* فتعال لنلمس نبض الشعب.
* ولنعرف سر البركان الغافي ... ومتى يُلقى بالحمم المصهورة في
مستنقع هذا الليل الفاتر..
* وتقدم كي تنزع أغلال الريح، تقدم بالنار الخصبية.. نار
الثورة... ولتأت النار بما معها وبمن معها كي تحرق تابوت التاريخ
الوثنى الجاثم في أرجاء الساحة، ولتتوحد - نحن جميعاً - في هيئة بركان
هادر.
* وليحتشد الفقراء جميعاً كي يأتي غدنا المجلو النور على إيقاع
الشعر وخطوات الأمل الثائر.
* فالأشجار المترهلة الأغصان.
* لن يحرقها.....
أو ينزعها.....
أو يقطعها.....
غير الإنسان.

٢٠ مايو ١٩٧٥

الظلام في الظهيرة

أمشط شَعَرَ الأمنيات المطاردة
وأطلقها في كل آفاق أيامي فتمضي وتنساني
وفي آخر العمر المكبل تلقائي
وتصطف أسراباً تعيرني بالشيب بعد اغترابي في جحيم المكابده
فيمضي صديق فاقد النطق ينعاني
وحين يغيم الليل تُبعثُ أحزاني
أقول لها ماذا تريد مني يا رفيقة أيامي وهل تذكرين اللهو
بالناس والعالم؟
وهل تذكرين الله؟ كيف تدرجنا على الأرض أجيالاً
وهذا العناء الجامد الوجه يسبينا ويصنع أغلالاً
تذيب الأسى فينا وتُبقي قضاء الله بالحب يغوينا ليقصص من آدم

ونحن حيارى في صحارى مآسينا وأحراش ماضينا
وبعد خمود النار تحبو المنى فينا
أيكفني بأن نحيا
وأين هو الحب الذي كان ينسينا صحاري مآسينا
فها نحن نحيا يا رفيقة أيامي ولكن بلا حب تفيض به لقا
فكيف نغني إن أتى الليل واشتقنا لبعض أغانيها؟!

غيموم هي الأفاق لكن أحزاني القديمة - رغم البعد - تذكر عنواني
تقابلني وجها لوجه... وتمشي في متاهات أعماقي
تقول بآني قد كبرت وضاعت في ليالي الأسى الضاري مفاتيح إشراقي
ولم أسأل الدنيا لماذا جرى هذا.. ولم اعرف الجاني

أقول لها : كانت يد الله ممتدة

وكان علينا أن نخف للقيها ولكن أتي غولٌ تعرت له الدنيا
وأرقدتها جنب اللثام فراقتهم ورحنا نحثُ الخطو نبحث عن مأوى
وحين تعبنا قال آخر أصحابي : رحلنا بلا جدوى
وكان ظلامٌ زلزل الروح في قلب الظهيرة فانهارت من الرعب مربده
وراحت يدُ التجار تقصي المنى عنا، وصارت هي العليا

٢٦ مايو ١٩٧٥

مرثية الفارس الذي رحل

طه عرفتك كوكبا وضاء
ما جئت أبكي من أضواء سماء
أنت الذي علمتنا أن الفجائع
ليس يسقيها الأبناء بكاء
أنت الذي علمتنا أن الشدائد
لا تزلزل للرجال رجاء
يا من أزحت عن العقول ظلامها
فتبرعمت أحلامنا أضواء
وهدمت أسوار الجهالة خائضا
بحر المتاعب واحتملت عناء

إني أرى رغم التباعد روحك الـ
تفتت إلينا تنقد الأخطاء
فلتقرب منا فإننا عصبية
تبادل التطيبل والإغواء
متحذلقون إذا البلاد تمزقت
لبسوا الحرير وأدمنوا الصهباء
وتنافسوا في البعد عن أدوائها
وتحولوا عن يؤسها غريباء
وتعللوا بجحيم أزمنة خلّت
وبأنهم قد أنجبوا أبناء
هم يكتبون عن الجياع سدى ويخ
صفون المطامع في الصدور رياء

أو يكتبون عن السجون تكدست
فيها الجماجم واكتست أشلاء
أو يكتبون قملقاً عن ليلة الـ
ـقَدْرِ التي تعطي العراة كساء
فلتقرب منا لأننا قد نسيـ
ـنا الفكر فاندفق الظلام وباء

هذا الكفيف الأزهري الأسمرُ
روحي تظل بنوره تتطهرُ
مَنْ علّم الكتاب أن لهم خطي
تخشى صداها طغمة تتجبر
هو من ضفاف النيل نبت شامخ
وجذوره إصرارُ من لا يُقهـر

فالفقر سجن هذَّه إصراره
وأهاب بالفقراء أن يتحرروا
أعطى الحياة وإنما أغلى الذي
أعطاه كان إباءً ممن يتفكر
كم باح بالرأي الجريء ولم يقل
إن السجون تذيب ما لا يُصهر
كم باح بالرأي الجريء وإنه
في عصرنا ما نرتجيه ويندر
أهبط إلينا من سماءك ممسكاً
بأعنة الفكر التي لا تُحصر
إننا نسير على ركاب وسواس
والكذب يسرق والزعانف تظهر

إِنَّا يُقَبِّلُ بعضنا بعضا ونعمــــ
لن حينا وبكل حفل نسهـر
ونظـل بين بشاشة وهشاشة
والحقـد ملء عروقنا يتنمر
ونظـل بالملق المعتق نرتقي
كـكـلاب صيد تُشترى وتُؤجر
ويظـل في الليل البغاة يريـهم
أن يـبذل البسطاء كي يستـمروا
فلتقرب منا وأشهر سيفك الــــ
سـامي على ليل نراه يُسمـر

يا أيها النبع السدفوق صفاء
لك في القلوب حقائق تراءى

خاصمت من خاصمت لكن الرؤى
لم تنهمر آفاقها بغضاء
أحييتُ فيك تفتح الإنسان للـ
أيام منذ رضعت أنت إباء
قلبُ تجول في القديم وما رأي
أنّ الحياة تؤله القدماء
كانوا أناساً مثلنا أخطاؤهم
أخطاء من قَبْلَ الحياة رداء
كم أخطأوا وكم ارتقوا لكنهم
نقشوا لهم عبر المدى أسماء
قلب تجول في القديم وإنما
ما أشبع الزمن الجديد عدا
كم جال في الشعر القديم منفضاً
عنه الغبار تفهما وذكاء

وأضاء للشعر الجديد طريقه
مذ أشرقَتْ أيباتِه أنداء
يا أنبل المتشككين تحية
من شاعر لم يعرف النماء
عاشرت من يتعذبون وما أشح
بِالوجه عنهم مذ عرفت رخاء
فلقد جعلت العلم شمساً أطلقت
في أفقنا العلماء والأدباء
شرف الكتابة أن نعانق عصرنا
نمشي أماماً لانهود وراء
وبمصر نزهو والتجدد نحتمي
فلقد أرانا كوكبا وضاء
١ نوفمبر ١٩٧٥

الصبا الضائع

* للقلوب التي شهدت صباها لغةً من حدائق الأنبياء، انتقت
الألفاظ التي ترتضيها، وانتقت من أحلامها باقة فيها نجوم ثرية،
نثرتها في سقاء على خطى عاشقيها.

* والقلوب التي شهدت صباها ما لها اليوم ترجم الورد بالطوب،
وتخطو - بغلظة - قرب نهر كم سقاها، وفَتَّق الخضر المعطاء، وانساب
عاشقا يصطفياها.

* أيها النهر أنت مازلت تسخو، إنما من شهدتهم قد أضاعوا
مهرجان الصبا، وصاروا قلوباً ليس فيها سوى رماد الأماني، ونعوش
لأنجمٍ أهدر القهر ضياها، فخاب من يرتجياها.

* صاح بعض الصحاب : يا قوم ناموا، واتركونا فإننا لم نعد نعشق
منذ اشترى الغريب الأراضي، ومن الغرب جاء من يبتئها.

* اتركونا.. فإننا قد غرقنا في سيول الوعود منذ شبينا، والخطى
المثقلاتُ بالعقم أبقتنا حيارى، تغلغل الوهم فينا، حيث ضاع العمر
الشقي انتظارا للرعود التي أبت أن تدوي في سماننا، لتصعق
الصمت.. آه يا حياةً تبعثرت دون جدوى.... هكذا يولد الأسى في
دماننا، والمني الراقصات تحت الرزايا هي أثوابنا التي نرتديها.

* أيها النهر أنت مازلت تسخو.. والرجال المثلثون تواروا، بعدما
أطلقوا الرصاص على أغلى الغصون التي نمت (مذ تلقيت ابتساماتها
وعشت لها) ثم استباحوا معابد الشمس مخمورين في الليل واشتروا
جوقة من بلداء الشعور، عاثت فسادا في الشطوط التي رسا البؤس
فيها.

* وحدك العاشق الذي ظل يسخو، وحدك العاشق النبيل، كأن
الناس صاروا حجارة، ليس فيها خفقات، وليس فيها انتقاد، وكأن
النمور قد داهمتنا، وعلى الأرض طرحتنا وشدتنا إليها، ومصت الدم

منا، ثم ألقننا أعظمًا تزدريها.

* فاسمحوا لي - ياسادتي - أن أبث النهر همّي، وأحتمي بخيالاني
فقد صرْتُ متعباً، والمراثي أشعلت جمره الأسي في كياني، والخفافيش
عششت في غصون كن بالأمس موعد العاشقين البسطاء، الذين كانوا
بني مصر، وكانت قلوبهم تفتديها.

٢٧ نوفمبر ١٩٧٥ هـ

البحث عن الحق الضائع

تنفست أحزان الجوع مجامرا
فقلت لقلبي لا أريدك شاعراً
أريدك خبزاً في يد الجائع الذي
تمرغ في طين المذلة صاغراً
فلا خير في الدنيا إذا أنت فتها
لأنياب أغوال أجلّوا العواهرا
هم المفرقون الناس في الليل بالمتى
وهم مُدَّعو حبيب يفيض بشائرا
ولكنهم يخفون خلف ظهورهم
مكامن ليلات صقلن خناجرا
«أبني لك البدر الذي لا تريده»
وأخفين بدرا عشت تهواه ساهرا

ألا أيها القلب الشقي بما ترى
تطلّع فإن الكون أمسى محاذرا
فما الناس إلا بعض أحجار معبد
وكم شيد الكهان منها المقابرا
فأيمنهم لص تطاول باسطاً
يديه على أرض الجيع محاصرا
وقال لهم : عيشوا معي يا أحبتي
فإني غنى عنكم وما كنت كافرا
هو الدين يهدي كل نفس مريضة
يوئلفنا عشقا يزيد الأوصرا
وداس على الأرض الذبيحة يتني
عليها ملاهي الليل ماشاء سافرا

فزاد الأجباء الجياع قيودهم
بأخرى لكي يُثري الذي جاء طاهرا
أهذا هو الحب الذي ترتدونه
وكيف تحب الشاة ذئبا مناورا
وأوسط كهان الحقيقة موكل
بزرع الليالي - كل فصل - عساكرا
يقول : توسطننا لنغمر درينا
من الغرب زينات تشع جواهرها
ونمضي إلى الشرق المعمر نمططي
حصان اشتراكي «تمنجل» ثائرا
وأيسرهم يحيا حياة منعّم
يعيش على ذل الجياع مشاطرا

ويمضي إليهم متخماً متعظماً
بسيارة غريبة النسج طائرا
ويشعل سيجاراً يوجهه تبغ
إلى رأس خصم يلتقيه عاورا
على أنسي ألقى وجوه رفاقه
من الطيين النفس هاجت مشاعرا
قلوب مع الإنسان تحضن عصره
بإشراق أفكار تضيء مناثرا

.....
أقول لقلبي والغيوم على مصر تُغشي الخواطر
هو النيل يسقيني من الحب دوماً ثم يضحك ساثرا
ويسقي عروق الأرض بالخصب حتى تستفيق نواضرا
هو النيل يغري من يروح مهاجراً

فيرجع شاكرا
إلى الأرض يحيا في ثرى مصر زاهرا
هو النيل يسقي إنما كن مثايرا
ألست ترى أن «العصا في يد الأعمى يروم بها هديا»
فتعطيه ناصرا

«أبر له من كل خدن» يزين اللؤم منه النواظرا
«وإن غير الإثم الوجوه فما ترى»
على الأرض إلا قلب وحش يراه الناس كالزور غادرا
هو النيل يا قلبي...
فحرك جناحيك انطلاقا لحقي...

تحتويه مناصرا

٢٣ أبريل ١٩٧٦

لست ضد الدين

لست ضد الدين لكن الظلال الخائفة
علمتني منذ أن كانت سمائي رائقة
أن نور الدين يجبو إن تغشته الخرافه
بأباطيل لكهان يريدون انحرافه
كي يلموا المال بالزور ويحموا سارقه
بفتاوى تحجب الحق وتُسي خالفه

لست ضد الدين لكن وجوه البائسين
أورثتني نقمة حمراء تجتاح الذاين
عللوا الناس بصبر صار مفتاح المذله
أنهم في جنّة تحوي السماوات المطله
سوف يحيمون حياة السوجهاء المترفين
إن اضاعوا العمر يحيمون حياة الزاهدين

لست ضد الدين لكن انطلاق الحب دين
فلنشيّد جنة في الأرض نسقي الظامئين
بأذرين الأرض قمحا جاعلين الناس إخوة
ولنعمر جنة الأرض بإصرار وقوة
يتساوى الناس في الميلاد والموت المهين
فلماذا قلّة تنعم دون الآخرين؟!

لست ضد الدين لكن بشكوكي جئت حائر
فأنا أفقّ بلا حد وأشواق تغامر
جئت مثل الناس أسعى في متاهات الزمان
باحثا عن خطوة أخرى لإيقاع الأمان
إن يكن هذا مصيري شأن محتومي المصائر
فلماذا إن أنا جئت لأحيا قيل : كافر؟!

٢٦ مايو ١٩٧٦

صرخات المقتولين القتلة

﴿ أجب أحديكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾
«قرآن كريم»

صفحة بيضاء جاءت كل روح وافده
فلماذا سودتها همهمات المغرضين؟!
هكذا سقت منا، والذي كان نبيلاً لم يعد بعد نبيلاً فالمياه الراكدة
تنشع اليوم مع الطين على كل انطلاقات العقول المارده
آه يا عصر التواييت لماذا نحن نحيا ميتين!
فعلنا أن نشرب الشاي على المقهى ونطوي ماعنانا محبطين
أو نلف الحزن في التبغ ونشكو لكثوس الوهم فوق المائدة
أو نلاقي من يثرثر
بأحاديث عجاف ونكات شارده
كلها تكشف أنقاضا وترجو أن تغير!!

ها هي الأرض بساط سندسي تحت أقدام البغايا وكلاب الأثرياء
المتخمين

والخفافيش ينادي بعضها بعضها وتلهو في الوكور الحاقده
والجواسيس يصلون على أرواح أغلى الشهداء الضائعين
ويلمون جنيهاً لأيتام رعتهم ليلة القدر ومتهماً بدينها وأعداء
وعلى الأرض ظلال لصقور تنهش الحق وتمتص الدماء
من ضحايا تعساء

أرهقتهم حفر الجوع فزأوا في زوايا الطرقات المعتمه
يعشقون القتل - في غل - إذا لم يقنع الجائع منهم إن رأي الموتى
بأشهى جمجمه

إنهم يستقبحون اللحم - لحم الميت - لكن ماتراهم يفعلون؟!
جوعهم يشفع - يارب - لهم .. أو فلتقدم لمتاهات الجنون!!

أنت يا أمي الجريحه

تسكنين الطابق السفلي من بيت تعيس أسلمت جدرانها الروح
وشقتها الزوابع

وعلى الباب كتابات لأرباب المنافع
وذئاب أطلقتها شهوة القتل فخفت للميادين الفسيحة
تتبارى في العواء
وتطيل الحمد للعدس الأباطي « لتحيي شعراء بلداء
أنخموا الأحشاء واصطفوا سكارى في يمين الشارع المكسوطينا
يتباهون بطين
زاعمين الطين شمساً والمتاهات فراديس ليطفوا فوق أمواج الضلال
السائده

صاح قلبي مذرأهم: صفحة بيضاء جاءت كل روح وافده
فلماذا سودتها همهمات المفرضين؟!

٢٦ مايو ١٩٧٦

مأدبة دموع مع أكتوبر

*** أكتوبر الشعب الذي أعطى بغير مزايدات، وارتمى في النار
يرفع جبهة الإنسان في أرض العروبة، نافضاً طين المذلة في سنين
النكسة الغبراء، محتدم الكرامة، رافضاً صور التواكل والتخاذل
والجمود.

* أحبابنا الفقراء والبسطاء راحوا يرفعون الراية العربية الخفقات،
والمصرية اللمسات، مندفعين - رغم قنابل المتنمرين الأثرياء وعصبة
اللؤماء - فوق رمالك العطشانة القسايات، والمأسورة الذرات ياسيناء..
كي يسترجعوا الأرض الحبيبة، زارعين على جبين الدهر في قلب المدى
الآتي لهم أعلى الورود.

* الله يا أعلى الورود تفتحي، فقلوبنا ظلت تناديك اشتياقا
صابرا، ودماؤنا كم «بسملت» وسقتك مذ عطشت غصونك، حيث
أطلقنا منانا، وانطلقنا في طريق ليس فيه سوى الجهاجم والحجارة

والترصد في الظلام..... ورغم هذا تترجحي أرواحنا لو أننا نبقى بأردية
الجنود ، ولانعود إلى الضفاف الأمانات تريحنا، إلا إذا طلع الصباح وقد
توافدت الوعود.

* الراية العربية ارتفعت تقول : الله أكبر يا عروبة، نعب الأزمات
خائفة وضارية، وتعلو مصر شائخة وباسمة، كما كانت على مر العصور
المفلتات من الزمان، ونقهر البؤس الذي اجتاحت المحبة بعد أن ناش
القلوب، مهددا بمخالب الفقر العريق ضفاف أحلام الجياع النائمين
على الحصى، والسائرين على دروب القهر حيث تشدهم أهواء قطاع
الطريق إلى السجود لهم على أرض الجدد.

الراية ارتفعت هنا.

لكنهم واحسرتاه

خدشوا الأخوة بيننا

وتقاذفوا كدر المياه

* هذا الذي يتساومون عليه عبر فتادق المدن البعيدة، في ضباب
 انهمهمات الخائنات، وفي مهاوي الغش والجوع المشبع بالتآمر ... آه ...
 حيث تفوح رائحة الخمر ويرشف الزعماء من أبناء يعرب عازهم، إذ
 يخطبون امام جمهرة الشعوب، ويهددون ويعلنون بأنهم لن يهدأوا إلا إذا
 ارتحل اليهود، وفي أقاصي الأرض يستيقنون في جشع اللصوص،
 ويرفعون كؤوسهم في نخب إسرائيل، كي يستجلبوا مزقا مفتة تطوحها
 يد الأعداء، ثم يفاخرون بأنهم قد حرروا الأرض السليية.

* هذا الذي يتساومون عليه ... آه ... هو الدم العربي سأل يظهر
 الأرض السليية راضيا، ويقرب الحلم البعيد بأن تُفك ديارنا من
 أسرها، ليعود إشراق الوجوه إلى الحياة، مهللاً للقاء دنيا ينعم الأطفال
 من أبنائنا بالحب في أرجائها، سعداء مبتسمين في وهج المصانع أو على
 خُضر المزارع، حيث يحيون الحياة عدالة وتحررا ونضارة في ظل آمال

رحيبه.

رمضان ما ولي من الأعماقِ
إن كان قد ولي من الآفاقِ
فدع المقامر خدروه بعظمة
«مشتاقه تسعى إلى مشتاق»

* اللعبة انكشفت، فهم يتساومون مع اليهود على الحدود، ولن
ينالوا مغنما زرعوه في أوهامهم، وسيخسرون ويخرسون لأنهم عبثوا
بأقدار الشعوب، وراوغوا، وتهالكوا - رغم المدى الدامي - على أغبى
مجالس أنسهم، وستر كل الأجيال سيرتهم، وتلعنهم أجنة عالم آت ...
يريد الحب - لا الأحقاد - للإنسان في الدنيا القريبه.

يا ويلنا مما نـراه
أكتوبر الغالي يلوح
بالحسرة اشتبكت خطاه
وبروحته تعوي الجروح

* جاءوا يذيقون الفدائيين مالم يستطع مكر العدو بأن يذيق.
فويلهم!... إذ يحسبون بأنهم أبطال أمتنا المهتمة الحوائط، والمهددة
الخزائن.

«عيد بأية حال عدت يا عيد»
بما زهى أم بقتل فيه تهويد
أبناء يعرب في أرض بها اقتتلوا
واجتاح من عاش يا بيروت تشريد
* يا أرض لا تتخاذلي رغم العناء من السهاد، ومن مجازر من أتوا
كي يقطعوا من لحمك العربي عرق الحب... إن الحب باق.. رغم
ما يطفو على هذا الخضم من الغضب.
* ولتأت يا أكتوبر الغالي.. لتلقى أمة العرب التفتت، وتوحد
الحشد الكبير يسير في أرض العروبة، ينبت الآمال، رغم الصخر
والتربصين بما تحفقه الشعوب.. بلا حُطَب.

٦ سبتمبر ١٩٧٦

قصائد عاشقة

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٧٤

أراك

أراك بقلب مشمس النبض يهواك
وأصحب أحلامي معي عند لقاءك
وأهفو لمراك
كأن ملاك الشَّعرِ شاقته دنياك
فما شقَّ قلبي في صباي بحار الحب إلا وناداك
ولا مسَّ أيامي ربيع تُنذيه المحبة لولاك
طريقي إلى الأحلام حبي وعيناك
وإني وإن طال المدى لست أنساك

«٤ نوفمبر ١٩٧٤»

أغنية للحب

لا تنتظري مني أن أرسم وجهك في كلمات الشعر
أو في غرف الأحلام إذا فتحت في الليل
لا تنتظري مني هذا.. فغير الفل
قهرة الأيام الحبلى بظلام القهر

كلمات الشعر إذا رسمت وجهاً صار الوجه رموزاً
دوماً تخفيه
في أفتنة متحذقة لا يعرفها إلا الشعراء
غرف الأحلام إذا آوت حباً صار الحب كنوزاً
لكن في التيه
ولذا لا يعرفها البسطاء
وأنا لا أبغي أن يولد حبي في أقبية براقه

يتسكع في بوابتها الشكُّ الأعمى
يطلق سهماً
ينفذ في أحشاء الصدق.. فيطمس إشراقه
لكني أبغي أن نتصارح
حتى يولد حبي فوق الأرض الصليه
يولد صلباً في وجه العالم.. يفتح للدنيا قلبه
وقتئذ نملك أن نتسامح



قالت : «واصلُ بالحب غناءك.. فالدنيا من غير غناء
تبدو جبلاً جهنم القسمات
والناس حجارته الصماء
ياحبي.. ما أقسى أن ترتطم الأحجار سدى والأرض موات»



حبي.. يا كتر لا يفنى أو يتبدد
يا كل وجوه الأطفال بهذا العالم تتجمع في وجه قدسي
إني أبغي أن أسكنك القلب المجهد
لكن أخشى أن تتعذب عينك بما يحويه من الهم الأرضي
قلبي يفتت من أجل الأطفال الجوعى في هذا الكوكب
قلبي ينضح ضيقاً ومراره
حين يواجه ناساً شادوا للبغض مناره
حين يواجه ناساً يتسلق أقواهم أكتاف أخيه إلى مأرب
حين يواجه ناساً صاروا بالصمت حجاره
قلبي يفتت.. يا حبي.. هل من مهرب؟!

عينك سمائي المبتسمه
آه.. لو تبعد عمري عن أحجار الأرض المختصمه

أرجع طفلاً أحبر في قبتها.. وأنادي
«أمي.. حبي نمر أخضر
يتفتح فوق حقول الوادي
يتفتح يا أمي.. يتفتح.. والدنيا معه تسهر...»
... ويرفرف قلبي كالعصفور المبتل
بندى الطلّ



آه... سقط العصفور جريحاً
جرحته الأحجار الحاقدة، وكان فراغ الأفق فسيحاً
لكنّ يديك الطيبتين تلقفتاه.. وفي حب وحنو
أمسكَ بهما.. ولذا طاب الجرح ولم يبق سوى أن ندنو أيّ دنو

١٦ يونيو ١٩٧١

البنر والظما

أَنْ أَسْعِدَ لَكِنْ لَا أَسْعِدُ أَوْ أَعْشَقَ لَكِنْ لَا أَعْشَقُ

يبدو هذا قَدْرِي دوماً

أَرْقُبُ أمواجَ العمر تفتتها الصخرة يوماً.. يوماً

وأنا أعدو.. ألهثُ.. أبحثُ عَلَيَّ أَكْشَفُ بئراً مغلقاً

يضحك فيه الماء الرقراق

لكن عبثاً أتغلغل في كشف الأعماق

حين انبثق الحلم المقمر.. رוחي غنت حتى طربت

صوت الحلم الفضي نَفَّخَ

لكن الزمنَ الجهمَ تَقَيَّحَ

أعماق الأرض وقد شربت كأس الظلمة حتى تعبت

أغرث قلبك أن يُنصت لكن لا يُنشد

أغرّت روحك أن تسعدَ لكن لا تُسعدَ
ولذا سقطت كلماتك في شركِ الظلمات
حين بعدت قليلاً عني
كلماتك كانت تراءى موسيقى رائعة القسَمات
كنت تجيدين التمثيل، وكان الحب يُكذِّبُ ظنّي

حين بعدت قليلاً عني أطرقت طويلاً
كي تتزعي - من أضلاعي - قلبي المغرم
وتجولت... تجولت خلال البعدِ هنا وهناك طويلاً
كي تتزعي أفئدةً أخرى.. لا تعلم
أني لك - وحدك - كم غنيتُ
وبأني - حين بعدت - بكيتُ

لا بأس على العشاق .. ولا بأس عليّ
ما دمت بخير
لكنني أطمع أن تدعي قلبي .. ذلك أن لديّ
أحزاناً أخرى تنشد في المأوى بعد عناء السير
أفلا يكفي أن القلب تنأهشه الطير
أفلا يكفي أحزانُ الناس تعشش دوماً في عينيّ

قولي كلمةً صدقي مرّه
فأنا أظمأ للصدق كما تظمأ عيني حين تراكِ
وأنا أظمأ للصدق كما تظمأ زهره
للطلل .. وبعض الأشياءِ
قولي كلمةً صدقي مرّه

نجديني إنساناً نضراً صافي النظرات
يكشف هذا البئر المغلق

يسبر غوره

وَقَتْلُ أَعْدُو كِي أَنْقَذَ كَلِمَاتِكَ مِنْ شَرِّ الظُّلُمَاتِ
وأحس بأني لستُ الإنسانَ المرهق
مهما تكن الأحزانُ ثقيله
مهما تكن الأيامُ بخيله

٢٨ يوليو ١٩٧١

لم أحبتك ؟

أَسْأَلُ نَفْسِي أَحْيَاناً - وَالزَّمَنَ الْبَاقِي
مَنْ عَمَرِي يَمُرُّ .. وَالشَّجَرَهُ
تَتَأْكُلُ .. وَالرُّوحُ النَّضْرَهُ
رَغْمَ الْوَحْشَةِ تَسْكُبُ نُوراً فِي أَعْمَاقِي -
أَسْأَلُ نَفْسِي : « لَمْ أَحْبَبْتُكَ حِينَ عَرَفْتُكَ
لَمْ أَحْبَبْتُكَ ؟
وَلِمَاذَا اسْتَمَهَلْتُ دَوْماً أَيَّامِي الْآنَ
وَأَجَاهِدُ أَنْ أُنْسِيَ مَا كَانَ ؟ »



أَسْأَلُ نَفْسِي حَتَّى أَتَارَجِحَ فِي حَبْلِ سَوَالِي زَمَناً
أَتَارَجِحُ إِذَا أَرَهَقَ نَفْسِي .. رَوْحاً .. بَدَناً
وَأَعُودُ بَغِيرَ جَوَابٍ إِذَا أَتَأَمَّلُ وَجْهَكَ مَبْهُوراً
أَتَأَمَّلُ وَجْهَكَ .. وَالْفَرَحَةُ تَوْلَدُ تَغْمُرُ نَهْرَ حَيَاتِي

فأغني للزمن الآتي
وأحسّ العالمَ منموراً بالحُب، ومكسواً نوراً

قَبْلِكَ كانت لغتي مَرَاهُ
متآكلة.. ينضح من صفحتها بؤسي
متصدعة.. تنعكس عليها أيامي.. أبصر نفسي
في صفحتها.. أبصر وجهاً معروفاً يخذلني مَرَاهُ
أبصر أكدارَ الخوف وأحجارَ اليأس
تسقط في مستنقع عمري.. وتحدّ مداه
قبلك.. قلبي هذا كيف التفت في شرنقةٍ دنياه
تتظر شروقك يا شمسي..!

هذا ما كان
أقسم بالنور وبالعتمه - قبلك حقاً - هذا ما كان

حقاً.. إني أحببتُ مراراً
وعرفتُ الحب - النور، عرفتُ الحب - الموت ، نعتُ ، صحتُ
وشربتُ الوحشةَ من كأس الزمن المصدور وعشتُ مُثَاراً
وعلى إيقاع النار رقصتُ
دُللتُ مراراً
وَلَعِنْتُ مراراً
لكلّني لم أعرف أبداً طعم الحب وطعم الوحشة
لم أَلْسُ عِزْقَ النار وصفو التدليل وخفق الرقصات
لم نعبأ روعي باللعنات
لم تدركني هذى العرشه
أبداً .. إلا حين عرفتكَ
ولذا أسأل ماذا لو أني ضيعتكَ؟!



ماذا لو أني ضيعتكَ؟

يسقط قلبي في هاوية الأوهام بلا شفقة
ماذا لو أني ضيَعْتُكَ ؟
تتجمع في الليل القاسي صفحاتُ الماضي المحترقة
تشكل في هيئة أفعى تلتف على روعي القلقه
ماذا لو أني ضيَعْتُكَ ؟
وفتدٍ لن أتمنى إلا أن يجرفَ عمري الطوفان
أقسم بالحب وبالأحزان

أكثرَ من هذا - يا حبي - لن أتكلم
حسبي أني إذ أتألم
أجلس وحدي ممتلئاً بالوحشة والنار
مختنقاً بالحب... وباللهفة.. والأشعار
أجلس وحدي
أتخيل أن العالم - من حولي - ينهار

أن الریح الممرورة تشرع في طردي
لتباعد بين خطاك وخطوي.. والأسوار
تفصلنا.. والقلب الثرثار
يجثو بين الخفقة والخفقة يستجدي
يشهد جبي للناس كما يشهد زهدي
فيهم.. وحنيني للبحر.. ويوم الإبحار
وكما يشهد هذا يشهد أيضاً شهدي
وأراه على الأبواب يدق .. يدق لكبي يُفشي الأسرار

أكثر من هذا - يا حبي - لن أتكلم
حسبي أني إذ أتألم
أسأل نفسي: «لم أحيتك حين عرفتك؟
لم أحيتك؟»

٢٦ أكتوبر ١٩٧١م

الحب والباب المغلق

أبكي حيناً في تجوالي
حين أرى الناس تسير حزاني في الطرقات
وكان الناس مرايا للزمن المشنوقٍ بحبلي من زيف الكلمات
أبكي حيناً آخر من وطأة أغلالي
أبكي من سعبي المنهك في الأرض الخضراء بلا جدوى
وبلا مأوى
أبكي حين أعود لأحلامي
- أعني حين أعود برغمي لكوابيسي الراححة على صدري المرهق -
فأرى جسد الزمن الآتي يتدلى من مشنقة كبار عباد الله
وأراي أعدو.. لكن تتعثر أقدامي
تتعثر في فخ أحق
فخ يتصور أني لن أنهض ثانية.. وأسير إلى من أهواه

.... مَنْ أَحَشَقْه دوما يدري أَنِي يوماً ما سأوافيه
أَنِي يوماً ما سأناديه
باسم حلوي لا يعرفه أحد غيري
مَنْ أَحَشَقْه دوماً يدري...
لكنني أبكي إذ أتساءل: «هل يأتينا هذا اليوم؟
ومتى يأتي.. حتى يصعق أسراب الهم؟!»
أبكي حيناً في تجوالي.. أبكي حين أعود لأحلامي
تبكي جنبتي زهرة أيامي
تبكي.....
وأنا معها.....
أبكي.....
يبكي معنا بعض الشعراء



أما من يجعلني أبكي - حقاً - فَهُمُ الأطفال

ذلك أني أتبع من ألقوا بالبقع السوداء.. على وجه طفولتي .
البيضاء... وهُدُوا جسرَ الألفِ ما بين الأجيال
أتبع من يتدفق مما تلفظه دنياهم طوفانُ البغضاء
طوفانُ تسبح فيه الحيتانُ ، ويهوى الإنسانُ غريباً
يهوى معه ما كان رقيقاً
يهوى معه طهرُ الأطفال ولا يبقى غير العفن المتكبيء على كتف
الضوضاء

يبقى الماضي.. ويؤدُّ يثبُّ في قدم الريح الأغلال
ولهذا أبكي إذ يدرك قلبي أني أعجزُ من أن أصنع شيئاً
أعجز من أن أتحوَّل في الظلمة ضوءاً
يضحك في ساحته الأطفال



وضحكْتُ.. ضحكْتُ... ولكن لم أضحك من قلبي
بل كي أخفي الدمعَ الجاري

وتَغْنَى صَحْبِي
بالأيام الحلوة تأتي في صحبة أسعدِ أشعاري
وهنا شَمَتَ الزمنُ الضاري
ببكاء القلب المتواري
وتكدست الأيام أمامي جيفاً ملقاةً داخل صندوق قمامه
سموه الماضي
سموه بكاء سماء الروح على الأنقاض
سموه حمامه
رقدتُ حتى تشبّع موتاً في جوفِ الشعبان الأسود
ورجعتُ لأبكي - ثانية - والظلمة من حولي تتمددُ



لو لم يكن الماضي يحيا فينا دوماً لتلمسناه وأحييناه
وتهللنا طرباً عَفِناً.. وتسابقنا - شوقاً - للقاءه
لو لم يكن الماضي يحيا فينا دوماً

فلماذا يحتكم الأحياء إلى الأموات إذا كانوا حقاً أحياء؟
ولماذا يلتجئ الأطفال إلى مجلسٍ وغدٍ أعمى
يئذٍ فيهم كل الأدواء...؟!

هذا ما يجعلني أبكي.. لكنني أقسم بالأطفال
أني يوماً - سأوافي في الشمس الحلوة مَنْ أعشقه
وسنضعك مما ييكينا الآن... ومَنْ وضعوا زمناً فوق جبين
الشمس الأوحال
وسنفتح باباً عشناً - زمناً - نطرقه...

١٢ يونيو ١٩٧٣م

اللعبة المعادة

أن يجفّل جسمك مدعوراً كغزالٍ يهرب في صحراء
وتلاحقك الرغبة حتى تخلق مني وحشاً شرساً
أن تلفحك النظرات بشمس قاسية تعوى بدهاء
وتعود لتحصى أنفاسك نفساً نفساً
أن تركنا نحن الاثنين
ندرك - من سقطتنا - أنا كنا سفهاء
ندرك أنا عشنا دنساً
هذي لعبة من علّقنا بين ظلامين
ما بين ظلام الرحم وبين ظلام القبر
لعبة من أوصانا بالصبر



يا من تنقل بالخوف قصائد شاعرينا

ألهمنا أن نرضى دوماً
لا أن نسأل
ألهمنا أن ننسى الماضي
في حاضرتنا
ألهمنا أن ننسى الحاضر في المستقبل



أعرفُ أني أكسرُ بابَ الصمتِ المغلقِ
حين أغني
لكنني إذ أسأل عما يعني هذا دوماً
إذ أسأل عما يستنزفُ قلبي المرهق
إذ أجفُلُ من أن نهاري يفِلْتُ مني
إذ أجلس وحدي محزوناً ينضح هما
أسأل نفسي : هل أتقدم في أغنيتي أم أتوقف ؟

هل أقنع بالزمن اليابس أم أتأفف؟
إني أجد العالم حين أغني، المُسْ نبض الأشياء
لكن قل لي كيف أغني..؟ يتردد صوتي في الأرجاء
كيف أغني وأنا أتوقع دوماً أن يدهمني الصمت
هذي لعبة مَنْ يُبعدنا عن وهج الصوت لِنَلْقَى الموت

نَسَاقُطُ في الروح الرغبات ، ولا تخضر سوى رغبه
تتغلغل في دمننا عبر ديبب الأيام
ألهمنا يا من تتركنا نحن الأيتام
ألهمنا أن ننسى دوماً هذي اللعبة

حين تلفُ الشمسُ القاسيةُ ضفائرَها الحمراء لتستسلم للنوم
لا تتعجب حين ترائنا نتنظر الموت على مقهى

وندقُ على جمجمة اليوم
نستخرج منها أحداً يتفصد من جبهتها الهم
ندرك أننا صرنا أبأس مما كنا ، صرنا أوهى
لا تتعجب حين ترانا ندرك أنا صرنا شَطيّاتٍ لالتئم
لا تتعجب حين ترانا نحيا ، لكنْ لانترب
غبر الظلمة نغرق فيها .. لا ينقذنا أحد منها
لا تتعجب
ذلك أنا نولد كرهاً ونعود إلى الظلمة كرهاً
وسدى نضرع للوهم لكي ييزغ كوكب
الظلمة تنخرُ في دمنا الدافق .. تعلن : ما من مهرب

٨ أغسطس ١٩٧٢م

الريح والماء والحب

أعصابي الليلة معشبة قلقا مرا
والريح تخرج أفكارني في كل طريق
وسدى أبحث عن قلب صديق
يتفتح لي.. حتى أستودعه سرا
وسدى أصرخ: «يا نهر النيل
يا نهر الجوعى والخيبرى
أيامي أحملها صخرا
فترقب بي وانس الليلة مجرى التضليل
فتش لي عمن يحملها بدلا مني
فأنا قد ضقت بكل هواء أنشفه رغبا عني
بين الصمت وبين الكلمة

أُضطر إلى أن أتنفس
أُضطر إلى أن أتنفس
مادام القلب يظل يدق ويحمل أيامي الجهمه

قلنا كلمات الحب.. نعمتِ بها.. ونعمتُ بها زمنا
حين أفقنا أدركنا أنا لم نلمس عمق الكلمات
ولهذا قلناها خوفا وحشوناها كذبا فشممنها عطنا
كنا - آه - نتوهم أنا قد سرنا بعض الخطوات
لكننا أدركنا أيضا حين خرجنا عن لعبتنا
أدركنا أنا لم نقطع شبرا، صحنا: «لم يُبق لنا العالم شيئا»
وتجمدنا في موضعنا الماسخ ظلين يشيران إلى خيبتنا
حيث يلاقي كل منا الآخر، لكن لا ينتظر الآخر دفئا
حيث الرغبة تصبح عجزا من حيرتنا

والشجر يحف فلا يعطي فيثا
ويرانا العالم طفلين طريدين فيشبعنا بؤسا في غربتنا
ونرى نحن العالم سجنا رطبا يسخر من سقطتنا



قالت: «ماذا تبغي؟» وأنا - حقا - قد كنت أريد الحب
لكن الأسئلة المسنونة حين أضاعت أغنيتي في وهج النار
جعلتني أتوارى زما خلف الأسوار
ذلك أني أحسست الرعب



في الوحشة والشجن المعتم يسقط قلبي
يتفتت إذ ينضب حبي
وكما تتوعد عاصفة الغابة عصفورا مرتاعا
وكما يلذع ملح الغربة قلبا يوشك أن يتنهد

وكما تنشده المرأة المجلوة في بيت يوشك أن يتداعى
فكذلك حبي لك - في قلبي - لا.. لن يتجدد

مضت الأولى متطلعة، والثانية التحفت بالصبر
سألت نفس سؤال الأولى: «ماذا تبغي؟ بح لي بالسر»
ماذا أبغي؟؟!!

إني أحيانا لا أبغي إلا أن أتمدد
فوق الشاطئ أحلم بالناس وبالحب وبالمستقبل
أحلم أن تتلاقى كي نتواصل... أحلم أن نتوحد
أحلم أنا نصحو في فجر غد أجمل
ماذا أبغي أيضا؟.. أعرف أني غابة حزن شفاه
تتظر قدوم الريح إليها كي تقلع أشجار الشر
وتمس برفق أشجار الخير الهفهافه

ثم تنام على مقربة مني تنتظر طلوع الفجر
آه... إني أنتظر الريح وأنتظر الماء
آه.. إني أحيا بالصبر
أتجرحه.. أبغي أن تصبح أرضي خضراء
فأظل هنا صباحاً ومساءً
أنتظر الماء
لكن مياه النبع تراها عيني واقعة في الأسر
أيأسُ وقتد أم أنفءال؟
أدهى من هذا أصنعُ شيئاً أم أتجادل؟

تنتظر الريح
الماء
يتنظر الماء

الحب
والحب تئاءب في إعياء
اختلج أسي، وتوقع أن يكنسه الرعب

هذا المشهد قد يتكرر، فالثانية التحفت بالصبر
ستناديني...
ستمنيني...
وستأتي ثالثة، وستأتي رابعة، ويظل الصخر
يجثم فوق الروح الخضراء
وتلطن خضرتها البغضاء
نفس الضحكات سنطلقها، نفس الكلمات سنسمعها
لاتندهشوا..
لاتندهشوا..

إن قلتُ : «وباء الملل تسرب في ذاكرتي»

- ماذا تبغى!؟

- إني أحياناً لا أعرف ماذا أبغى!!

أحياناً أصرخ: يا الله

لم لا يُسَدِّم

هذا العالم..؟ ليقوم سواه

يتكىء على صدري قلق لا يتبدد.. قلق مبهم

ذلك أنا نعشق كوناً أورثنا السوء

كوناً موبوء...»

١٩ يوليو ١٩٧٢م

حين أكون مبعدا

أراك يا أميرتي تعنفين الوردة التي تبوح في الحديقة
بعطرها وسرها
أراك تنكرين أن تزهو بوقع سحرها
أغنية الحب الطليقة
أراك تهجرين دنيانا لكي ترحلي - فريضة - لغيرها
وتوصدين فجأة أبواب روحك الصديقة
وتركينني على الأبواب، والريح الصديقة
ترجمني بجمرها

- ماذا يضير الوردة النقية التي تبوح!
ماذا يضير الأغنية

لو أنها بسحرها مست سكون الأوديه
لو أنها مرت مع الهواء من روح لروح؟!
- ماذا يضير لو ظللت أنت صامتا
يا أيها الثرثار؟
صديقك الحميم حين بحث بالأسرار
قد بات شامتا
والوردة النقية التي تبوح بالعبير
يقطفها الأشرار
وهذه الأغنية المزهوة التي تطير
تسمعها الأحجار
آه.. متى نهرب من عالمنا القاسي المرير؟!
يا ويلنا - يا صاحبي - من سجنه يا ويلنا من هذه الأسوار
- لنبق يا أميري مهما تكن مرارة اليوم الذي نحياه

لنبق في عالمنا مهما تكن طقوسه منخورة مكروره
لنبق ولنجعل من الحب هنا.. أسطوره
تنقلها الأفواه
من زمن لزمن ومن جيل لجيل
حيثما نولد من جديد.. نستحيل
أغنيين عذبتين
ووردتين حلوتين
فالحب يا أميري أن نعشق العالم لا أن نوصد الأبواب
الحب يا أميري أن يدخل الناس إلى عالمنا.. أحباب



تشرذمني برهةً أميري.. ساحرتي القريبة البعيده
تشرذمني برهة.. تتركني وحدي
تبعد عن عالمنا.. تبحث بالأخيلة الرائقة السعيده

عن عالم أجمل من عالمنا قد صيغ من نور ومن وردٍ
يقول لي شرودها: لابد أن نهرب يا شاعر من عالمنا
فهذه الكوارث، الزلازل، الحروب والأحقاد والخطايا
أحسها مرايا

تهمشت وانغrust في دمنا شظايا
عالمنا نحلم أن نزيح عن كاهله الأشرار والقيودا
عالمنا نحلم أن تفلحه، تأمل أن تزرعه ورودا
تهْدِي إلى أطفاله
عالمنا تأمل أن تشهده ودودا

لكنها هيهات
فابكِ على أطلاله
واسقطْ على أوحاله
اسقط ودعني أرتحل - نقيّة - فالوقت فات

لاتدعيني مفردا
ولنبق هاهنا معا فالخوف كم يقهرني حين أكون مبعدا
حين أكون مبعدا.. رائحة الخوف تفوح والمساء يقبلُ
محملا بالسحب الجوفاء.. والوهم.. وما لا أشتهيه
ورغم ما أحمله هنا وما قد أحملُ
أقول في ضراعة : عالمنا لست أرى له - أميري - شبيه
وهل هناك أجمل
من عالم ألقاك فيه؟
حين أكون مبعدا أصحو مع الفجر على مشاجرات الديكة
تصحو معي الأعباء
أسأل حائرا إلى متى تظل الحركة
مربكة مرتبكة
في زحمة الشوارع الكاذبة الأسماء

وفجأة أغوص في لزوجة الأشياء

لاتدعيني مفردا

ولنبق هنا معا فالخوف كم يقهرني حين أكون مبعدا

لا .. لن أكون مبعدا.. ورغم ما أحمله هنا وما قد أحملُ

أقول في قناعة : عالمنا لست أرى له شبيه

وهل هناك أجملُ

من عالم ألقاك فيه!؟

٢٧ نوفمبر ١٩٧١م

نداء الحب

* أناديك حين تشق محاريث هذا الزمان خطوط الهوان على الأوجه
الشاحبات، وتهذر عاصفة في الصميم.

* أناديك حين أتوه خلال شرايين هذا الزحام الملطخ بالعابرين من
الخائفين وبالحائضين - برغم توهج شمس الظهيرة - مستنقعات
الرؤى الباليات، أناديك حين أتوه، وتترك سود الظلال من البصمات
على القلب ما تترك النار في قلب غصن هشيم.

* أناديك شمساً تطل على أغنياقي، فتورق فيها الغصون وتفتح فيها
الورود حقائبها المترفات التي لانراها، فأسعى إليها.. أشم - بروحي -
خلال الهواء المندى شذاها.. شذني برتقال حقول بلادي.. وأسعى..
وأسعى إلى أن تنور حياتي إلى أفق شاعري الملامح والنسمات، ترفرف
فيه بأجنحة زاهيات بريش الحمام وريش الخيال... وتشرد روحي

بعيداً... وتشرّد... تشرّد حتى تلامس ذرات هذا الفضاء الحميم.

* أناديك حين أحس بوحشة روح تجوب الفضاء الحميم بغير أليف،
والمس في روعة البحر وقت الغروب نقاء حديثك حين تطل العبارات
من شفّيتك، فيسري الدهول بأطهر أرجاء نفسي، وأمضي لأرسم سمة
وجهك عبر الهواء وعبر شوارع أحببتها منذ عهد الطفولة حتى شببت،
وفي آخر الليل تشرق روحك بين قلوب الأحبة حين يصير الحديث عن
الحب أغنية عذبة تستعاد مراراً، وأعرف أنك لاتعرفين سوى أنني
شاعر عابر في طريقك، يهوي الغناء بقربك، لكنني لسْتُ هذا الذي
تعرفين، فحبي عميق الجذور... كحب النباتات للأرض لكنه صامتٌ
لا يسبح، وحين يحن إليك، ويسعى للقياك يهتز خوفاً عليك ومنك،
يخاف من الذكريات الخبيثة أن تستبيح مسالكه الهائتات، وأن تتلوى
الأفاعي بتلك المسالك حتى تعض بأنيابها اللزجات جذور النبات،
لهذا يخاف عليك ومنك، فيكتنم عنك جنوني، ويكتنم عنك انتظاري،

ويكتم عنك التلهف، يكتم عنك حنيني العظيم.

* تغربت يوما، فشعرا، فعاما، ومررت سنون وطال انتظاري، فعللت نفسي بأنّي سوف ألاقيك مهما بطل بي انتظار السنين بكل المحطات حيث انطلقت أفتش عنك بكل اللغات، ورحلت أسائل عنك ضمير الرياح ولمسة شمس الصباح، وكبوة تاريخنا في عهود الخمود، وصحوته المستكنة خلف المخاض وأوجاعه القاسيات، ورحلت أسائل عنك رؤي الشعراء، وكتاب عصر الظلام، وكتاب عصر الضياء، ولما احترقت سألتك في الوهم سرا : «أتأتين يوما ولو في المنام، تمسين أوتار روحي، وتطوين صفحة هجر طويل بصفحة عشق جميل، أطيل التمعن فيها، لعلّي أزيح بها عقم كل سنين البعاد، وأنسى بها ما احتملت خلال انتظاري الأليم؟!»

* يقولون عنك الكثير وعني الكثير ، وماذا يهم...؟ فإن شئت الأكاذيب كم يستبد بكل القلوب التي لاتحب ، وكل النفوس التي تستحيل

خرابا ، فتلبس في كل يوم قناعاً ، يتيح لها أن تغير أثوابها الفاضحات ، بحيث يصير الغريم صديقا تلاقيه بالقبلات ، وَيُطوى الصديق القديم - وقد كان قبل من الأصفياء - ويصبح حين تدار الأحاديث عنه العدو الذميم.

* يقولون عنك الكثير ، وعني الكثير ، وماذا بهم...؟! فلإني أحبك في كل يوم يهل وفي كل قلب يحب ، وفي كل يوم يهل ينور حبي ويكبر.. يكبر .. حتى يضيق بأضلاع صدري، ولكنني يارقيقة روعي أحبك في السر خوف شتاء الأكاذيب ، خوف القلوب التي لا تحب وخوف النفوس التي تستحيل خرابا ، وأسأل كل صحابي إذا ما التقينا : «أحقا إذا ما تملك أعماقنا الخوف لا نعرف الحب إلا من الشعراء الذين يغنون رغم الظلام ، وتبقى النفوس المريضة تستنشق الحقد سلا ، ويصبح هذا الفراغ المراوغ وحشا من النار يلتهم الأمن حتى تطل علينا وجوه الطغاة تسد طريق الخلاص، وتخرس أصواتنا في مجاهل كل شتاء

عقيم؟!..

* يقولون عنك الكثير ، وعني الكثير ، وماذا يهم..؟!.. فحين يصير
الزمان زمانا، ونعرف أن المحبة فردوسنا المستكن بأعماق كل النفوس ،
سأهتف: « يانور عيني أطلي بأنفاسك المسكرات ، وخطواتك
الوائقات، وسيرى بقربي مع السائرين بأرض المحبة ، حيث النهار
يُفتَح فينا براعم ورد ، ويبعد عنا رماد الأساطير ، يبعد عنا ظلال
النفوس المريضة ، يبعد عنا وجوه الطغاة . فأهتف يانور عيني ...
أحبك .. يا شمس عمري .. أحبك .. يا صفو روحي ، ووجه سمائي
التي لاتغيم.

١٣ مارس ١٩٧٤م

حكاية العاشق الذي انتظر ألف سنة

* خلال دقائق أدمنت فيها التطلع نحوك أحسست أنني أعرف عنك الكثير، وأنا خلقنا لتبقى معاً وسط هول الزحام الجموح ، لتنعم ليلاً بنا بالرقاد الهنيء ، وتنعم أيماننا الباقيات بطعم الأمان الذي تشتت به ، وبالحلم حين نلاقه بعد التشرذع عبر سراديب هذا الزمان المسافر .

* خلال دقائق أحسست أنا اثتلفنا خطانا تقول بأننا اثتلفنا .. وأنغام ضحكاتنا الرائقات تقول .. وكل الصحاب الذين رأونا يقولون إنا اثتلفنا .. وصوتك وهو يدندن قربي ويهمس : « قل لي قصائد حب تُغنى .. » يقول بأننا اثتلفنا .. وحتى الهواء المليء برائحة البحر والأغنيات يقول .. ونحن - بلا كلمات - نقول بأننا اثتلفنا ، ولا بد من أن نغامر .

* خلال دقائق أحسست أنك أنت المثال الذي أرتجيه وأنتك أنت الصفاء الذي أبتغيه ، ومهما يكن من مصير لهذا الغرام فإني سامضي إلى

متناه ، وأهتف بالعقل : دعني وبالزيف أن يغرب الآن عني ، وإن
 قيل : «كاد يجن» ففخري الذي لن ينالوه أي من الحب كدت أجن ،
 وحين أبارح هذي الديار سأترك للعقلاء تفحص حالة قلبي وعزيق
 أوصال سري ، وأمضي إلى صخرة في الظلام تبيتها من خلال الضياء
 الشفيف .. ضياء الكواكب .. حيث أراك ، ويحلو لقلبي لقاء ..
 ألسيت التي أسكرتني بحيث نسيت وجود الوجود؟! .. ألسيت التي
 أيقظتني بحيث صحت وقلبي يذوب هوى لاحتضان الوجود؟! ..
 وليس غريبا عليك تفجر تلك العذوبة في شفتيك ، فإنك حين انبثقت
 انبثقت من الزبد الأبيض المستكن بأعماق موج البحار النقية رغم
 الثقل فوق الشطوط ، طلعت إلى الشط شادية بالغناء تصب عليك
 النجوم كنوس الضياء ، ومن قطرات الضياء تفتح جسمك غصنا بهي
 الجمال ، رقيق التثني ، يغني ، ويفتح نافذة للتغني بأوراقه النضرات
 وأزهاره الخجالات ، وكان على لكي ألتقي بالمثل الذي أرتجيه تجاوز
 أرض المخاوف ، كان على لكي نلتقي أن أحب خطاي إليك ، وأقبل

خوض المخاطر.

* خلال دقائق أحسست أن الحياة انتظار لحلم رقيق الخطى ، قد يطل
علينا بأنفاسه العطرات ، وقد لا يطل ، فنبقى نسير ، ونبحث عبر
متاهاتها الملعزات ، لعل رؤاه البهية تمنحنا علينا .. ويأتي إلينا .. وكان
انتظاري ثقيلًا بغير حدود ، ولكن وجهك كان ينور قلبي ، فيبعد سود
الخواطر.

كأنني انتظرتك ألف سنة

وهيأت نفسي للقاء في الحلم : قبلت وجهك ..

أدمنت صوتك ..

ناجيت روحك ..

قبل اللقاء بألف سنة

ورحت أجوب عوالم شتى ، وتسعى وراء خيالك خطوتي

الشارده

ولما هوى العمر تحت سياط المغيب ، ولم تبق فيه سوى ليلة
واحدة

لقيتك فيها ... وكنت تشفين حبا وأنت تخفين نحوي .. وقلبي عصفورُ
شوقي يخف إليك طليقا وبالحب عانق طير المنى موطنه
وكان لقاء شفيف الملامح يعدل عندي ألف سنة

* كأنك كنز خفي تمثلته في الخيال بعيد المنال ، ورحت أفتش عنه بكل
توهج عمري وكل تدفق فكري وشعري ، ومن أجل هذا قطعت
المسافات تلو المسافات عبر الصحاري وعبر صخور الجبال .

* وعبر الصحاري وعبر صخور الجبال عرفت عذارى وأحبتهن ..
وحين أفقتُ ، وأشرقت الشمس تعلن قرب التقائي بوجهك أنكرتهن ..
فما كان حبي لمن احتراقا ، ولكنه الخوف من وحشة الروح واليأس من
أن تلوح لعيني رؤاك .. ألسْتُ أحس بأنك أنت المثال البعيد المنال ؟
* عطشتُ طويلا وأدميت رجلي حتى تراءت لعيني لآلىء كنزك حيث

غفوت قليلا ، ولما صحوْتُ وجدت رجالا يحيطون بالكنتز زورا ، وقد
سيجوه بسور غليظ الحجارة لا يرحم المتعين من العاشقين - كما البحر
- هل يرحم البحر حمى التعطش بعد التشرد ؟ يا كتر عمري .. لماذا
يجود الزمان بدفقة حب ، وفي لحظات يشتها في شعاب الجبال
البعيدة ؟

يا كتر عمري .. تعالي نشق معا بالأكف الفتية صدر المحال .
* تعالي نفتت كل الحجارة رغم تجهم بعض الوجوه ، ورغم خناجر
السنة الباهتين من السائرين تجاه القبور ، تعالي نسير ونهتف : « إن غناء
العصافير حلوا لأن النهار طليق ، ونور النجوم بهي لأن الفضاء رحيب ،
وموج البحار نقى لأن يد البحر لا تستكين لرمل الشطوط ، فكيف
ترى نستكين ونحن نُحِلِّقُنا لنبقى معا وسط هول الزحام الجموح ، ومهما
يكن من مصير لهذا الغرام فإننا سنمضي إلى متناه - ولن ينتهي ماحينا
- لأننا اتلفنا وسرنا معا عاشقين نغني مع العاشقين أغاني الرجاء ،
ونرفع أبصارنا للسماء ، وقد وحد الحب قلين أحيتهما الأنيات ، وقال

لقاء العيون - بلا كلمات - قصائد أروع مما يقال .

* تمر دقائق ، ثم تحييء دقائق ، لكنني لم أزل - بعد صحوي - أُحَلِّق .. أسأل : كيف ذهلت عن العالم المستحم دما دافقا من عروق ضحايا تولوا خلال القرون ، وكانوا يحبون أحبابهم مثل حبي لكنزي ويحيون مثل حياتي ، وكانوا يغنون حتى وهم متعبون ، وها هم تولوا وغابوا ببطن التراب المعتقد حيث استحالوا عظاما معفرة في أماكن شتى .. ولم يبق في الليل غير انتظار لحلم رقيق الخطى ، قد يطل علينا بأنفاسه العطرات ، وقد لا يطل ، ورغم انتظار الحياة الثقيل فإننا سنبقى لنلقاه حين يطل ، ولن نفتح الباب لليأس قبل الأوان .

* أهذا هو الحب ؟ يا كثرَ عمري أجيبني .. أهذا هو الحب .. ؟ .. نحن سنمضي ، وتأتي مع الموج أعتى الرياح تلاحق آثار أقدامنا في الرمال ، ولكنها - في خيالي - ستبقى ، برغم اندفاع رياح الزمان .

٢١ سبتمبر ١٩٧٤م

متهات الليل

شمس متصبية حمما تسكنني في لحظة إعياء
أترقب في الليل الساكن خطوات امرأة تنسيني أني سأموت
أترقبها تأتي حتى أأدفن فيها خوفاً في المكبوت
وتنام العاصفة القاصفة ولا يشفى الجسد المحموم من الأدواء



أنجرد كي أصعد سلم تلك الآفاق الغيمية
أتحول موسيقى تنفسها في الليل ملائكة هامت بالشعر
لكني بعد دقائق أسقط نخلول الخطوة في بثر
وتضيع الروح المسكية عبر الطرقات الطينية



أنسكع حيناً داخل أعماقي المكسوة والعريانه
ألمح فيها شبحاً قلقاً يتعقبني

ويبيل على رماد وجوه أقصتها الظلمة عني
وأعود خلال الليل وليس معي غير الروح العطشانه



أخطو أولى خطواتي في أرض بكر لم يمسسها أحد من قبل
وأهيم أحلامي لتسابق إيقاع الزمن المسقي بقاء النار
لكني في لحظة صحو أترنح في وجه الأعصار
وتطوحني لكيات الليل



أعرف يا ليل الجسد وليل الروح ويا ليل الماضي والمستقبل
أعرف أني قد تمثت هنا
في كل طريق أسلكه أسأل مغتربا: أين أنا
لكن ما زال هناك طريق يستهوي قلبي المثقل



الحب طريقي يبعدني دوماً عن أقنعة الدجالين وعن طرق الرعب
أرتاح للمسمة كفك تحييني في الليل وتمنحني دفئا
يا جوهرتي إن جميع الأشياء تضعف فلا أذكر أبداً شيئاً .
إلا وقع خطانا جنب جموع العشاق وشمس الحب

٢٦ أكتوبر ١٩٧٤م

الليل .. والأغنية

تنعس روْحُكِ .. ونوافذها المسدودة في وجه غنائي
لا تُفتح لي إلا في الحلم
فلماذا لا يتقاذفني الماضي النائي
ولماذا لا يحصدني الهم؟!

في الليل تدق على بابي الموحش أشباح لا ترحم
ولذا ينبعث أنيني في صفو سمائي
تربُّدُ ملامحها.. تجفو.. وتدوي في قلبي المغرم
وتطوح غصنا عطرا روته دمائي

تُبْعُثُ حولي صور متشائمة تتشكل أجسادا

تتعقبنني ... تسخر مني
آه .. لو أخنقها بيدي.. لو تذروها الريح رمادا



هل يكفي أن تخفى وجهك عني زمنا
حتى أنساه
وجهك نسأت الفجر برائحة الورد اندمجت وطنا
تتجول فيه الأشواق العطشي حتى تنعم برؤاه



ها أنتِ بعيدة
وأنا وحدي في التيه أخلق
أسأل عنك .. أناذي زمنا تخفق فيه الأيام سعيدة
أدفن فيه الأفكار الجهمية إذ تصفو روحي وتخلق



يوما ما لن تخفي وجهك عني زمنا
لن أبقى وحدي مكدودا.. ستميد الأرض المنخوره
ستميد بعالمها.. ونظل نسير معا.. نبني وطننا
وأحبك في هذا الزمن الآتي برؤاه المسحوره



يأتي زمن تولد فيه الأفكار طليقه
يكتب فيه جميع الشعراء أغاني الحب
حين يصير الإنسان حقيقه
حين يغني .. يعشق .. لا يدع الحقد يشب!

٢٥ يوليو ١٩٧١ م

أحب أن أقول لا

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٧١ .

إهداء

إلى الشعراء الأحياء الذين عايشوا قصائدهم وعاشوا قصائدي قبل
أن يرحلوا عن عالمنا.. إلى صالح جودت ومحمود حسن إسماعيل
ومحمد الجيار وسعد درويش وابن جيلي أمل دنقل.

حسن توفيق

قصائد القسم الأول عن عالمنا

أغنية جوال حزين

(١)

المدن التي نراها في الخيال رائعه
ليست هنا.. ليست هنا
فاستيقظوا يا أيها الأموات واسعوا في زوايا المدن المخادعه
اسعوا إليها.. إنها لنا
ولتتفضوا الغبار عن معاطف السفر
رحلتنا مجهدة.. في الريح والمطر

(٢)

ما هذه المدينة التي تخونحت طويلا؟
ما بالها تدفع في أوردتي خوفا وبيلاً؟

عند انبثاق النور في الشوارع المكتظه
رأيتهم يبدون في ملامح الأموات.. كان الزمن المشبوه
يلهو بهم.. يجعلهم أسرى الظلال الفظه
تنخر في أعماقهم.. وهم يحسون بها ولكن لا يحركون ساكنا
فكلهم مشدوه

كأن ماء النيل لم ينعش عروقهم ولم يغسل مرارا بدنا
وفي الظهيرة التي تنعم في إسارها حناجر الأموات
يمضي بنا الحديث ناعم الصدى.. مزينا
تختلط الأصوات..

الصوت الأول: مدُّ علينا الكفنا
الصوت الثاني: ما دامت الشفاه لا تنطق والقلوب لا تخفقُ
والعيون لا ترى

فما الذي يهم؟ إن عمرنا مديد
الصوت الثالث: لا.. سيدي.. فالورق الذابل قد ترفعه الريح
عن الثرى

لكنه.. وأسفا.. يسقط من جديد
أصواتكم شتى
والريح لا تهتم
بغير صوت الدم
يا أيها الموتى

توغل في ظلمتها المدينة المنخوره
تشبعنا كرها

تنتقل العدوى إلى أعماقنا المقهورة
حيث نهرب من خوف إلى خوف ومن مقهى إلى مقهى
نحاول الخروج من جلودنا المغتربة
فنهتدي للكأس واليأس وللبكاء
ونعشق النوم بقرب الجيف المعطره
ونلعن الضياء
يا حُسرتا على مدينه
يسوسها الشرطي والقواد والتاجر
ويسقط الثائر
مبعثرا في ليلها المنبت أشجار الضغينه
(٣)

أرحل في الريح وفي المطر
أرحل في الريح وفي المطر
.....

مدينة ثانية يحملني الجوع إليها
لكنها شاحبة العيون والبيوت
ومجهداً أبكي لديها
يبكي معي السكوت

في أفقها كان شروق الشمس رائعا
وكانت الأمواج في خليجها خيول
أعرافها ترفعها الريح لكي ول
بين الذين يجعلون النور دامعا
وينضحون الملح والبغضاء والمقتا
وحينما ينتظرون
أن يجدوا الوقت
لكي يحبوا أو يحبوا في سلام في سكون

تجذبهم أذرعة البغضاء للقيعان
يثقلهم ظل الجنون
ويختفون.. يختفون
في زمن النسيان
أواه يا مدينة الجنود والكلاب والأشباح والقتلى
ما أتعس الذاكرة التي تعي أن القمر
لف على نافذة الحب خيوطا للسمر
وغازل الفلا
وحينما أوى إلى فراشه الصغير
اخترقت جبينه رصاصةٌ معريده
فاخترقت نافذة.. وماجت الأصدا عبر السحب المبدده
تقول: «لن تسير ...

من يومها والنور دامع هنا.. من يومها يحملني الجوع إليك
ومجهدا أبكي لديكِ
يبكي معي السكوت
فأه يا شاحبة العيون والبيوت
أضاعك الأموات في المدينة الأولى
وخلفوا بابك مطروقا ومذهولا
(٤)

في الريح والمطر
تلوح من بعيد
مدينة ثالثة تنهض.. والعيبد
في قلبها.. لكنها ملتفتة بالزور والأوهام والشرر

أيتها المدينة الغريبه

من الذي أتى بأحجارك
ألقى بنا وراء أسوارك
ومن ترى يهدد الحبيبه
ويجعل العبيد أحرارا؟
من يا ترى يهدم بالهمة أسوارا؟

الريح لا تهتم
بغير صوت القدم
بغير صوت القدم
الريح لا تهتم

الصوت الأول: مدينة واهية يهبطها القلق
الصوت الثاني: لا.. فاقشع الضغينة النارية

الصوت الأول: ابني هنا احترق
الصوت الثاني: ابني أنا أيضا هوى في فرن غاز طافح نازيه
الصوت الثالث: اقتسموها.. إنها لكم جميعا
ولتجعلوا أنغامكم.. ودا.. ربيعا
.....

تختلط الأصوات مرة أخرى لكي أمضي
أتبع كوكب الرفض

(٥)

الكلمة التي أقولها لكم كالجثة المتفخه
فان تكن رائحة الجثة في جلستكم تثير أعصابكم
فهل ترى يثير إعجابكم
أن تنظروا إلى أعماقكم ولم تزل تبدو كالجثث المتفخه؟

استيقظوا يا أيها الأموات واسعوا في زوايا المدن المخادعة
اسعوا اليها.. إنها لنا
فالمدن التي نراها في الخيال رائعة
ليست هنا.. ليست هنا

«٣١ مارس ١٩٧١م»

عن عالمنا

١ - رؤيا

أتوغل في غابة هذا العصر الكاسر
أتعثر بالأعشاب الشوكية
ألمس ساقي، جرحي غائر
أتوقف، أنشج، ريح شتويه
تدفعني في أرض خربه
وتمر على ساقي عربه
أصرخ، لكن من يسعفني؟
صوتي الواهن يتقصف، والريح المحمومه
لا ترجمني
رباه ألا تبعد هذي الرؤيا المشئومه؟!

٢ - معها

في جلستنا هذي الليله
صوتك يتفتح كالزهرة في أعماقي
وأحن أتوق إلى قبله
أتمناها.. أتمنى تنفض أوراقه
ليعود القلب جديدا لم يُشدخ مرّه
ومعافى لم يمسه الداء
داء الألفاظ المغبرّه
في جلستنا هذي الليله
شيء ما يغريني أن أتكلم
فلأتبع - يا حبي - ظله
فلأتكلم
- اني أحيانا أحلم يا حبي أني مقطوع الرأس

٨

تنفر جسدي غريان الحقل
وتظل الشمس
تبصق فوق الجسد المنحل
إني أحيانا.. لا فلأصمت.. فلأصمت
- إنك تفرعني.. لكن فتكمل ما قلت
أو خبرني - حقا - ماذا بالأمس صنعت
- بالأمس أكلت.. شربت.. ونمت
- تسخر مني؟!
- أبدا يا حبي
بالأمس جلست مع الأصحاب
وظللنا في المقهى الصاخب نضحك أحيانا أو نغتاب
بعضا من أفراد «الشله»
ومحدثنا عن كرة القدم

وقرأت مجله :
«جونسون يجلس في مزرعته
ويداعب كلبا
مدن أطلق فيها رعب من قوقعته
سيارات الأسعاف تجوب شوارعها الشوهاء
ومزارع أريز مسمومه»
يا صاحبتى.. إني أعرف عن عالمنا بعض الأشياء
- ماذا تعرف؟
- بعض الأشياء
لكني لن أتوغل في غابة هذا العصر الكاسر
لنظل معا.. «لا أمن هنا».. هذي الأنباء
تأتيكم من قلب الشاعر

«٢٦ يناير ١٩٦٧م»

أحب أن أقول لا

أرفض أن أعيش في عالمكم مهرجا
يضحك من منظره ذوو النفوذ والرتب
أقول لا.. تخرجوا
في بادئ الأمر وبعدده أوضح السبب

أحب أن أقول لا
في وجه من يظن وقته من الذهب
فيرفض الجدل، ينفث الغضب
في وجه من يقول لا

يا سيداتي سادتي

عالمكم مشوش.. أدفن فيه فرحتي
عالمكم مشوش.. تكدرت فيه المياه..
عالمكم هذا كبير
موائد القمار واللصوص والخواه
تجعله دوما كبير
وفي بلاد الرعب حيث تفرخ الطلول
مع الليالي المعتمه
أبحث في عالمكم عن رجل يقول
«توقفي يا أئمه
لا تلعقي دم الصغار
في لحظات الشهوة المغمضة العيون»
أبحث في عالمكم عن رجل حنون
يقول: «ما ذنب الصغار

أيتها السيدة الميتة الضمير
أيتها القنبلة المسلحة الضمير ؟
يا سيداتي سادتي... أحب أن أقول لا
لا.. لم أجد هذا الرجل

الرجل الذي وجدته هنا.. من بينكم
وجدته يسير في مدينة مدنسه
تقيأت أمجادها.. وأوشكت تهون
لكنها يا أصدقاء
تمسح عن أيامها اثار ما خلفه الغزاة الجاحمون
تهجر بركة الدماء
لعلها تنهض فوق الجثث المكدسه

الزمن القادم حين يطلق الجناح
قد يبعد الدموع عن عيوننا ويرىء الجراح
وقد يخيب فيه ظننا فتهطل الدموع
لكنني في زمني الذي أراه سائرا بلا رجوع
أحب أن أقول.. لا
لكل من يحاصرون كلمة أو ينصبون مشنقه
أحب أن أقول لا في زمن تبدو لنا جذرائه مزوَّقه
لكنها تضعضعت وصار ظلها الطويل مائلا...

« ١٩ أبريل ١٩٦٧م »

السوق وذاكرتي المشتته

معذرة - صاحبتني - ذاكرتي .. مشتته

فحين يخرج الصباح

من رحم الليل إلى الشوارع المسفلته

أكون في استقباليه أختلسُ الوقت المتاح

أبحث في شارعنا عن سوق خضروات

مختبرا ذاكرتي

لكنني صاحبتني

أسمع في شارعنا مختلف اللغات

والسوق لا أراه

السوق لا أراه

أسمع في شارعنا الملطخ الجبين

عبارة منمقه

من رجل بدين
ينفض عن بذلته الفاخرة الغبار
مؤكدًا: «ستشبعون في غد وتنعمون
بمولد الفجر الخنون»
وبعدها ينعم بالسيارة المرففة
في ثقة تخرق الشوارع المسفلته
حيثئذ تدهمنا الخواطر المباغته
والضحكة المرتجفه
يضحك صاحبي الذي أعرفه مهذبًا
يقول لي: «يا مرحبا
الشعراء متخمون
فالخضر الطازجة الآن تعيش في الخيال
ونحن منه مفلسون
فلتعتنا بعض الخيال»

.....

في لحظات الضحكة القصيرة الأجل
لمحت كيس الخضر الذي يهزه صديق
أعرفه مشاكسا
في لحظات الضحكة القصيرة الأجل
انكشف الأسى العريق
فاستقبلي الهواجسا

معذرة - صاحبتني - ذاكرتي مشته
وأنت في انتظار
وها أنا أخترق الشوارع المسفلته
يخنقني الغبار

٢١ أبريل ١٩٦٧م

المناضلون

في غرفة أنيقه
مبنية جذرائها من النفاق والدجل
وبابها منفتح لمن يرى الحقيقه
لكنه يدوسها ويرتمي بلا خجل
على المقاعد المريحه
ممددا ساقيه حين يبدأ الكلام
مدخنا سيجارة تلهمه الرؤى الفصيحه
تلهمه الختام
وحين يولد الجدل
تجذبه يد الملل
«معذرة.. يا سيدي.. المقاعد المريحه
تجعلني أحس بالنعاس والفتور

تجعلني أنور
لو طالت المناقشه»

في هذه الغرفة يجلس المناضلون
قلوبهم صامته النبض كأنها حجار
وحين يُقسمون
يجاهدون أن يغالبوا الشعور بالدوار

يا ضيعةَ الحقيقة
طائفة من اللصوص والمهرجين
تحترف الحديث عن قضايا الكادحين
في غرفة أنيقة

« ١١ سبتمبر ١٩٦٧م »

لا شيء يهم

الصخب يهب هنا وأنا والمقهى في مقتبل الليل
ومعي الرفقاء
هذي المقهى فيها رجل يختل العقل
يسأل عنا نحن البسطاء
يسأل دوما عن قصتنا
عن دمعتنا أو ضحككتنا

أتوقع أن يأتي الرجلُ
أن يسألني
أتوقع أن يُطوى الأملُ
أن يبعثني
عن جلسة أصحابي البسطاء

ليريق هناة أيامي
فتطل على الغد أو هامي
ولذا أجلس، أتعلم كيف يكون الرد إذا ما جاء

لا أمل هنا.. خَفَّتْ النور
وتغلغل في أعماقي صوت
- أنحب الصمت؟
- كلا.. إذ أن الصمت نشيد مقهور
فإذا أخطأ هذا الرجل الباكي العينين
نمكث زمنا نبحت عن حل
لكن الرجل يقول لنا: «يا بؤرة جهل
فلتقتصدي في نسج اللفظ على الشفتين»

انسلت خطواتي خوفاً وتركتُ صحابي دون تحيه
عذراً.. هذا عصر الحريه!!

في ميدان التحرير رأيت جموع الناس تسير فسرت
أغلقتُ الباب على نغمي، عانقتُ الليل، شربتُ الصمت
في قلب الصمت استوقفني رجل مجهول
وتحدث عن غده المأمول
في نبرة يأس قاسية النظرة كالموت
- لكنني لا أعرف من أنت؟
- ما قيمة أن تعرف شيئاً؟ لا شيء يهم!
هذا الكوكب ما زال يدور.. يدور.. يدور
لا تسألني أبداً عن معنى وقفنا
أو تسخر من هذا المقدور

في وقتنا سنظل ندور
يُدفن يوم كي يولد يوم
- لكنني لا أعرف من أنت؟!
- لا شيء مهم!!
- لا شيء مهم؟
- ما دمنا لا نصنع شيئاً فلتحدث عن شبح الموت
يا شبح الموت
سر في هذي الطرقات أليفا
واجعل شجر الميلاد خريفا
يا شبح الموت
الفوضى في كل الطرقات، فأني أمان
نلقاه هنا؟ أه ماذا لو كان هنا شرطي مرور
ماذا لو كان؟

ومضى الرجل المجهول وقد أطفأ لي النور
فمشيت أولول في طرقات الموت، أدور
في دائرة أدنتني من حمم البركان

فجأة حينما درت لاح الشبح
فجأة في الظلام الثقيل انطرح
صارخا في حنايا كيباني المؤرق
اختفى ما تألق
ذات يوم وضاعت أغاني المدينة
في ليالي الضغينه
«أسترا» في الليل عنقودُ نساءٍ يتبعثر
في بنايات المدينة
«ليلتنا خمر» تزف الضحكات المستكينه

والخطى في كل دار خائرات تتعثر
فالرجال المتعبون
يطمسون الصبح بالخمير وينسون الكرامه
حين كانوا ذات يوم في الصحارى يلهثون
ويحثون خطاهم في دهاليز السلامه
وسمعت صدى يلسع أذني، يقطر ألما
فلتتفض عنا يا رب الندما
لا شيء يهم!!
لا شيء يهم!!

« ٢٦ أغسطس ١٩٦٧م »

الفندق الكئيب

في غرفة الفندق لا أصحو ولا أنام
لا أعرف السلام
حقيقتي ممزقة
والنزلاء الغرباء يصرخون في جنون
كأنهم حجارة يقذفها البركان في أودية مشققة
وحينما أبلغهم - في أدب - بأنني أريد أن أنام
يضاجعون الصمت في استراحة مزوقة
ويهمدون لحظة ، وفجأة يفلسفون
حياتهم .. والعطب البادي على أروقة الفندق للعيون
نبهتهم إليه في منتصف النهار.. لكنهم لم يصروه
وهذهم حديثهم .. لكنهم لم يسأموه
وقال لي أهذؤهم .. أكثرهم وسامه

« في هذه الأيام كم يجمل بالمرء هنا أن يؤثر السلامه
وأنت من شبابِ جيلٍ ضائعٍ منه
يسلمك التيار للتيار دون غايه
والسفن الوهميه
تغوص في مقابر القرارة المنسيه
والدم لا يمتد
إلى العروق دافقا
إلا خلال موجة المباريات والمسلسلات والوشايه

في الغرف الخالية التي يؤمها الدهول
ليست لديّ الجرأة التي تريد أن تقول ما تريد أن تقول
ونظرتي النديه
تنفذ من أعماقها رائحة كريهة تفزعني كحيه
حيثُ أهرب من نفسي وأنطلقُ

من عالمي القلقُ

حين انتفضتُ واقفاً ، ثم اندفعت خارجاً وسرت في الطريق
رأيت صيف اليتيم والأنقاض والحريق
وموكب الجماهير التي تغوص في الوحول
همست في الليل الكسول:
أخشى على شعبي من الثعالب المراوغة
تخرج من جحورها
لاهثة .. باحثة في عمق غابات اللغة
تفقأ عين اللفظة التي تنير للمضييعين في الظلام
تقيء من شرورها
على الشروق والندى .. في فورة احتدام

.....

صف من الأشجار

يُحرق في قلبي
ما هذه الأسوار
تمتد في الجذب ؟

.....

وسرُّ في الطريق ، ثم سرت ، والأهواء
تعصف في أرض مهانة
فضجت الأشياء
ناثحة حولي ، لذا همست في شبه استكانه
« ما هذه الضوضاء يا تُرى .. تُرى ما هذه الضوضاء ؟ .. »

جسر من الوهم
هوى بقاع النيل
فلتفسحوا دَبي
في غمرة التهليل

.....

أدارت الريح أسطوانه
الشائعات ترتوي من الفتور في الظلال .. تغمر الأضواء

أعود من حيث بدأت
أعود للفندق بعد رحلة التردد
وليتني كنت احترقت
فإنني تعبت من تتبع اليقين في مجاهل التمرد

في غرفة الفندق لا أصحو ولا أنام
لا أعرف السلام
ورحلتني خابت ، وغابت ضحكتي يوم ارتحلت
والعطب البادي على أروقة الفندق للعيون لا ينام
فليتني كنت احترقت
... ليتني كنت احترقت

(سبتمبر ١٩٦٩)

قصائد القسم الثاني

السحب السوداء

اليوم أعود إلى البحر
ودمي يلهث إذ يبحث عن إسم مكتوب فوق الماء
وعلى صدري
أكداس من سحب سوداء
سحب الماضي ، سحب الحاضر ، سحب المستقبل
فأنا أدرك أني قد أخذل
وأعود مع الأيام مويجه
تنحلي على قدم الصخر
فتموت البهجه

وأزى قبري

وجلسْتُ على الشاطئ وحدي
والخوف يعاود إيقاعه
قد يقوى الموج على هَدْي
فأرى الساعة
فالساعة آتية .. لا ريب
من أفق الغيب

.....

ماذا يُبكي قلبي المقهور
ماذا يُبكيه؟
أيعني أن الشاطئ مهجور
أم أني أشرد عبر التيه؟

ماذا يُبكيه إذا كان سيتلاقى في مملكة الموت
بالوجه الحلو
فيعود إلى تشريد الصمت
ويحس بزهو

ماذا يُبكي قلبي المقهور
ماذا يُبكيه ؟
ثقتي تمتد خيوط دخان
في كف الريح
والحقد تدفق سيلاً في قلب الإنسان
والحب جريح

يا من غنيتُ لها بالأمس
أعذب غنوه

وأرحطُ على نهدِها الرأس
فلمسنا أفاق النشوء
ورأنا النيل
نتجادل في آخر مره
فما قد قيل
أول مره
ما أشقى أن نبقي أعداء
نتنفس من آفاق الحقد هواء القبر
ونجر العمر
عبر البغضاء

يا أغنية الحب الأولى قلبي قد جُنَّ
في ليلة صيف خمره
نادتني جهرا إحداهنَّ

قالت: «أطلق نبع الأحلام الوردية»
ناديت القلب فما انطلقا
في إثر الحب
قلبي يتصبب من عنف الرؤيا أرقا
هذي الدنيا جسدُ امرأةٍ تخلع دوما
ثوبا نزقا
لتضاجع زوج صديقتها

ماذا يُبكي قلبي المقهور
ماذا يُبكيه؟
هذي الدنيا هي مَنْ تُبكيه
هي من تبكيه

«أكتوبر ١٩٦٦»

توثب

* عندما ترسو السفينه
ويعود الأفق ذكرى لدخان يترسب
تهداً الروح وترسو في زواياها سكينه
وأغاني البحر تنضب
* فاعصفي بارياح البحار القويه
اعصفي بالسفينه
حركيها بعنف لتنسى السكينه
في شطوط المنيه
* واجعليني فوق موج البحر ريحا تتوثب
إن في روحي ضراوه
تخذل الصمت فيمضي في الزوايا يتخشب

من يُلذ بالصمت لابد تغشيه الرخاوه
* مرحبا باندفاع الأغاني علي
مرحبا بالمياه
أه مدي يدك بشوق إلي
ملء روعي حياه

١٨ مارس ١٩٦٦م

كان فجرا

كان فجرا مَسَّ قلبي بالمني ثم انطوى
كان فجرا يترقُّق
بالأغاني
كان فجرا من صفاء وهناء وهوى
كان رؤيا تتدفق
في كياني
كان أحلى أغنيه
رددتها أمسياتي
كان نبع الأمنيه
في حياتي

ثم ماذا قد تَبَقَّى من جـــــذوره..؟
لم أعد أمشي بروح حالمه
لم أعد أحظى بنوره

في حياتي القاتمہ

ثم ماذا قد تبقى من جذوره..؟
غير دنيا مثقله
بالمآسي المعوله
عشش الصمٹ وألقى في مداها ذكرياتي
ثم مد اليأس ظله
في شتاء الروح ماتت آمياتي

ثم ماذا قد تبقى من جذوره..؟
غير حلم ضائع أو أغنيات ذابله
وسؤال ملء روعي الذاهله:
«كيف ألقى - في حياتي - بعض نوره..؟!»

«نوفمبر ١٩٦٣م»

الحب والريح العصرية

في كل مساء حين أنام
يتردد صوتك في روحي العطشى للنور
وتضئ عذوبته الأحلام
فأنام على صوت يطوي لجج الديجور
يطوى وجه الماضي الزائف
ويعيد إلى القلب الخائف
نسمة النور
موسيقى تعزفها النشوة
فيرف بأجنحة الفرح الطاغي المسحور
ليطير إلى دنيا حلوه
وأحس بأن لدى الأيام

شيئا تبقى له من خلَع الماضي المغرور
وطوى الأوهام
ومضى للنور
وكان على وجه الصحراء
مطرا يهيم .. يهيم .. بسخاء

وتصبح عروقي : «وسميّه
يادفء القلب
تتنفس أعماقي دوما من أمنيه
أن يبقى الحب
في هذى الدنيا الصخريّه
دوما في القلب
عيناك تبسمتا حبا
فبدأت أفيق

من كابوس خنق القلب
في ساعة ضيق

.....

ما أروع أن ننسى العالم
في لحظة حب
لتزيح الزيف عن العالم
ونشيع الخصب

لكن القلب يعود يحس بظل الخوف
من هذا الزيف
يا وسميه
وقع المحذور
خنقت روح الانسان عواصف زيف ثلجيه

وتلاشى النور
يا وسميه
أيرفرف في الدنيا عصفور
وغصون الخوف الشوكيه
تمتد على الأفق المسعور
ماذا يفعل..؟
ماذا نفعل..؟

أنفر إذن يا وسميه
من هذا العصر
أم نلقى الريح العصريه
ونظل معاً لنشد الأزر..!؟

٩١ مارس ١٩٦٦ م

أرق

عيناى فى اللىل الصموت
تتجولان، فتبصران يد التوجس والأرق
بجمودها وبرودها تبني بيوت العنكبوت
بين العواصف فى الأفق

صوت عميق ساخر يسري كما يسري الحريق
ويقول: «هذي أمنيات الشاعر المترقب»
الصمت غَشَى غرفتى، لم يبق فى اللىل العميق
غير الأسى المعشوشب

فلأترك الآن القصيده
فالنوم يخفق فى عيون الأمنيات وفى عيوني
والصمت يلعق من ظنوني
الآن تحظى رقدتي بكواكب الحلم الفريده

فبراير ١٩٦٧م

قصائد القسم الثالث الحب ووجه الزمان

قلبي هذا طفل ضائع
يشتاق أبا، أما، يشتاق النور

أغنية للصفاء

ملء عينيك صفاء فيه دنيا شاعريه
تتمنى أن تلاقىها العصفير الغريبه
كي تحس الأمن فيها، والهناءات السخيه
وتمس النور في آفاقها
ملء عينيك هناءات، وطيبه
تستهيها الروح من أعماقها
ملء عينيك أغاني دافئات بلبلية
ونداءات حبيب
رقرقت في القلب موسيقى نديه

أنت دنياي الرقيقه

أتملاها كحلم ساحر فيه انتعاش
وتهاويم فراش
وينابيع، وآفاق عميقه

عندما الليل طوانا تحت جناحه
وتلقانا عبوسا جارفا آمالنا في رمل سفحه
صاغت الأحلام فجرا من أغان باسمه
فابتسمنا.. ومشينا بنفوس حاله
عندما الليل طوانا تحت جناحه

أنت يا ينبوع نور ، وخيال ، وبراءه
حبنا فجر يغني في سماوات شفيفه
حبنا فجر ندي تلمس الدنيا صفاءه
في أغانيها الرهيفه

في انتعاش مس قلوبنا بالحنّ وضاء
في القمر
في عيون الأصدقاء
حين يأتيهم خبر
عن هوانا
حين يرنون إلينا في الطريق
فيحسون انسجاما في خطانا
وصفاء وبريقا فيهما شوق عميق
يتجلى في رؤانا ...

في ليالي الطويله
حين أمشي في الشوارع
ضجر الروح وضائع
تتلقاني الخيالات الجميله

فيراني الأصدقاء
أتغني في هناء بالصفاء:
«ملء عينيك صفاء يا حبيبه
فيه دنيا شاعريه
وسماوات رحبيه
تنقذ الروح من الدنيا الشقيه»

«مايو ١٩٦٤م»

انتظار

أنا في انتظارك .. يادفء روحي وطيف القمر
أنا في انتظارك .. قلبي يدق بعنف ويحسب كل دقيقه
فعما قليل أفتت كل الكدر
ونمشي سويا .. لننشق عطر حقيقه

..... ومر الزمان بطيء الخطى يا حبيب
وروحي تذوب اشتياقا إليك
تذوب اشتياقا إلى أفق دنيا رحيبه
رأيتها قديما لديك...

أنا في انتظارك .. مر الزمان .. وكل دقيقه
تمر بدونك تترك لهفه

وقلبي يحاول أن يستقر ويحمد ضيقه
ويحسد طفلا يسير بخفه

وحين يثست .. مشيت لأفتات من حسرتي
ففي النفس حزن دفين
وفي وحدتي
صحارى أنين
وطال الطريق ، وكلت خطاي ، فعدت لبيتي
رجعت برجه تجمد فيه الشحوب
ولذت بجدران صمتي
لألمس بعض خيال ، لألمس وهما
أردت الهروب
إلى النوم حتى أراك ترفين حلما
وحين هزرت بعنف غصون النعاس النديه

وطال انتظاري
ولم أجن منها الشمار الشهيه
تعذب قلبي بنار انكساري
وحامت خفافيش دنيا شقيه
فكان اندحاري

بدونك أنت ترفرف روحي وحيد
يضيق الوجود بما في كياني
ظلام ، وضيق ، ودنيا بليده
بدونك أنت أظل أعاني
وتذبل حتى الأمانى
فلا تركبني أعانق بؤسى
تعالى نرفرف في أفق دنيا طليقه
لأنسى ضياعي ويأسى

فتهدأ نفسي
وأقطف بعض الأغاني الرقيقة

بعينيك ترسو سفينة روعي اللهيفه
فعودي إليها ، لتجذب جبل الأمان إليها
وتطرد عنها الظنون الكثيفه
فتصفو الحياة لديها

«يونيو ١٩٦٤م»

نهاية

انتهينا يا صديقه
وتلاشت خضرة الأحلام في الليل العبوس
انتهينا.. وعرفنا كيف تطوينا الحقيقه
كيف تطوي في يديها كل أحلام النفوس
انتهينا يا صديقه
وأفقتنا من هروب الروح للذكرى الغريقه
بعد تحطيم الكؤوس

من شتاء الروح يا أختاه قولي كيف نهرب؟!
حُبنا صار رمادا في النهايه
صار نبعا للشكايه

صارت الأنجم أقرب
من أمانينا ، ومن دنيا هوانا
صار قلبي الآن متعب
يتعذب
لأسانا.....

طفلنا الحلو المغني ضل في الليل طريقه
ويبحثنا عنه ، لم نعثر عليه
غاب عنا وجهه الحالم في الدنيا العتيقه
غاب .. لم يبق يدينا في يديه
فتنهذنا حنيناً .. ثم عدنا ، فانطوينا
وفرغنا من حنين ، وانتهينا

انتهينا يا صديقه

انتهينا .. انتهينا
دق ناقوس الحقيقة
يا زمن
أنبيء الروح الغريقه
في الشجن
أن عصف الريح أقوى
من أغانيها الرقيقه
أن ما نلقى .. ونهوى
يتواری
في متاهات سحيقه
في الصحارى

«نوفمبر ١٩٦٤»

صلاة للحزن

ياظلي .. ياظلي الآهات السود
انسج فوق الذكرى سترا
هدهد عطش الروح المكدود
واطير الفجرا
دعني أمضي وحدي في الليل
حتى أنسى اللحن المفقود
أنسى ما بلّ صدى روحي من ظل
دعني أنسى .. أنسى ياظلي

قد كنت أغني في زمن أخضر
قترف على الدنيا أحلى الهمسات

ويذوب الصمت ولا يظهر
إلا لحظات ...

كانت آفاقي ورديه
فيها يزهو أبهى كوكب
ويطل على أيام خريه
لم أشهد فيها إلا ما أطرّب

كانت آفاقي ورديه
لكن غابت .. غابت عني
في عصف الريح الشتويه
غابت عني
لم تتركني أمضي وحدي .. لم تتركني
بل ألقنتني في أرض صخريه

أَلْقَتَنِي فِي كَهْفِ الْحِسْرَاتِ
كَيْ يَسْتَجِدِّي قَلْبِي النَّسَمَاتِ

هَلْ تَرْجِعْ لِي يَوْمَ آفَاقِي الْوَرْدِيهِ
هَلْ تَرْجِعْ لِي ..؟ هِيَهَاتِ
زَمَنِي يَغْتَالِ الْأَمْنِيهِ
زَمَنِي يَعْوِي .. هِيَهَاتِ

هِيَهَاتِ تَعُودِ
آفَاقِي الْوَرْدِيهِ
فَأَنَا مَاعَدَتِ الْوُكُوعُودِ
مَاعَدَتِ أَغْنِي أَغْنِيهِ
مَاعَدَتِ أَطِيرُ مَعَ النِّعَمِ
مَاعَدَتِ أَطِيرُ

غرقت أحلامي في بحر العدم
والياس مثير

في قلبي قد صُلبَ القمرُ
نَضَحَ الصمت القاسي .. أسفا
همسي ارتجفا
في قلبي قد هطل المطرُ
يسقي الأحزان
ويعري مآذن اليأس
في قبر الظلمة منذ زمان
في قلبي يختلج الأمسُ

ياظلي .. ياظلي الآهات السود
دعني أشرب

من خمر النسيان المنشود
افتح بابي .. بابي المسدود
أبعد عني هذا الكوكب
إني متعب

« ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤م »

ترنيمه للنور

أشواقى قد نسجت لي أسطوره
يسعادة ناس غنوا فوق العشب
ناس غنوا لعوالم دنيا مسحوره
لا نلقى فيها إلا الحب

روحي انطلقت من قوقعتي
غنت لك يا فرحى .. ياجنة أيامى
غنت لك آمالا تحيا فى أغنيتى
فاخضرت أنغامى

فى ذات مساء
عصفت فى روى ذكرى وحشيه
حُرمت أرضى من نبع صفاء

صارت أرضاً صحراويه

لكنْ رُوحِي انطلقت ، قلبي الباكي انتعشا
حيث انبثقت قربي النشوه
كي تسقي قلبي إن عطشا
تهديه إلى دنيا حلوه

ما أروع هذا ينبوع الصافي
نسمات الفجر
كَمْ توقظ من شوقي الغافي
تطويني في موسيقى السحر

ما أروع هذا يا فرحي .. لكن رُؤى الماضي الفظه
عرتني من ورقى لأذوب بكاء

وأنا حتى هذى اللحظه
ما كنت أريد أذوب بكاء

جلدتني - مقهوراً - يابنت النور
جلدتني أسواط الواقع
فتعالى للنغم المقهور
وأعيد لي الفجر الساطع

وأعيد لي عطر الحب الرائع
يابنت النور
قلبي هذا طفل ضائع
يشتاق أبا .. أمأ .. يشتاق النور

«الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٦٤»

انطواء

ما أقسى أن ينسانا الحب
أن يهجر دنيانا
أن ننسى دفء القلب
أن نُخَيِّي الأحرانا
في ليل الجذب
وندوس على أملٍ .. كانا

قد كنت أقول
ما أقسى أن يمشي الانسان إلى الظلمه
قد كنت أرى هذا حتي وأنا في النور
والآن أقول
ما أحلى أن يمشي الإنسان إلى الظلمه
قلبي مقهور

«ديسمبر ١٩٦٤م»

أصداء اللقيا الأخيرة

قلبي وآلاف النجوم
يتنفس الأفق الموشح بالكآبة والسأم
من حولها أسفا يحف به الوجوم
والذكريات مع الليالي تستفيق على نغم
تتجاوب الأصداء منه مع الغيوم
والرياح تعصف في نهم

الأفق سجن موحش لا يُفصَحُ
أبوابه المتنمره
لا تُفتَحُ
جدرانها المتحجرة

سقطت على قلبي المؤرق في الظلام
فتساءبت في عمق روحي مقبره
دُفن السلام ...
دُفن السلام ...

من أين جئت أيا نغم ..؟
من أي كهف غارق فيما مضى من أمنيات
من أين جئت أيا نغم
فأهجت في الذكريات
وأعدتني متلهفا أتذكر اللقاء الأخيره
لقاء الأسمى .. لقاء الوداع
يوم انطوت أحلامنا وتذوقت روحي الكسيره
طعم الأسمى .. طعم الوداع
لم نبتسم .. لكنني أظهرت ما في طاقتي من كبرياء

أظهرت أني صامدُ
وكان قلبي لم يذق طعم البكاء
أبدا... فلا يتنهّدُ

.....

يا للوجوم
الذكريات مع الليالي تستفيق على نغم
تتجاوب الأصدااء منه مع الغيوم
والريح تعصف في نهم

.....

ولمستُ كفك في سلام حالم فيه ارتياح
وهمستُ في صوت حنون
والقلب يطوي في جوانحه الجراح
متناسيا لغة الظنون:
«ليس من معنى لأن نبكي هوانا يا صديقه

مامضى لن يستعاد
فاتركي ليل هوانا يطمس الآتي طريقه
واتركي تل الرماد
واتركي غيم الحقيقه
يتمشى في اثناد
سوف تمضي الريح يوما بأغانينا العتيقه
حين نمضي لنغني من جديد للوداد
ما مضى لن يستعاد
مامضى لن يستعاد

.....

ووجهت في الليل العميق
وذهبت فاختنق السلام ، فلا سلام ، ولا ارتياح
وبقيت وحدي في الطريق
والقلب تعوي في جوانحه الجراح

.....
من أين جئت أيا نغم ..؟
من أي كهف غارق فيما مضى من آمنيات
من أين جئت أيا نغم ..؟
فأهجت في الذكريات

« ٢٧ يونيو ١٩٦٥ م »

أغنية حب للمنصورة

وصلتُ في الظهره
طرحت خلفي الصخب الخانق ، واختفى ألقطار
أعطيته ظهري بلا التفاتة
وانفرج الستار
عن عالم ما أعجبه
تقود روحي موكبه

عرفت في مدينتي صبية ذكية الملامح
عرفتها مصادفه
وكان وجهها يصارح
بكل ما يهمني أن أعرفه

عشقت شعرها الذي هزت به أصابعي
شجيرة النشوة والفتون والعبير
أدمنت صوتها الذي يرف كالحرير
على مسامعي
وذاث يوم سافرت صييتي
ومرت الشهور .. يومها كان الخصام
يقيم بيننا جداره اللعين
ويومها خنقْتُ بالتلف السلاَم
وها أنا اليوم أجىء
أسير في شوارع المنصورة الصغيره
أحمل في روحي تلففي البريء
فقد تراني أو أراها في مسيرتي المثيره



جلستُ في مقهى صغير

أرتشف الغربية ، والشاي ، أرى استكانة الأسير
تموج في دمي
تلف عالمي
جلستُ أنفض الغبار ، أرقب المناظر القريبه
وحولِ الرجال يغطون ، يعبسون ، يلعبون بالورق
وكانت السماء ساحة مهيبه
رأيت في امتدادها جناثر الشفق
تعب كالأشباح في متاهة الظلال
وتحتها على مدى البصر
تدافعت مياه نيلنا يحفها الجلال
هتفتُ في ضجر:
«من الذي يقودني لمرفأى البعيد
من قبل أن يصيبني الدوار
ويختفي النهار

ويرفع الليل إطاره البليد...؟
ودار في المقهى جهاز ، دارت اسطوانه
سمعتها تقول
في نبرة استكانه
«ياحييا زرت يوما أيسكه
طائر الشوق أغني ألمي
لك إبطاء المدل المنعم
وتجني القادر المحتكم»
الشوق أعرش القلوب للفتون ، للجمال
ولانطلاقة الخيال
الشوق هزني .. بقيت في انفعال
وفجأة تبسمت نواظري .. وأورقت حديقتي
اخضرّ كون في ضلوعي .. أقبلت صبيتي .. حبيبتني ..
مشيرة: « تعال ... » فامتلت

خرجت من ملابس الأسير وانتفضت

حبيبي أعرفها ..

حبيبي تعرفني ..

تعرفني بفحكتي الكسيرة الجناح

تعرفني بجسمي النحيل

كأنه شجرة تهزها الرياح

فتسقط الأوراق من كيانها الهزيل

حبيبي أعرفها

تصطخب النشوة بالعالم في عيونها

وقد تبين في الحديث عن ظنونها

لكنها تبدو كأنها مطوقه

إذا انطوت من عالمي الثقه

حبيبي أعرفها وإن تكن تغيرت

«فقد أنت على صفائر الحرير والعبير
أما أنا . فلم أزل كما أنا ..»

في شارع البحر انطلقنا حاملين
سألناها وقد مضت على لقائنا الأخير أشهر عديدة
«الزمن الضائع هل يعود مرة هنا للعاشقين؟
وهل تعود ليلة فاتة سعيدة
فهذه الليلة لم تضحك لنا النجوم
كعهدنا بها ..
في الليلة الفاتة السعيدة !!!

قالت: «أراك في غد ...» وانصرفت على عَجَل

«ابريل ١٩٩٦م»

إليها في بيروت

بيني وبينك يا صديقه
بحر من الأهواء تعصف في شواطئه الظنون
لبنان يضحك .. أرزه .. وجباله .. دنيا طليقه
يتفتح القمر الحنون
في ليلها .. وربوعها تحظى بأغنية رقيقه
أما أنا .. فقد ارتجفتُ سألتُ نفسي مَنْ أكون ؟
أنا شاعر .. وحقيقتي مزحومة برؤى الشجون
وقصائد الشعر الأنيقه!

٢١ فبراير ١٩٦٧م

رسالة منها

ينبض مشمس الإيقاع غنى للهوى قلبي
لأنني حين عدتُ إلى فراغي مثقلَ الخطوات
قرأت رسالة الحبِّ
فرحتُ بها .. محملة نداءات لها خفقات
فرحتُ بها .. محملة بموسيقى سماويه
بدفء الحب بالشغفِ
بتاريخ من الآمال والآلام مؤتلفِ
يغلغل في خيالاتي ويحكى الحب أغنيه

أنتني الرسالة ، لبنان فيها حكايا طويلة
تحدثت عن عاشقيه ، تحدثت عن أرزه
وكيف تمر الليالي الثقيله
بقلب تباعد عن كتزه؟

أنتني الرسالة، لاح سؤال بأعماقها
«أأنت تُرى يا صديقي بخير؟»
أنتني الرسالة، أبقتُ حياتي بأشواقها
تسائل عنك «أأنت بخير؟»

قرأت رسالة الحبِّ
تكتشف السطور عن الهوى المخبوء في الكلمات
فأشرقت القصائدُ في سكون الليل مبتسمات
وغنّى الشوق في قلبي

أكاد أطيّر .. أكاد أطيّر .. بهذى الرسالة
وأطوي الظنون
ففي كل سطر عبيرٌ غرامٍ أحس خلاله
بقلب حنون

٢٤١ فبراير ١٩٦٧م

الليل والزهرة الفريدة

من قبل أن أكتب هذه القصيدة الحزينة
أرهمقني التجوال
نمتُ على الأرصفة الغبراء في ليل المدينة
واصطخبت في داخلي ظلالها زلزال
يقوض الآمال
ويجعل الدنيا ضئيلة

أرهمقني التجوال
والليل يطعن الرؤى بمديّة الكآبة
وكفه تنهال
على الشريد . حينها الظنون والغرابه

تأسره كاشفةً وجوها الغضبي المريبه
نابشة في قلبه
عن صورة حبه
آمرة إياه أن يطمس هالة حبيبه

أرهقني التجوال
وأنت .. يا حبيبي .. كزهرة فريده
تنام في سرير طهرها .. ترى الآمال
تأتي بها في حلمها .. بسمتها السعيدة

يا زهرتي الفريده
يا وجه آمالي الذي يشرق في القصيده
يمسح حزنها
يُفرج سجنها

ما بيننا أعمقُ من أن يهدم الزلزال
أركانه الوطيدة
لكنني مكبل بهذه الأغلال
ترددي .. خواءٌ جيبي .. خطوتي الشريده

« ١١ نوفمبر ١٩٦٧م »

أغنية اغتراب

صديقتي التي أراها في الصباح برهةً ، ينسكب العبير
من شفيتها الحلوتين حينما تبتسمُ
وهمسها الهادىء - حين تبدأ الحديث - في نعمة الحرير
كأنه حديقة يولد فيها النغمُ

تبدو لنا مزينه
وترتدي النظارة الأنيقة الملونه
لتبعد العينين عن تطفل العيون
لكنتي أنقش في ذاكرتي لونهما
معانقا حسنهما
عدنا نفسي عنهما كأنني اختبلتُ أو أُصبتُ بالجنون

عيناك يا صديقتي يامتان تشردان
في ملكوت الشعر والأحلام والطفولة
ترفران في أمان
فتشرق الأحلام في مشاعري الخجولة
وتولد الأقمار
وأكتب الأشعار
فكيف ترحلين
يا وردةً تفتحت في عالمي الحزين

«ديسمبر ١٩٦٨م»

الحب ووجه الزمان

والمح وجه الزمان المسافر عبر الليالي بلا مأرب ..
يمر حيالي .. فأرثي لحالي .. وأكتم زفره
ويخفق قلبي بعنف كما خفق القلب للحب أول مره
ويهرب مني لذكرى تزلزل كل كيافي .. ولم تتعب

لماذا التذكر بعد فوات الأوان؟ وكيف ألم تغربي
مع الذكريات وعدت طليقا
أعيش الحياة وأفعل ما يفعل السائرون مع الموكب
لماذا أتيت فألقيت زيتا على الذكريات فصارت حريقا؟

ألم تغربي يا أميرة شعري وصار الهوى قصةً باليه
تجرجر روعي إلى الهاويه
وصار شعوري من الصخر أصلد
من الموت أجمد

أمن أجل لقيا رفيقتها في الصبا وانتظار الغرام النديّ
تقلقل روعي رقاد الخواطر
وتبعثها في جنون تطوف حواليّ ، تُدمي كحد الخناجر
أمن أجل لقيا ؟ فهذي رفيقتها تهمس الآن:
« .. كانت رفيقةً عمري الفتى ..! »

مع الريح أمضي وينفث هذا الزمان حياتي دخانَ سجائر

وبين الدجى وانتظار النهار يداعب سمعي حديثُ الصديقه
فتنهأ روعي بلحظهٍ وهمٍ تريح الخواطر
وتصطك أجواءً لحظهٍ وهمي .. بصخر الحقيقه

«يناير ١٩٦٩م»

الدم في الحقائق

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٦٩ .

إهداء

إلى صلاح عبدالصبور
تظل دائما مسافرا لا يغيب.. فرحلتك الفجائية
الأخيرة التي انطلقت بعيدا ووحيدا لتلبي نداءها وإغراءها لم تزدك إلا
قربا لأنك تسكن في كل قلب من قلوب محبيك.

حسن توفيق

الدم في الحدائق

نهر الرماد يفيض في بطن على الأرض الخراب
وعواصف الشجن المليئة بالفراغ تصيح في أيامنا
وتدق ناقوس الأسى في هيكل الذكرى وفي زمن العذاب
وكانها تنعى لنا ما ضاع من أحلامنا
من بعد أن صُلبَ الختان على الروابي والهضاب
وتعلمت حتي روى أوها منا

من بعد أن غرقت سعادتنا.. هنا
في ظلمة الماضي العميقه
وعلى شواطئه الغريقه
وتناثرت في الريح أغنية لنا

كانت تعود بنا إلى زمن البراءه
أنقلت قلبي بالشجن
يازورق الروح اللهيقة للوطن
وطن البلابل والهناؤه

الليل عاد يعيد للقلب انكساره
وتهاوت الأفراح من أفق الصبا الغالي الشرود
ألقي عليها قلبي الباكي اندحاره
صارت حطاما في العواصف والرعود
وصدى حنان لن يعود

يا أيها الصمت المرفرف في الظلام بلا هدف
لم يبق لي إلا فراغ جائع تتخبط الأوهام فيه
لم يبق لي إلا الأسف

شيخوخة القمر الذي وجد النهاية تشتهيه
لم يبق لي إلا مدى ظل كربه
وهناك في هذا المدى قلبي ارتجف
ورأى الحداثق متفره
من كل إشراف جميل
كالقـبره
فصرختُ في ألم ثقيل:
يا بلبل الأحلام.. أسكب في عروقي أغنيات
تخضر فيها الأمنيات
يا بلبل الأحلام.. رفرّف ها هنا
رفرّف على زمن عبر
رفرّف علي غصن ذوى وهوى إلى قاع النهر
اصدحْ لنا.. اصدحْ لنا
لنرى الحداثق كالقمر

لنرى الحداثه.....

لكنني أسكتُ روعي في ذهول.. في قلق
فعلى الغصون الذابلات العاريات من الورق
أبصرت دم
أبصرت دم البلبل الخافي.. يسيل
أبصرت دم
وعلى الحداثق من دم النغم القليل
نبح ثئاب في ذهول.. واندفق
ليدد الفرخ القليل
في كل أيامي التي لمست خيالا من هناء، من ألق

الساعة البلهاء يمضغها النعاس
ورنينها المنهل يقلقني كأن بجوفه القاسي شبح

وأنا أحرق في الفراغ...

تن.. تن.. تن

هذا زمان.. بعثت أحلامنا في أرضه كل الضواري والتمور

لأنور في آفاقه

والحب فيه بلا جذور

تن.. تن.. تن

نهر الرماد يفيض في بطنه على الأرض الخراب

تن.. تن.. تن

من بعد أن غرقت سعادتنا.. هنا

تن.. تن.. تن

وأنا أحرق في الفراغ!!

٥ ديسمبر ١٩٦٣

من ليالي الفراغ

ليالي الفراغ تدحرجنا في شوارع هذي المدينه
فنمشي نصافح بعضاً، ونترك بعضا
ونحمل حبا وبغضا
وذكرى دفينه

وعند المسير يرانا القمر
نحرك ذكرى دفينه
فيضحك.. كيما نمد إليه البصر
فيلقي إلينا بنبع السكينه
ولكننا نستفيق
على صوت روح حزينه
وقلب يبحر المآسي.. غريق

رماد على كُثم شيخ عجوز
يصيح بنا: لا تمدوا البصر
إلى وجه هذا القمر
فما من كنوز..
لديه
وما من أثر
لنسمة نور
ترف عليه
وهذا رنين النهايه
يقربنا من تراب القبور
وفيه الكفايه

سكتنا..سكتنا..وكان انتظار
وعدنا ننام

وكان انتظار
وجهه نهار، وراح، ومسى الشوارع ليال عميق
فعدنا تنام
وكان انتظار
تغير لون الوجوه، تغير كل صديق
وكان انتظار
تهدم بعض البيوت
ومرت فصول، ومدت ظلال الضياع على أمسا
فلم يبق منه سوى ذكريات مشي العنكبوت
عليها، فقام الأسى في الكلام وفي همسا
وكتنا تركناه في كاسنا
وكان انتظار

أبعد انتظار السنين الطويلة

تغيب ملامح دنيا جميله
وتبقى عظام الصدى في الفراغ، ويبقى الرماد
يذكرنا بانكسار النفوس
يذكرنا بانخزال الرؤى في ليالي السهاد
فنشرب بعض الكؤوس
لننسى.. ونكسر بعضا.. ونمشي بدنيا الحداد
ونمشي...

مع الوهم نمشي..
إلى أن يرانا الزمان العبوس...



أهذا زمان السكينه..
أهذا زمان القمر؟
رياح لعينه
تحطم كل الشجر

فبراير ١٩٦٣

شجن

شيخوخة الأحلام تعتصر البريق من العيون
وتشد أفراس الحياة إلى القرار
شيخوخة الأحلام تحرقنا بنار
نار من الألم المشيع بالفراغ وبالبسكون
شيخوخة الأحلام تتركنا ليأس وانكسار
وعلى شواطئ من أسى تلد الجنون

يا بلبل النسيان غنوتك اختفت
ومشى الذبول إلى الشجر
فالأمس ظل من رماد
صور غفت
فمضى بها ركب السنين إلى الحفر
نهر من الأوهام منبعه السهاد
ليل تحجّر في عيون لم تنم

وصدى نغم
ألقت به الأيام في صحراء يصبغها الحداد

ضاع الحنان، فلا يد تحنو، ولا نغم يرف على القلوب
وتناثر الماضي على تل السنين بلا بريق
لم يبق للقلب المعذب - من رؤاه - سوى الشحوب
وسوى ارتياح - دون جدوى - للظلام وللدموع
وعلى الطريق

صار الصديق بلا صديق
والقلب غمغم - والأسى متحفز - ما من رجوع
ما من رجوع للسنين الضائعات من السنين
ما من رجوع
فالنور كفه الأنين

وزوارق الأيام تجرفها الرياح إلى القرار.. إلى القرار

وصلى الزمان يصيح فيها : « لا فرار... »

بعد الرؤى المتدفقات، وحمرة الشفق المناق
رددتُ أغنية المزيمة
أيقظتها.. فصدى الزمان يهب في روحي حرائق
أمس جمجمة عقيمه
الدود منها قد أطل الحداثق...؟
أمس جمجمة عقيمه...؟

.. وأتى المساء بلا هناء أو رجاء أو قمر
فعرفت أن النور زورقه انكسر
في لحظة الندم التي تلد التعاسة والضجر
للمرهقين من البشر.

٥ ديسمبر ١٩٦٣

العائد

يا أنت يا أغنية ندية تجول في دمي
يا نسمة الحنان... ترتمي
في عالم من نار
يا زهرة الربى
صديقك الجوّاب في البحار
أصابه الدوار
وعاد متعبا
يُغرق فجر عمره الندى
بموجة عاتية... مياها هيب

يا أنت.. حين تذكرين شمسك المنيرة

يا أنت.. حين تذكرين لمسة الحنان
ودفقة الأشواق في قلوبنا الغريه
مدى له اليدين
وقتئذ يحس بالأمان
فساعة الشعور بالشقاء
يطل من عيونك الرقيقه
ماضٍ من البلبال الرخيمه الغناء
فيمسح الأحزان.. يطفىء اللهب
ويخلق الحديقه
في عمره الجديب

مدى له اليدين
وقتئذ يصافح الرجاء.. وانتعاشه
ترف في كيانه الفراشه

تضيء في الظلام أمنيه
تحلو لعاشقين
وتوقظ الماضي على أرق أغنيه

مدى له اليدين
فالطائر الحبيس في الضلوع
يحن لانطلاقه السعيد من جديد
يحن للرجوع
لعشه البعيد

« ١٨ فبراير ١٩٦٣ »

تعالی

تعالی خدیني ومدی الیذا
لأني حلمت بأني غریق
یضیع ندائي وما من صدی
ویجذب روحي القرار العمیق

تعالی خدیني فإني غریب
أحس كأن منای کسبحه
وأن الفراغ بقلبي نجیب
وفیه رماد قفار فسیحه

تعالی خدیني لأنسی الکدر
وأنسی حیاتي وأني بشر

تؤرقني ضربات القدر
وتصفع روخي أكف الضجر

تعالى خذيني لدنيا الضفاء
وبشي جمال الوجود بقلبي
وحين يموج الأسى في الدماء
أحيلي حنانك لحنا الحبي

تعالى خذيني نمس القمر
فقلبي يحن لسمه نور
وهذا أوان ذبول الشجر
يذكروني بظلام القبور

تعالیٰ خذیني نغرنّ هوانا
ولا تتركیني لوحش الكبّاه
يعضعض روعي فأمشي مهانا
أذوب وأبكی كآني سحابه
«ابريل ١٩٦٣»

أغنية للأسى

قلبي يسير مع السنين على شواطئ من ضجر
تشاءب الأحزان فيه.. ولا تنام
فيرى التعاسة حين يوغل في السهر
في ذكريات أو طيوف لم تزل تئد السلام
ويظل يبحث عن خيال قد عبر
متلهفا للنور من خوف الظلام
ويصيح في ملل وضيق:
طال انتظاري للقمر
فطيوف أحلام تضيع ولا بريق
وظلال أوهامي تطوق لي الطريق
طال انتظاري للقمر

عبر الليالي الظالمه
والصمت في نهم يفيق
يثد الوتر
الصمت يسري كالخريق
بعد التفتح بالأغاني الحالمه

قلبي يسير مع السنين على شواطىء من ضجر
تنشاءب الأحزان فيه.. ولا تنام
وهناؤه العبق انتحـــــر
ليعود وهما في يديّ مفتتا مثل الحطام

٢٥ يونيو ١٩٦٣

أغنية لوحدي

شوارع شبرا تشير الأسى في كياني
فأمشي أجر التعاسة فيها
أجر حطام الأمان
أجر رماد السنين، وظلا كريها
أجر الفراغ... وحولي زهور الأغاني
يكاد الندى يزدريها



وفي الليل حين تطل الظنون
بأحداقها الغائمة
وحين نفر الرؤى في السكون
وأجوائه المسامحة
وحين ينام ضجيج الترام

ويبقى الظلام، ولا شيء إلا الظلام
وبعض نباح بعيد لكلب يفتش عن لقمة
وحين يعود الخيال إلى يقظته
وساعة يأسى.. أسير لوحدى بانحاء شبرا
أجرب شوارعها الخالية
أفتش عن ومض ذكري
أفتش عن فجرٍ حلمٍ حنون
عن الدفء في وحدتي القاسية
وعن ضحكة صافية
وأسال نفسي لماذا أهيمن وماذا عسى أن يكون؟



وحين يمحيء الصباح .. ويسرى السأم
أحس كأن خريفا يذر رماد الضغينة
أحس كأن خريفا يشل غصون النغم

يمد يديه إلى أغنيات الهوى والسكينة
يفتتها في جموح ويثرها في مهاوى العدم
فأمشي بقلب غريب شروء
يود الفرار
إلى عالم من ورود
وفيه اخضرار

وعند انتصاف النهار أفيق
على صوتٍ يأسى العميق
فأسخر من وهم قلبي
لأن الخريف يلف سنين حياتي
ويُبقِي على ذكرياتي
لأذكر حبسي!!

« ٢٧ يوليو ١٩٦٣ »

عيد ميلادي

عيد ميلادي تدلى من غصون الأزمنه
لاذع الطعم.. مريرا.. فيه رؤيا مثخنه
فتمشت في كياني ذكريات محزنه
وتلفت ورائي للظلال المذعنه

كان في قلبي حنين جارف لاناهايه
عندما سارت حياتي في دهاليز البدايه
كنت طفلا أتغني في الليالي بحكايه
نسجتها في خيالاتي أساطير منايه

كان قلبي في ربيع حالم فوق القمم
تراءى فيه دنيا بالأمانى تزدحم

وخيالات صفاء يتملاها النغم
ونجوم باسفات لم تنل منها الظلم



ثم صار النور ذكرى تختفي في أغنياتي
وتهز القلب هزا السذبول الأمنيات
وتهوى الحلم يأساً في الليالي المعولات
صار وهما في كهوف الحزن يمتص حياتي



يا فؤادي أي جدوى لك من ذكرى بعيدة
قد تولى النور والماضي وأيامي السعيدة
ومضى البلبل في ليل الأسى .. أخفى نشيده
لتظل الروح تبكي .. تشتهي أن تستعيده

« ٣١ أغسطس ١٩٦٣ »

الذبول

الليل قد سكب النعاس على الشوارع في المدينه
وأنا بلا هدف أسير
ظلي ورائي يستثير زوابع الألم الدفينه
ظلي ورائي يستثير
قلبي الذي ألقته به الأيام من حصن السكينه
من كوكب حان إلى زمن ضرير



الموكب الباكي أتى.. وأتى العناء.. أتى العناء
يمتص أيامي الغوالي في نهم
يمتص أغلى ما لدى - بلا ضمير - في العراء
يمتص ذكرى أو حلم

يمتص من قلبي الصفاء
يلقيه في بحر العدم



ما زلت في الدنيا الحزينه
أرنبو إلى آفاقها .. روحا تجدف في سأم
وتحس بالظل الطويل ، ترى الألم
أمنية من أمنيات الروح تعصرها الضغينه
تلقي بها تحت القدم
والليل قد سكب النعاس على الشوارع في المدينه



ماذا يقول الأصدقاء
لو أنهم عرفوا نهاية قصتي
من نظرتي
عند اللقاء .. ؟!

٨ ديسمبر ١٩٦٤



لن تلمس الأفراخ آفاق النغم
من بعد ما ذبل الهوى
واخضرت الآهات في حقل الندم
وهو الذي بدمي ارتوى



الليل مازالت بقايا الكثيفة في سماء القاهرة
وأنا الذي عرف التلهف والحنين
سأظل أحيا في الشتاء هنا على ذكر الأمان العابر
أحيا بها .. أحيا حزين
ماذا إذن

لو أنني حطمت مرآتي التي عكست طيوفا من هنائي
ونفضت وهم الروح في صخب الشوارع
وهربت من دوامة الأفكار من بعد التناهي

وأزحت عن قلبي الزوابع
كي لا تعود إلى سمائي
بعد انطوائي
ماذا إذن ؟
ماذا إذن ؟

إلى راحلة

على أوتار قلبي تعزف الذكرى من اللهفه
نشيدا لافح الايقاع والجزيس
يطل على من أمسي
ويطرد ضحككي الصافي من الغرفة
ويتركني غريب الروح والنفيس
أحرق في مدى الليل
أفتش عنك يا قمري وعن أفق من النشوه
وعن أيامنا الحلوه
فلا ألقى سوى تل من الأوهام مختل

أسأل أنجم الليل

لماذا تهطل الآهات والغييات والحسره
على روحي، ويشرد ذهني المهموم في الظل
ويتركني مع الحيره
أفتش عن يد للنور تنشلني من الهوه
إلى أفق من النشـوه؟
أأسأل أنجم الليل؟!

أطل عليّ من آفاق روحي بلبل محزون
وعزائي من الأفراح والأنسام في الظلمه
وغنى في ذهول قاتم موهون
غناء دامع النغمه
فأشعلني الجوي القاسي ... وعذبني
وصرت أبوح من شجني

ومن كمدي .. بحب عاصف مجنون
يطاردني

وحين صَحَتْ - معفرةً - مع الذكرى رؤى الماضي
ذكرت حنانك الدفاق في نفسي وفي أمسي
فعدتُ لبش أنقاضي
ليمضي موحشا قلبي ، وتنبت زهرة اليأس

٢٤ أبريل ١٩٦٤م

جليد

جليد غامض قاس
تنائر في سكون الليل من شيخوخة القمر
على قلبي ، وحطم ما تراءى فيه من شجر
فزاد لهاث أنفاسي

غريبا سرْتُ ترعب وحدتي في الليل أشباحُ
فأنيت هدمت جسرا بيننا ، روحا أثريه
فنام القلب ثم عزَّته أترأخُ
وصرت أغوص في أبد من الضجر
يشل الغنوة الخضراء والدنيا الربيعيه
ويتركني لظل من نحيب في زوايا الروح يرتاح

يذكرني بحلم - كان فيها - ضاع في المطر
فيهطل في كياني صوت أحزاني «
«ألقى النور والبسات في ليل من الأرق ؟
ألقاها وتلقاني
وليس سوى خفافيش على الأفق !! «

تركنا الزورق المهجور
على شط من الوهم
وعدتُ أنا .. إلى ديجور
إلى دنيا من الهم

« نوفمبر ١٩٦٤ م »

حكايا الظلال

قُذِفْتُ إلى عالمٍ صاحبِ
بغيرِ إرادِهِ
وكلتُ خطاي من السير فيه بلا مأربِ
وقلتُ لقلبي الغرير بأن ربيع السعاده
قريب ، فزفرفُ بشوقٍ إليه ولا تندبِ
وها أنتِ تروين نفس حكايا الظلال المعاده
وقلبي يصرخ في وجمة الحائق المتعبِ
أكاد أحس دبيب البلاده

تعلمت يوماً
وحين عرفت صنوف القراءه
وجدت الرؤى في عيون النساء تشق الحجر
فعانقت هــ

وأطفأت كل شموع البراءه
وفتح الظلام فكاد يحجر روعي الضجر

مللت وقلت مرارا مللتُ
أما من نهايه
لكل الحكايا اللواتي عرفت
أما من نهايه
أما من وجوه أحس بأني أراها - بحق - لأول مره
أما من وجوه
أحس بروحي تكاد تنوه
بأسرارها في الظلام الكثيف ، فتومض فكره ؟!

وبالأمس كان الظلام كثيفا
وكنت أهدق في العابرين

وكنت أسيفا
كأنّي عصفورة تستكين
لفخ لعين
يرمها مصير الحياة سخيها
مشيت مشيت
وعبر الشوارع حيث انتهت
لمحت الأسى في عيون البشر
وومض المحبة يخبو وشيكا كغيمة صيف
وكان الزحام كسيل المطر
وأحسست أني - برغمي - أواكب موكب زيف
تشتت ذهني
وغام بقربي ضجيج الزحام
وخيب ظني
نداء تنشقت فيه السلام

وحدثت نفسي مرارا وقلت لعلّ صديق
أراد لقائي
أراد يخفف عني ضيق
أراد يعاتبني لانزواني
وحين تشتت ذهني مرارا
وقلت لنفسي لعلّ جنت
وجدت إسارا
من الوهم يوهن خطوى فرحت - ببطء - وجئت
وظل يصور لي الوهم هوه
تفتّح لي في الظلام الكثيف
بدأت بريئة نفسي .. بوهمي .. أنقل خطوه
وأخرى وأخرى جوار الرصيف
وكنّت أريد لحاق الترام
ولكن أعاق خطاى الوهن

وسيل الزحام
وعصف الشجن

تود خطاي الفرار من الظلمة الخائفة
تود خطاي ... ألم تسمعي
ولكنّ وهما بقلبي يطفئ معنى الثقة
بكل الوجوه يسير معي

من الناس أم من تحاذل نفسي
أود الفرار ؟
صرخت بعزم لساعة نحسي
أريد النهار !

٥ سبتمبر ١٩٦٥

دعوة إلى الحب

أطلي على عالمي الأخير
لتشدو العصفير في صبحه الشاحب الراكِد
أطلي .. أطلي .. فإني مللْتُ الوقوف على شاطئ يائِس
أنوح على حبي الخامدِ

أطلي فإني نشرت القلوع
تجاه شطوط الهوى والرؤى الساحره
سنرحل نحن ... سنطوي الدموع
سننسى المنى العاثره

حياتي .. لقد طال هذا الغياب

ألا تعلمين بأني من اللهفة الطاغية
إليك .. أهوّم وسط الضباب
بقلب غريب تعربد فيه المدى القاسية؟!



أهوّم وسط الضباب أدندن باسمك
أقول: شقيقةً روحي وأياميه
أريد أقيّد يومي بيومك
لأنسى انطوائي وأهاتيه
فحين أفكر فيك تزيد حياتي خصوبه
أحس بأن حنانك يعطي حياتي معنى
يلونها بالأغاني الطروبه
فتصبح لحنًا من النور .. تصبح أغني وأغني
لأنّي أذكر يوما طوته قبور البلى الداجيه
تطلعت فيه إلى وجهك الأسمر الساحر

وقد مرت النسمة الحانية
على شعرك الهائم العاطر
فرف بقلبي شذى أغنيه
وطار إليك ، ليهمس في قلبك الناضر
أحبك أنت بكل انطلاق المنى في ليالي التلاقي
أحبك أنت بكل اشتياقي

أطلي علي .. فصوتك معزوفة للحنان
تبيتها في ليالي الضياع تهدد نفسي
وتنفض عني كآبة هذا الزمان
فتشرق بعد الكآبة شمسي

«الجمعة ٢٦ فبراير ١٩٦٥م»

افترقنا مساء

افترقنا مساء
عندما لم تعد زهرة النور في أغنياي نديه
واختفي ما تراءى
من نجوم المتى في الليالي الهنيه
فمللنا اللقاء
والقصور التي شيدتها - بوهم - رؤانا الثريه



ما الذي قد جرى
بعد أن لم نجد أي لفظ رقيق
ينعش الروح فينا ، يعيد البريق
لهوى صار - ياويلنا - مقفرا ..؟



ما الذي قد جرى
بعدما أفرخ الوهم في أغنياتي .. ؟
ما الذي قد جرى .. ؟
بليلي طائر في مدى ذكرياتي
سائلا مهجة الريح أن تصفرا
في جنايا حياتي
علها تستعيد صدى عابرا
من رؤى أمنيّاتي

كم رؤى غارقه
في قرار الأسى .. ياغرامي الكسير
ليتني أستعير جناح الثقة
ليتني .. كي أطير

يا غرامي الكسير
ليتني أستعير جناح الشقه
كنت ألقى المصير
والرؤى مشرقه

ما الذي قد جرى .. ؟!
احترقتُ أسي وانكسرتُ مرارا
صار حبي بوارا
غاب تحت الثرى

«الثلاثاء ٦ يوليو ١٩٦٥م»

وجه ليالي

وجه ليل في خيالي
باقه فيها عير غامض لا ينتهي
مس أوتار ابتهالي
مس قلبي .. سائلا إياه عما يشتهي

يشتهي قلبي ابتسامه
في دروب الخوف يمضي يتغنى بنداهها
فتواتيه السلامه
ويشق الصخر شقا مستعينا برضاها

أي دنيا مستحبّه

حين يلتقى القلب عشا فيه يطوي الأجنحه
وتلاقيه الأحبّه
آه .. يا عش هنائي ... وجهها ما أفصحه

ليت أيام حياتي
تنقضي بالقرب من هذا العبير الجامح
حيث تزهو أغنياي
ويعود الأمل الحلو لقلبي النائح

«الجمعة ١٧ سبتمبر ١٩٦٥م»

لحظة الموت

« مرثية لشيم الشافعي ..
التي راحت ضحية
حادث مروع في أوج
شبابها »

صبح بلا نور يطل على الشوارع يا شيم
الناس في ساعاته السوداء يروون الفجيعه
يروون كيف تحدث روح الربيع إلى العدم
يروون قصتك المريعه
وأنا أغوص مع الخيالات الغريقة في الألم
فأغوص في أرض صديعه

مالي أحملق في زهول وارتجاف وانكسار

صحف الصباح قرأتها
فعرفت كيف ترصد المقدور وانسدل الستار
صحف الصباح طويتها
وصرخت من هول التفاصيل الحزينة يا شيم
وذكرت صورتك الحبيبه
قسمات وجهك في خيالي تستثير صدى الألم
وتحقر الدنيا الجديده

من أين تهبط يا قضاء على النفوس الآمنه
من أي آفاق شقيقه ؟
ما للحياة ذوت نضارتها بريح خائنه
من بعد أن كانت نديه ؟ !

.....

ماذا تبقى من شيم ؟

كيف انطوت أيامها ؟ أين ابتسامتها المنيره
أين ابتسامتها التي اختنقت وكفّنها العدم
في لحظة الموت القصيره !؟

يا لحظة الموت القصيره
فلتصمتي ولتخشعي إذ ترك الروح الجسد
فالقلب مقبرة صغيره
فيها ينام الأصدقاء الراحلون إلى الأبد
يا لحظة الموت القصيره
عذبتني .. عذبتني .. وقطف زهرتها النضيره
لكنها حين انزوت عن غصنها الباكي الحزين
رقدت هنا في قلب كل الناس في صبح الفجيعه
فليهدأ الآن الأنين
ولترقدي شيم الوديعه

« نوفمبر ١٩٦٥ م »

الرحيل

في ليلة صماء راودني الحنين إلى الرحيل
ناديتُ باسمكِ يا نجوم ويا شواطئ في شغف
فتشتُ عن نبع جميل
عن نسمة عذراء أنشقتها إذا القلبُ ارتجف
غنيْتُ أغنية جديدة
ولأنني قاسيت من صوتي الأجنس من البدايه
أسكتتها ورجعتُ أصغي للبدايات البعيده
وعلى المدى في اللانهايه
النسر ضاق بها رآه على السفوح من الجيف
النسر أرهقه الصعود
ماذا يحس سوى القرف
وسوي الفراغ بلا حدود



وجلسْتُ أفكر في أسفٍ
والصمت عميق
والنسر يحلق في الجيفِ
والصمت عميق
في هذا الليل
مَنْ يُبعد عني هذا الضيق
أشوق إلى نهديك طريق
كفي أشفي الغل
أظفاري بارعة التميز
فكفي بالله نشم الغل
وكفي تحديق
في هذا الليل
وتدق الساعة
في عالمٍ طينٍ فيه دماء

فتفر رؤى ليلى مرتاعه
والموكب يمضي بالأشلاء



هذا الشرود إلى متى ؟
هذا الشرود إلى متى يا أيها القلب الصديق
من أجل ماذا تغمر الأيام زهرا ميتا ؟
من أجل أن تجد الربيع !!
ماذا يقول لك الشرود عن الوعود الزائفة
وعن التحرق للبكاء
وعن النجوم وماتعي من ذكريات زاحفه
دوماً إلى غير انتهاء
وسألت قلبي في برود
ماذا تريد من الوجود
أذللتنى .. أذللتنى .. أخرست لحن الكبرياء

وجعلتَ أسرقي امرأه
فيها حنين للدماء
فلتنتقذ هذى الصحائف في هيب المدفأه
ولأترك الآن المدينه

ورحلتُ إلى مدن أخري
عبر الأيام
لكن ظلت تعوى الذكري
والروح تدور مع الأوهام
في كل مدينه
أخطو فيها ألقى أضواء شوارعها
تنقياً - ويلى - نفس الضوضاء المجنونه
والناس تمر بضائعها
وترش عليه ظلال شباته

نظرات وعيد
وتهز مع التحديق حياته
ويظل وحيد
في كل مدينه
يعدو نحوي وحش مسعور
وحش الملل القتال يثور
يمتص الأمن .. يشل رنينه
فأحس كأن خطاي سفينه
يتقاذفها موج هائل
والبحر يثور بلا طائل
البحر يزجر كالقائل



النسر ضاق بها رآه على السفوح من الجيف
النسر أرهقه البعد

ماذا يحس سوى القسوف
وسوى الفراغ بلا حدود

في الليل أفتق
وتصلصل في وهمي الأغلال
ويطل على شفتي سؤال
كرماذ حريق
من يذكرني في هذا الليل ؟
من يذكرني ؟ والدنيا ظل

واندست في قلبي ظلماء
لم يبقَ صديق
لم يبقَ صديق
أو تهمس لي شفةٌ بدعاء.

١٠ يناير ١٩٦٦ م

الريح والضيف وأنا

كُفّي .. كُفّي ... فالوقت يمر
ورمانا الله عرايا في هذى الأرض العطشى للدم
كفّي .. فاهم
أنقل عما يتحمل صدر

وتهب على سمعي المثلث ربح ثرثاره
وأظل أحاول أن أصغى ، والريح تجر
أشراك الألفاظ الدواره
والوقت يمر
ويعمّق في قلبي أظفاره
فأختر .. أختر

وأصارحها .. وأقول لها : « لا أرض لنا

كُفِّي .. كُفِّي
لا حب هنا .. لا دفء هنا
وأعود إلى برد الخوف
وهنا يتفكر قلبي في ملكوت الله
يمطر خوفا
فأفكر في تنعيم الآه
كي تؤنسنا في وحدتنا
لكني لا أهدأ .. أترقب في الجلسة ضيفا
يأتي .. يوقظ فينا عرقا من نشوتنا

ريح ثرائره
تتنهد في قلب الحجر
وتموت شراره
كادت تومض ، ثم انسكبت خُصَلُ المطرِ
لكن هل ينبت صخر غصنا ؟

لا .. لا لن ينبت صخر غصنا !

واسترخت في مقعدها آسرت الرّيح الثّرائه

- ماذا كانت تبغيه فلانه ؟

- لا أدري .. قد تقصد تكشف يوما أغواره

كفي .. كفي .. روجي أسيانه

- هل قالت له

أبعد أنفاسك عن وجهي

تبصر عيناك مدى كرمي

وسدى أن تحظى بالقبله ؟!

- لا أدري .. كفى يا .. كفى .. روجي أسيانه

روجي أسيانه

بالغة القلب الشفافه

ناس بسطاء

عرفوا أن التسليم حصافه
عاشوا زمنا ومضوا بسطاء

يا أسرتي .. كفي .. كفي .. فالعالم كان
أجمل مما نلقاه الآن
القط يموء بلا سبب
والوقت يمر
وقواي تخثر .. تخثر .. تخثر
وكان غياب الضيف يفتت من عَصَبي
لكن هل يأتي الضيف هنا
كي يؤنسنا .. يبقى معنا؟!
العالم كان ..
العالم كان

١٤ مايو ١٩٦٦

حكاية النعامة

عيناك يا حبيبي
بحيرتان من عذاب
رائقتان كالسما بعد ليلة من المطر
يخوض قلبي فيهما
يخوض في اضطراب
إذ يرقب الزوارق الكثيرة السفر

ماذا تريد هذه الزوارق المثيرة ؟
وما الذي يثيرني ؟!
أحس بالوحشة في انطلاقتي الكسيرة
كأن شيئاً جامداً وموحشاً يزيجني

عن عالمي الذي خبرته .. ألفته
من زمن .. وعشته
أحس بالوحشة مثل غيمة غريره
رحلتها الأخيره
فوق أراض لا تريد الماء لا تنتظره
لأنها ندية ، أحس بالوحشة يا حبيبي صواعق
في جسدي تعصره
نازفة حرائق

وها هي السماء تبدو صامته
وها هي الخيبة في دوامة الترقب المذل سائره
بالخطوة الضائعة المفتته
فلعبة الحياة خاسره
وماسح الأحذية العجوز

يرجع للزوجة والأطفال باللقمة راضيا
وصاحبي فلان لم يزل يسير باحثا عن الكنوز
فلعبة الحياة رابحه
ونحن يا حبيبتى نطلق ضحكة
تدوب حين أفتح المذياع
تدوب برهة
ثم تعاود الرنين
« هانوي في الظلام ، والقنابل المروّعه
تهطل تهدم البيوت
هانوي في الظلام ، والطفولة المفزعه
تبدأ رحلة السكوت »
مؤشر المذياع يستدير ، أسمعُ
أغنية عن النجوم والقمر
حاملة ترعش في قلبي الوتر

وبعدها أروغ
أسمع ان الأم في الهند تبيع طفلها
من أجل كسرة من الخبز بلا مذاق
أسمع أن غيمة التجربة الذرية القوية العصب
تبسط ظلها
أسمع أن ملكا قد ابتنى لامرأة
قصرا من الرخام والذهب
.....

حبييتي تضحك ساخره
لكن خوفي يستطيل يجلد الضحك
ومن خلال الخوف تستفيق خاطره
تدبل دولة الضحك :
« اللهب القادم قد يطمس وجه القاهره
فآه يا حبييتي

اللهب القادم قد يريح روحي الحائرة
يصنع من مدينتي
جمجمة مشوّهه
في عالم المقابر القديمة المشوّهه «

وآه يا حبيبتني
من عثرة اللسان أو ترمل النغم
وآه لو ثورقي تنبىء عن حقيقتي
فيولد الندم
أتعرفين يا حبيبتني حكاية النعامه
حين ترى الصياد!

.....

.....

أود يا حبيبتني أود لو أنام

أنام في البحيرتين
أغرق فيهما هواجسي المكده
أنام في سلام
و حين أصحو أستعيد كلمتين حلوتين
مبتعدا عن العوالم المدلسه
مبتعدا عن الدم
يسيل في فيتنام
أذوقه في عالمي
أصرخ يافيتنام :
« أكاد أرى النيران تمتص جدران البيوت المخربه
والمح بوذيا يقوض نفسه
فتصرخ في قلبي رياح مخضبه
لتطفىء شمسَه »



صافية سماؤنا ، لكن مذياعي الصغير
يقذف بالأحجار
وأنتِ يا حبيبتى تفتشين في السرير
عن عالم الأزهار
وها أنا أهيماء الجسم لرحلة النعاس والخذل
بالقرب من بحيرتين
رائقتين كالسمااء بعد ليلة من المطر
وها أنا ألوك كلمتين حلوتين

.....

صافية سماؤنا ، لكن مذياعي الصغير ..
يقذف بالأحجار
يحكي لنا عن الدم
يسيل في فيتنام
أذوقه في عالمي

.....

.....

ماذا إذا حطمتُ مذياعي الصغير ؟
ماذا إذا ...

.....

أفرغ الآن لنومي دافناً رأسي نعامه
تحتفي من رمية الصياد تغفو للقيامه
أفرغ الآن لنومي ..
دافناً رأسي ..

نعامه

٧ يوليو ١٩٦٦ م

أغنية وداع

« إلى الملتقى »

وعانقت كفي بكلتا يديك
وبعد التفرق عاد نشيدي مَدَى مغلقا
تقوَّعتُ فيه أنادي عليك

وكان الرحيل خلال ليالي الشتاء الرتيبه
يجب لي الأغنيات الكثيه
ومرت شهور
أطلت وساسوس روحي الغريبه
برأس جسور
لتنهش أعماق دنيا حبيبه

ويمتد بيني وبينك سور صفيق الحجار
أحاول هدم الجدران
سدى ما أريد فإن الصحارى وإن البحار
تُقَيِّد قلبي بأحزانه
حنانك إني أريد النهار
لأنسج أبهج ألحانه
فقيم وداعك للقاهره
وفيم الفراق
ألا تلمسين الرؤى الحائره
وأنتِ هناك بأرض العراق ؟

أحن إليك
فلو أن قلبي صار فراشه
لرف عليك

ليلقني على راحتك انتعاشه
ولكن قلبي دم يا صديقه
يحن إليك حنين السنابل
لدفقة ماء
ونسمة صيف على الحقل تحبو بروح طليقه
ولكن هذى السنابل تنشى عواء المناجل
وتنشي اصطخاب ليالي الشتاء

حنيني غريب
لخمرة عينيك يا غاليه
لنفسن رطيب
لبسمةك الحلوة الصافيه
وتغضي الشهور
وراء الشهور

فتمسح بوحى : « لماذا التفرق بعد التلاقي
وكيف تظل الرؤى الشاردة
تعمق بعد الرحيل اشتياقي
بلا فائده ؟ »
وتنفض خطاي البطاء تهوم في القاهرة
ويأتي الشتاء
يقصص ريش المنى الساحره
فيبقى الخواء .

٢٩ سبتمبر ١٩٦٦

فهرس الأعمال الشعرية

٥	● في الشتاء تولد القصيدة - مقدمة
	● ديوان «ليلي تعشق ليلي»
٢٥	فلامنكو أسبانيا الأندلسية
٢٨	العصفور الغائب
٣١	ليلي تعشق ليلي!
٣٤	السندباد والرحلة الجديدة
٣٧	لغة ليست كاللغة
٣٩	لماذا أحبك؟!
٤١	النسمة العاشقة
٤٣	العاصفة وموكب الجرح
٤٦	أغنية للأحلام البعيدة

٤٨ التمثال الذي كسرتة!
٥٠ اغنية للمقام
٥٢ الوردة.. والعاشق
٥٤ الزئبق الجميل
٥٦ في انتظار الصباح
٥٩ الأرض.. والمطر
٦٢ الطريق الطويل
٦٤ الوردتان
٦٦ الضفاف الحزينة
٦٨ رحلة مع الفل
٧٠ المسرح المغلق
٧٢ في انتظار الصفو
٧٤ انتصار
	● ديوان «ما رآه السندباد»
٨١ ما رآه السندباد
٨٦ حصاد الرحلة
٩٠ ترنيمة للبحر

٩٣	الجمرة والنبع
٩٥	القصيدية والفزال
٩٨	الصخر والروح
١٠١	الفراشة والنبع
١٠٤	لن الا لبستانك؟
١٠٦	افتحي الابواب للأتي
١١٢	الفراشة والعطر
١١٦	الطائران والجزيرة الفريدة
١٢٠	في انتظار اللقاء
١٢٣	وردة الأمل
١٢٦	بطاقة من متفرج عربي لسناء
١٣٠	رسالة من تحت الرصاص
١٣٥	الصمت وصوت الحجر
١٣٩	لبنان - الجحيم
١٤٣	مرثية الزمن العربي
١٤٨	الغرباء قادمون
١٥١	الطاووس والنار

❁ ديوان «وجهها قصيدة لا تنتهي»

١٥٩	مفتتح
١٦٠	وجهها قصيدة لا تنتهي
١٦٥	يدها.. واللغة الخالدة
١٦٨	صوتها.. والأمانى
١٧٠	الثريا.. والمحال
١٧٢	زهور من القلب
١٧٤	البدن وانتظار النهار
١٧٧	هكذا أبحر الشراع
١٨٠	إنها السابعة صباحا
١٨٣	الظما قرب نبع الماء
١٨٦	بين شكوى وشكوى
١٨٨	دعوة للحياة
١٩٠	ما بين ليل وليل
١٩٣	العودة للنبع
١٩٥	إشراقه
١٩٧	عندما يحاصرنا الحب

١٩٩	عندما باح الجمال
٢٠١	حنين
٢٠٤	حوار بين وردة وغصن وشجرة
٢٠٧	الخليج . والصبي الذي كان
٢١١	حصار الوجوه القديمة
	❖ ديوان «قصة الطوفان من نوح الى القرصان»
٢٢١	هي والعالم
٢٢٤	في القلب
٢٢٨	الضفاف والأشعة
٢٣٠	بالحب احضنكم والعنكم!
٢٣٢	الوهم
٢٣٥	قصة الطوفان من نوح الى القرصان
٢٤٦	تهمة العصفور الذي اتجه للنهار!
٢٥٢	زيارة الرجل الذي بضاعته الإيمان
٢٥٥	رومما - صنم وتابوت
٢٦٠	الغريب والسوسنة
٢٦٥	انتظار قد يطول!

٢٦٨ الاختيار المر
٢٧١ القنبلة التي لم تنفجر بعد!
٢٧٧ كلهم ناموا.. ياقدس
٢٨٢ قصائد للغالية - البعيدة
٢٨٨ رسالة حزينة لعبدالناصر
	❶ ديوان «انتظار الآتي»
٢٩٧ انتظار الآتي
٣٠٣ حصاد المصادفات
٣٠٧ الغابة والطير المجهد
٣١٠ هذا هو الليل
٣١٤ الجواب العبوس
٣١٨ الكلمة والموت
٣٢٢ مرثية الكلمات الميتة
٣٢٦ أغنية إلى الرجال
٣٣٠ من أجل تلك اللحظة
٣٣٤ أحذية على الرمال
٣٣٦ حوار مع الدم الذي أريق عام ١٩٦٧

٣٤٠ أغنية حب للسويس
٣٤٢ أمطريني حبا
٣٤٥ يا عشاق العالم غنوا
٣٤٧ العودة الى السويس
٣٥٠ الميلاد الجديد
٣٥٢ مشهد الغروب على البحر
٣٥٦ مدخرات الليالي
٣٦١ وتشهد السنوات
٣٦٥ أقول أحبك
٣٦٩ شواق الورد العطشان
٣٧٣ العالم في قربك
٣٧٥ مرثية الطفل الذي جاوز الخمسين
٣٧٩ وجهها والمسافات البعيدة
٣٨٤ الآمال والموت المزخرف
٣٨٧ دمت للحب
٣٩٠ لبنان والدماء وفيروز
٣٩٢ مرثية العاشق المعنى

٤٤٥	فكرة!
٤٤٨	الأرض والعشاق والمرتزة
٤٥٤	حينما يصبح الحلم سيفاً
٤٥٧	هوشي منه يتكلم
٤٦١	في انتظار أخبار الغد
٤٦٦	الظلام في الظهيرة
٤٦٩	مرثية الفارس الذي رحل
٣٩٦	هي والبحر والليل
	● ديوان «حينما يصبح الحلم سيفاً»
٤٠٧	الضياح في المدى القاسي
٤١٣	نبوءة في الحلم
٤١٩	تهمتي أنني أعلن الحب
٤٢٦	إختبار
٤٢٩	كنا وكان
٤٣٢	كان لها صديق
٤٣٧	السقوط
٤٤١	الأرض والروح الغاربة

٥٠٦ لم أحببتك
٥١١ الحب والباب المغلق
٥١٦ اللعبة المعادة
٥٢٠ الريح والماء والحب
٥٢٧ حين أكون مبعدا
٥٣٣ نداء الحب
٥٣٨ حكاية العاشق الذي انتظر ألف سنة
٥٤٤ متاهات الليل
٤٧٦ الصبا الضائع
٤٧٩ البحث عن الحق الضائع
٤٨٤ لست ضد الدين
٤٨٦ صرخات المقتولين القنلة
٤٨٩ ماذبة دموع مع أكتوبر
	● ديوان «قصائد عاشقة»
٤٩٧ أراك
٤٩٨ أغنية للحب
٥٠٢ البئر والظما

٥٤٧ الليل والأغنية
	● ديوان «أحب أن أقول لا»
	قصائد القسم الأول - عن عالمنا:
٥٥٥ أغنية جوال حزين
٥٦٥ عن عالمنا
٥٦٩ أحب أن أقول لا
٥٧٣ السوق وذاكرتي المشتتة
٥٧٦ المناضلون
٥٧٨ لا شيء يهم
٥٨٢ الفندق الكئيب
٥٨٩ قصائد القسم الثاني - السحب السوداء
٥٩٤ توثب
٥٩٦ كان فجرا
٥٩٨ الحب والريح العصرية
٦٠٢ أرق
٦٠٣ قسم القسم الثالث - الحب ووجه الزمان
٦٠٤ أغنية للصفاء

٦٠٨	أفقتك السار
٦١٢	زهايدة
٦١٥	أنشودة للسنن
٦٢٠	نونية للنور
٦٢٤	احياء اللقا الأخيرة
٦٢٩	أغنية حب للمنصورة
٦٣٥	إليها في بيروت
٦٣٦	رسالة منها
٦٣٨	الليل والزهرة الفريدة
٦٤١	أغنية اغتراب
٦٤٣	الحب وجه الزمان
		● ديوان «الدم في الحدائق»
٦٥١	الدم في الحدائق
٦٥٦	من ليالي الفراغ
٦٦٠	شجن
٦٦٣	العائد
٦٦٦	تعالى

٦٦٩ أغنية للأسى
٦٧١ أغنية لوحدي
٦٧٤ عيد ميلادي
٦٧٦ الذبول
٦٨٠ إلى راحة
٦٨٣ جليسا
٦٨٥ حكايا الظلال
٦٩٠ دعوة إلى الحب
٦٩٣ افترقنا مساء
٦٩٦ وجه ليلي
٦٩٨ لحظة الموت
٧٠١ الرحيل
٧٠٨ الريح والضيف وأنا
٧١٢ حكاية النعامة
٧٢٠ أغنية وداع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٤٠٢٦

I.S.B.N 977 - 01 - 6096 - 2

● تضم هذه «الأعمال الشعرية» تسعة دواوين، رتبها حسن توفيق ترتيباً تنازلياً ابتداءً من أحدث ديوان وهو «ليلي تعشق ليلي» الذي صدر عام ١٩٩٦، وانتهاءً بأول ديوان صدر للشاعر وهو «الدم في الحدايق» الذي صدر عام ١٩٦٩. وبين أحدث ما صدر وأول ما صدر تتوالى دواوين «ما رآه السندباد» و«وجهها قصيدة لا تنتهي» و«قصيدة الطوفان من يروح إلى القبرصان» و«انتظار الآتي» و«حيما يصبح الحلم سيفاً» و«قصائد عاشقة» و«أحب أن أقول لا».

● ثلاث وثلاثون سنة تفصل بين أقدم القصائد التي تضمها هذه «الأعمال الشعرية» والتي كتبت عام ١٩٦٣ وأحدث هذه القصائد التي كتبت عام ١٩٩٦، وقد حرص الشاعر على إثبات تاريخ كتابة كل قصيدة سهيلاً لمن يريدون التعرف على مسيرته الشعرية.

● كثيرون كتبوا عن الشاعر على امتداد مسيرته الشعرية، منهم من امتدحوه ومنهم من انتقدوه، وقد استفاد الشاعر من هؤلاء جميعاً دون استثناء، ويتذكر بكل تقدير كتاباتهم عن شعره، ومن هؤلاء جميعاً د. سهير القلماري - د. ثروت عكاشة - د. يوسف خليف - د. أحمد كمال ركسي - فاروق خورشيد - رجاء النقاش - د. شكري عباد - كمال النجمي - الطيب صالح - د. محي الدين صبحي - د. يوسف بكار - جلال العشري - محمد إبراهيم أسبو - د. عبد الفتاح رزق - د. حامد طاهر - د. مراد عبد الرحمن